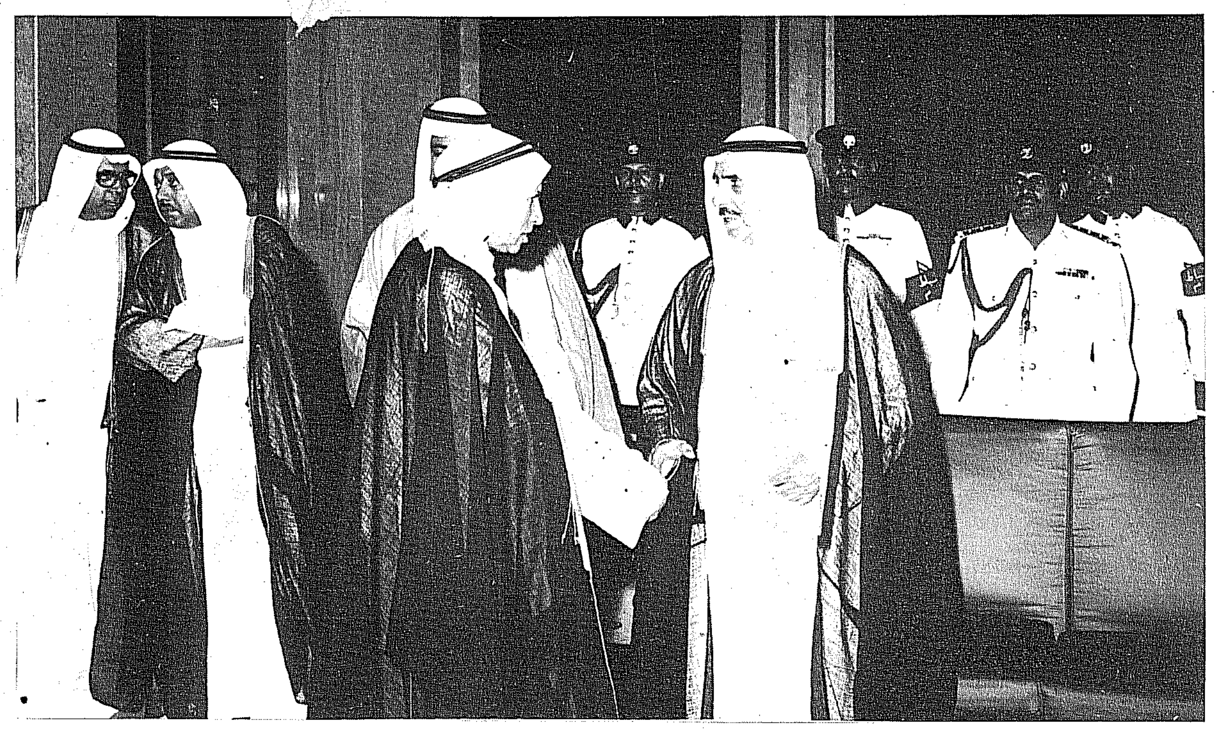
الوعي الإسلامي

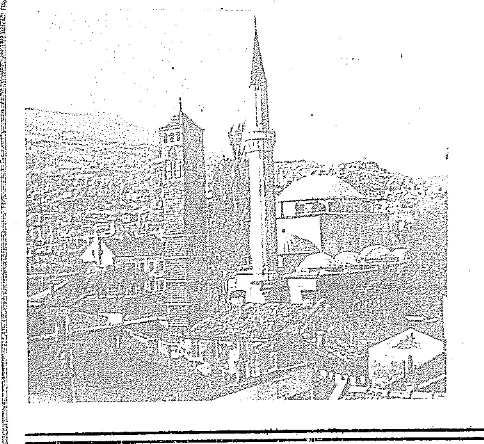
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٩٤ ـ شوال ١٣٩٢ هـ ـ ٦ نوفمبر ١٩٧٢ م





استقبل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بقصر السيف العامر جموع المهنئين من المواطنين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . ويبدو في الصورة سموه يصافح رئيس مجلس الامة خالد صالح الغنيم .



مسجد غازى خسرو بك وبجواره
تبدو أسوار بعض القلاع الأثريــة
((تراجيفو ــ يوغسلافيا))

صالح أحمد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

الســنة الثامنــة
العدد ٩٤

غرة شوال ١٣٩٢ هـ
٦ نوفمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شــهر عــربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمــن

الكــويت	٥٠ فلسا
السـعودية	١ ريال
العــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجــزائر	دينار وربع
المغــرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسـوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الــكويت ١ دينــار
فى الخــارج ٢ دينــاران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراســلات

مدير ادارة الدعــوة والارشــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ــ كويت

الدّعوة
إلى العمل القيادى العربى المخلص

افتتح سمو نائب الامير المعظم وولى العهد الشيخ جابر الاحمد الصباح دور الانعقاد الثالث لمجلس الأمة فى السابع عشر من شهر رمضان ١٣٩٢ هـ ، وفيما يلى النطق السامى الذى تفضل به سموه .

((بسم الله الرحمن الرحيم))

بعونه تعالى وتأييده نفتتح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلسكم الموقر .

حضرات الاخوان :

يعز علينا ونحن نحتفل بافتتاح هذه الدورة الا يكون حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بيننا ليرأس هذا الحفل وليباركه بنفسه . اننا نتطلع الى عودة سموه الى أرض الوطن عاجلا بموفور الصحة والعافية مشمولا بعناية الله ورعايته ليباشر مهامه الجسام .

حضرات الاخوان :

لقد اخترنا الديمقراطية وارتضيناها فكانت لنا نعم المنهاج والسبيل ، وما نخشاه اليوم هو أن تتعرض هذه الديمقراطية لخطر الانتكاسة بسبب من يعمل على استغلالها سواء لمكاسبه الشخصية أو لهدم القيم الروحية والاخلاقية واشاعة الفوضى والتفرقة بيننا . فعلينا جميعا أن نقضى على كل الاسباب التى تعمل على تشويه هذه الديمقراطية أو استغلالها من أى مصدر كانت .

لقد أفاء الله علينا بثروة يسرت لنا سبل الحياة الحرة الكريمة ، وجعلنا منها لأنفسنا ولغيرنا عونا وسندا ، ولكن علينا أن لا ننسى حق



سمو نائب الأمير وولى العهد الشيخ جابر الاحمد الجابر يستمـع الى رئيس مجلس الأمة وهو يلقى كلمة ترحيبية بسموه فى حفل افتتاح دور الانعقاد العادى اللثالث للفصـل التشريعى الثالث لمجلس الأمة ٠

أجيالنا القادمة من هذه الثروة فيجب ألا تستحوذ الانانية على نفوسنا ونعب منها بمختلف الوسائل ونترك أجيالنا القادمة تعيش فى ظـلام يكتنفها من كل جانب ٠

حضرات الاخوان :

أن التطور الكبير الذى تمر به بلادنا يدعونا الى المزيد من اليقظة فى أعمالنا سواء من ناحية الغايات أو الاساليب وأن الضمان الحقيقى لاستمرار هذا التطور هو ترسيخ التعاون والتآخى فلنفكر برويـة وعمق قبل اتخاذ أى قرار أو سن أى تشريع ، وليكن تصورنا الوطنـى ملازما لكافة أعمالنا واضعين مصلحة الوطن فوق كل اعتبار ٠

حضرات الاخوان :

ان التحديات التى تواجهها أمتنا العربية تفرض علينا أن نرتفع الى مستوى الاحداث وأن نتخذ الوسائل الكفيلة بالرد عليها ، وهـذا يتطلب من القادة العرب عملا مخلصا جماعيا جادا لمجابهة العدو ومـن يسانده حتى تتخذ أمتنا العربية مكانها اللائق فى المحيط العالمى ٠

سدد الله خطانا جميعا وألهمنا طريق الصواب ووفقنا لما فيه خير وطننا وأمتنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

فى الخطاب الأميرى

القضية الفلسطينية

نشر الدّعوة الإسلامية

القى سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الخطاب الأميرى فى حفل افتتاح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة . وقد استهل الخطاب بالحديث عن الاحتلال الصهيونى وموقف الكويت من القضية الفلسطينية وتناول سياسة الدولة على الصعيد الداخلى والخارجى .

وفيما يلى بعض فقرات منه تتصل بالقضية الفلسطينية ، وجهود وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى نشر الدعوة .

حضرات الاعضاء المحترمين

رغم مرور أكثر من خمس سنوات على عدوان عام ١٩٦٧ ، فان الاحتلال الصهيونى للارض العربية لا يزال قائما يتحدى كل ما تملكه الامة العربية من امكانيات وقدرات لم تستطع أن تأخذ مكانها بعد فى معركة التحرير ولا يزال العدو الصهيونى مستمرا فى تنفيذ مخططاته الاستيطانية التوسعية فى المناطق المحتلة بكل الوسائل مستهدفا وضع العالم كله أمام أمر واقع يفرضه بالقوة ومرور الزمن ، وهو يواصل بين الفينة والاخرى اعتداءاته على البلدان العربية متماديا فى غيه واستهتاره بكل القيم والمبادىء الدولية ، يشجعه على ذلك مايناله من مساندة ودعم بغير حدود من الولايات المتحدة الامريكية وغيرها ، وما يراه من تفكك الجبهة من حوله وما يستتبعه ذلك من انعدام الخطة وفقدان التنسيق بين أطراف هذه الجبهة . ولقد نبهت الكويت باستمرار الى خطورة هذه الاوضاع والى ضرورة العمل على حشد الطاقات العربية ضمن خطة موحدة ، محددة الوسائل والالتزامات ، تستهدف تحرير الارض المحتلة واستعادة الحقوق الكاملة للشعب الفلسطينى . وأبدت دائما استعدادها الكامل للاسهام بكل ما يترتب عليها من متطلبات فى هذا الصدد . واذ ترحب الكويت باجتماع لجنة وزراء الخارجية والدفاع المزمع عقده فى الكويت فى الشهر القادم فانها ترجو أن تكون نتائج هذا الاجتماع خطوة على الطريق الصحيح .

ولقد أكدت الكويت موقفها الواضح من قضية فلسطين فى كافة اتصالاتها الدولية وحذرت من الآثار الخطيرة التى ستترتب على التجاهل المستمر للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .



رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح يلقى الخطاب الاميرى فى حفل افتتاح دور الانعقاد العادى الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة .

وقد أوضحت الكويت فى مناسبات عدة أن القضاء على ما يسمى بالارهاب لا يمكن أن يتم بالتصدى لمظاهره السطحية ، وانما بالمعالجة الجادة للمشكلات الاساسية التى أدت اليه والعمل على التوصل الى حل جذرى .

* * *

ثم تحدث الخطاب عن نشر الدعوة الاسلامية فقال :

وينتصل بالاعلام ما توليه الحكومة من اهتمام بالغ على نشر الدعوة الاسلامية الكريمة فى مختلف الانحاء والارجاء ، وتبصير المسلمين بشؤون دينهم الحنيف ومبادىء شريعتهم الغراء . وفى سبيل تحقيق هذا الغرض السامى حرصت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على التعاون مع الجهات القائمة بنشر الدعوة بين شعوب قارتى آسيا وأفريقيا والبلاد الأخرى كما عملت على توثيق الروابط وتقوية الصلات مع المنظمات والمؤسسات والجاليات الاسلامية فى شتى أنحاء العالم ، فقدمت لها المعونات المالية وأمدتها بما يزيد عن مائتى ألف نسخة من القرآن الكريم وكتب التفسير والاحاديث والفقه وغيرها بلغات متعددة . والاقبال مستمر على دار القرآن الكريم ، كما يقوم صندوق المعونة الطبية بواجبه الانسانى وقد وضعت الوزارة فى تقديرها أهمية الاعمال المنوط أمر القيام بها الى الأئمة والوعاظ فحرصت على حسن اختيارهم وزودت المساجد بمكتبات فرعية . وعملا على راحة المصلين تم تكييف اثنين وخمسين مسجدا كما تم انشاء سبعة عشر مسجدا فى مناطق مختلفة بالاضافة الى ثلاثة عشر مسجداً على وشك الانجاز فى غضون هذا العام .

المسلمون في العالم

رأس معالى الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئـون الاسلامية وفد الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين السابع الذى عقده مجمـع البحوث الاسلامية فى القاهرة وقد ألقى معاليه فى المؤتمر الكلمة التالية :

يقول الله تعالى (انما المؤمنـون اخوة) ، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر » .. .. ولا أحكم ولا ابلغ من هذا التعبير فى مجـال الاتحاد والمؤازرة والتناصر ، ولم يكن المسلمون فى أى وقت بحاجة الـى النصرة والتعاون والاخاء مثل وقتنـا الحاضر ، وظروفنا الصعبة التى تمر بها امتنا .. ولا شـهد العـرب والمسلمون يوما مذلة ومهانة مثـل ضياع بيت المقدس وحرق المسجـد الاقصى عـلى أيـدى اليهـود والصهيونيين .

ولعل هذا الألم العميق والجـرح الذى لم يندمل بعد ، قد اثر فى قلب كل مسلم وحرك ضمير كل حـى .. ونحن لا نشك بأن كل مؤمن قد آلمـه ذلك الحدث الجلل فبكت العيـون وحزنت الأنفس ، واستولت الحيرة والدهشة مـلايين البشر من بنـى الانسان .. ولكن ليس عند هذا الحد يكتفى الاسلام من أتباعه ، بل رسـم لهم طريقا تسلك وعملا يقدم ، والا لما انتصرت جيوش المسلمين مع قلـة عددها وكثرة عدوها على اكبر دولتين فى العالم هما : دولة الفرس والروم اللتان كانتا تتقاسمان العالـم .. (غلبت الروم . فى أدنى الارض .وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعـد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) .

وهزم جيش صلاح الدين جحافل الصليبيين فى فلسطين وغيرها مـن بلاد المسلمين .

أيها السادة :

لسنا فى مجال التحدث عن الماضى



ولكن واقعنا اليوم يتطلب منا الا ننسى بأن لدينا قوة كبيرة وسلاحا مؤثرا قويا لم يستعمل بعد فى معركتنا مع الأعداء، هذا السلاح هو تلك الاعداد الهائلة من ملايين المسلمين فى العالم الذين يقطنون جميع القارات الخمس، وفى أرضهم تقع ثروات العالم، وفى أيديهم يمكن التحكم بمصير الامم، ولكن هذه القوة الكبيرة قد سادها التفرق والتفكك وغلب عليها الضعف وخيل الى أهلها بل صور لهم الاعداء أنها أمة يجب أن تكون تابعة لغيرها مغلوبة على أمرها .

● وبالنظر الى الملل والمذاهب الأخرى .. نجد أن الشيوعية التى لا تعترف بالاديان ولا مبدأ الايمان، قد جمعت حولها الناس، وقامت بثورة بلشفية اجتماعية وصناعية وأسست دولة ضمت العديد من الشعوب والقوميات ومختلف الألسن، وبأسلوبها ونظامها ـ بما فيه من صالح أو طالح ـ صارت تستقطب الكثير من البشر وتستهوى نفرا من شعبنا (١) ...

ولم تفتر الشيوعية عن الدعوة والاعلان لافكارها ومبادئها سواء بعقد المؤتمرات أو الاتصالات مستعملة شتى الوسائل وانواع المغريات .. وهدفها هو السيطرة العالمية لمبدأ الشيوعية وهدفها الاول : هو العالم الاسلامى .

● أما الصهيونية العالمية فانها نشأت من بضعة من الاقتصاديين اليهود فى أوروبا وأمريكا استطاعوا استقطاب عدد من شذاذ اليهود وتنظيمهم وتجميعهم وعقد مؤتمرهم فى مدينة بال بسويسرا .. وخرج بقرارات تنص على :

١) استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود .

٢) تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين فى كل دولة .

٣) تقوية الشعور والوعى اليهودى وتغذيته .

وبعد هذا المؤتمر أصبح للصهيونية منظماتها الفعالة .. وقال (هيرتزل) أحد زعماء اليهود : « على المرء أن يستخدم جميع الوسائل لتحقيق الغاية » .

وفى عام ١٩١٧ دخلت بريطانيا فلسطين لتساعد العرب على التخلص من الحكم العثمانى التركى وكان فيها سبعمائة الف عربى يملكون

٥ر٩٧٪ من مجموع الارض ، وخمسون الف يهودى فقط لا يملكون أكثر من ٥ر٢٪ من الارض .. وفى هذا الوقت صدر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا لليهود باعطائهم فلسطين وطنا لهم — وبريطانيا كانت تدير فلسطين لتساعده على التطور والاستقلال ، وانهالت المساعدات من دول الكفر والاستعمار على اليهود ضد المسلمين ، لم تترك بريطانيا فلسطين الا بعد أن سلمت جميع مقدرات البلاد الى اليهود ، واعترفت بهم الامم المتحدة على أساس تقسيم البلاد ورفض العرب ، فكانت فرصة لهم للتوسع ثم كان عدوانهم على مصر عام ١٩٥٦ وعدوانهم ١٩٦٧ .

● والصهيونية اليوم بأساليبها ودعاياتها وتنظيمها تؤثر على دول كبرى مثل أمريكا وبريطانيا والمانيا ، وغيرها ، وتعمل منظمات الباطنية والماسونية لمصلحة اليهود .

ودخل اليهود فى الشيوعية والمسيحية والبوذية وسخروا أغراضها لصالحهم .. واليهود ليس هدفهم فلسطين فقط بل هم يسعون الى افريقيا وها هم قد تغلغلوا فيها وسخروا بعض زعمائها لمآربهم .

ما المعسكر الرأسمالى — وأبرزه أمريكا وبريطانيا وفرنسا — بعد أن استعمر المناطق الاسلامية والعربية ، وامتص خيراتها وخرج منها بعد أن واجه المقاومة خلف فيها مشكلات وقضايا (٢) معقدة ليشغل بها المجتمع الاسلامى عن التحرك والنهضة ، بينما سار هذا المعسكر نحو العلم والتصنيع وبناء المجتمع لينعم بالهدوء والاستقرار ، فقام بين أوروبا وأمريكا تحالف عسكرى وسياسى ، وفى أوروبا قامت السوق المشتركة وفى جنوب أمريكا منظمة أمريكا اللاتينية .

وبفضل خيرات الارض العربية والاسلامية فى آسيا وافريقيا ، تعمل المصانع الغربية ، وبأموالنا تشترى وتسوق منتجات الغرب ، ومع ذلك فان هذه الدول تساعد أعداءنا لتبقينا ضعفاء أذلاء حتى يتم لها الاستمرار فى سياستها فى التسلط على خيراتنا واعاقة وحدتنا ونهضتنا .. واقامة الدولة الاسلامية الكبرى .

أيها السادة :

هكذا يفكر أعداء العروبة والاسلام سواء من كان منهم فى الشرق أو الغرب وهكذا يريدون ، فالكل منهم يتظاهر بالسماحة والصداقة والسلام .

وأما التبشير ودعمه من قبل هذا المعسكر ضد الاسلام والمسلمين فأفعاله واضحة فى جنوب السودان ونايجريا مع انفصال بيافرا — واندونيسيا والفلبين وروديسيا وجنوب افريقيا والحبشة واريتريا وزنجبار وغيرها .

أيها السادة :

واذا ما جئنا ندرس حالة المسلمين فانهم يعيشون فى القارات الخمس ، وفى جميع أقطار العالم ، وقد سئلت مرة عن عدد المسلمين فى العالم فأجبت بأنى لا أستطيع أن أعطى رقما معينا للنفوس ، ولكن أستطيع القول بأنهم يشكلون ثلث دول العالم ، وهذا ما تؤيده الارقام داخل منظمة الأمم المتحدة (٣) . أما اذا ذهبنا نعد الدول التى ما زالت تحت نير الاستعمار ككشميروفلسطين وأريتريا والصومال والصحراء المغربية ودول أخرى فاننا سوف نصل الى رقم أعلى من ذلك ، وهذا الرقم للدول التى يسكنها أغلبية مسلمة أما الدول التى يتراوح عدد المسلمين فيها من ٣٠٪ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهى خمس عشرة دولة (١٥) ما عدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليونا والهند (٧٠)

سبعين مليونا وفي كل من : يوغسلافيا٣ ملايين ، وتايلند٣ ملايين وبورما ٣ ملايين والفلبين ٤ ملايين .

ومع هذا العدد الضخم للدول الاسلامية في الأمم المتحدة وخارجها فان مواقف حكوماتها مختلفة ومتناقضة ، فلم تناقش مرة واحدة قضية تهم هذه الشعوب ويتخذ فيها قرار لصالح المسلمين وكأن هذه الحكومات لا تمثل هذه الشعوب (٤) .. يحرق المسجد الأقصى ، وتشن الحرب على باكستان ، ويذبح المسلمون في الفلبين وانجولا وأريتريا .

العقيدة الاسلامية

ان العقيدة الاسلامية لدى المسلمين قوة روحية دافعة مكملة للقوة المادية « المؤمن القوى خير واحب من المؤمن الضعيف » .

(لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .

وعقيدتنا الاسلامية تجعل الانسان المؤمن يجب أن يسير أعماله حسب أوامر الله ونواهيه ، وأن يجعل الاسلام مقياس حياته .

وفي مقام عمل الخير والمساعدة فان الاسلام يضاعف الأجر والثواب (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)

وفي الجهاد في سبيل الله والقتال دفاعا عن الاوطان يفوز المسلم بالحسنيين إما الشهادة أو النصر ثوابا في الدنيا وثوابا في الآخرة .

ايها السادة :

ان هذه القوة الكبيرة من المسلمين التى تملك هذه المقدرات لا يمكن أن تشق طريقها وتنهض بين هذه القوى المادية الا بالتنظيم والتخطيط والصدق في العمل .

وانى أتقدم الى المؤتمر الموقر بالاقتراحات التالية :

١) وضع دراسة شاملة للهيئات والمؤتمرات والمراكز التى تعنى بالشئون الاسلامية .

٢) العمل على انشاء مؤتمر دائم يمثل جميع المسلمين في العالم وتكون له لجنة تنفيذية ومجلس اعلى ولجان دائمة تعمل على مدار السنة .

٣) العمل على التنسيق بين الهيئات الرسمية والشعبية التى تعمل لعقد المؤتمرات مثل مجمع البحوث الاسلامية . المؤتمر الاسلامى بجدة . الجامعة العربية . المراكز الاسلامية المجلس الاعلى . الرابطة الاسلامية بمكة .

والملاحظ ان هناك جهودا تبذل من اجل ...

أ ــ التنسيق بين المدارس والمراكز الاسلامية المنتشرة في العالم .

ب ــ التنسيق في تلقى الطلاب وتوزيعهم .

حـ ــ التنسيق في ارسال الدعاة للخارج ودعمهم .

٤) تنظيم كيفية جمع الاموال ومساعدة المراكز الاسلامية .

٥) دعم المسلمين والاقليات ثقافيا وسياسيا .

---

(١) فسيطرت على دول شرق اوروبا ، ودول من آسيا ، وطوعوا الاحزاب الشيوعية في العالم العربي والاسلامى تعمل لصالحهم ولو كان ذلك ضد مصالح شعوبهم .

(٢) قضية فلسطين ، الطائفية في لبنان ، الاكراد في العراق ، روديسيا جنوب افريقيا ، الصومال الفرنسى ، ايريان في اندونيسيا ، كشمير ، اتحاد الامارات ، قضية مسقط وظفار زنجبار ، اوغندا ، اريتريا والحبشة ، الجزائر وتونس والمغرب والصحراء .

(٣) الأمم المتحدة ١٣٢ ــ الدول الاسلامية نحو (٤٠) .

(٤) المعسكر الغربى يتحرك ويثور عندما يسمع بمقتل جندى اسرائيلى او اختطاف طائرة ولكن لا يتاثر لاحتلال بلاد واخراج اهلها منها وتشريدهم بلا ذنب جنوه .



الهدي النبوي في العبادة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى بسنده المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا مسعر عن زياد قال : سمعت المغيرة رضى الله عنه يقول : ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليقوم او ليصلى حتى ترم قدماه أو ساقاه ، فيقال له ، فيقول : أفلا اكون عبداً شكورا ؟».

١ ــ نعم الله تعالى التى تفضل بها على عباده أجل من أن ينالها عد ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ومن أجل تلك العطايا والمنن ، اصطفاء الله تبارك وتعالى لواحد من عباده ليحمل رسالته الى خلقه مبلغا وهاديا ، بشيرا ونذيرا ، وفى مقدمة من عرفت الدنيا من الرسل عليهم الصلاة والسلام سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، صنعه على عينه ، وشمله بعنايته فى كل مراحل حياته ، وآتاه من كل فضيلة وكمال ما لم يؤت أحدا من العالميـن ، انقذ به أمة أمية من الضياع ، وصيرها بهدايته مثلا نادرا فى السمو والتجافى عن ما يشين الانسان كانسان ، وحملها حملا على المضى قدما فى السبق الى كـل مكرمة فى كل ميدان ، فأخرج منها القائد العبقرى ، والعالم اللوذعى ، والسياسى المدره ، والمفتن فى كل ما يخدم هذا الوجود ، ويرقى به ، ويسعده ، وينمى الخير فى أوديته ، وفاتح العقول الجبارة القادرة على الدرس والتنقيب على مخبآت هذا الكون وخفاياه ، وواضعى أصول العلوم فى كل فن ، فيا لها من فعال لا ضريب لها ولا مقارب ، منذ أن شب الانسان عن الطوق ، واخذ طريقه دارجا على البسيطة ، عابرا فى دروبها ، باحثا عن أسرارها ، فما يهول الباحث ما يراه فى كل معقل فى عصرنا من آثار اتباع سيدنا رسول الله السائرين على نهجه ، المقتدين به ، الذين اتخذوه أسوة حسنة ، فتفانوا ليخلدوا ، وشمخوا على الزمان ليطأطىء لهم هامه ويسجل باعجاب آثارهم ، فقد كانوا حلقة ذهبية وصلت الماضى بزمان وجودهم ، وتركته يشع لمن بعدهم ، ولو أن أبناءهم تقمصوا هممهم لما غلب أمتهم غالب ، ولا قهرها متسلط ، ولكان السبق كل السبق لهم ولهم وحدهم ، وكأنى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يغرق فى العبادة ، وحين يداوم بشدة علـى الصلاة ، وحين يديم التهجد وقيام الليل ، وحين يتجافى جنبه عن مضجعـــه ، وعندما يقف بين يدى بارئه حتى تتورم قدماه ، انما يضرب الأمثال لقومه علـى نوع من الزلفى الى الله يفتح مغلقات الوجود ، ويسمو بالفكر ، ويربط هــذا الانسان بخالقــه ، يخلصه من علائق المادة المميتة القاتلة ليصله بوثاق الــروح

بقيوم السموات والارض ، الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ، ويفيض من مكنون علمه على من يشاء من عبـــاده ، سبحانه لا اله الا هو رب العـــرش العظيم ، من طرق بابه ادخله رحابه ، ومن ولج الى ملكوته استطلـــع ما لم يحط غيره بعلمه ، ومن ارتفع عن ماديته غمره نور المعرفة التى لا حدود لها ، ومـــن اعرف بالله وما عنده من رسوله المصطفى ، وحبيبه المجتبى ، ومن اولى بشكـــره وادامة عبادته من سيد انبيائه ، وواسطة عقد رسله ، ولهذا لما قيل له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ؟ فيجيب عليه وعلـــــى آله افضل صلاة وأزكـــى سلام : (افلا اكون عبدا شكـــورا) .

٢ ـــ امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم الليل الا قليلا ، كما ورد فى أول سورة المزمل ، وذلك لأن قيام الليل اشد مواطأة وموافقة بين القلب واللسان ، واجمع للخاطر فى قراءة القرآن وتفهمه ، وهذا لا يتيسر بالنهار وقت السعي على المعاش ، وانتشار الصخب واللجب فيه ، «إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا » .. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمل من العبادة وان اضر ذلك ببدنه ، قالت عائشة رضى الله عنها : « كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتفطر قدماه » ومع هذا فقد كان يشفق على اصحابه ان يملوا ، ويحاول أن يحملهم على الأخذ من العبادة بما يستطيعون ، وأن يداوموا على فعل القليل ، ويبين لهم أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع ، فقد حدث البخارى عن اشعث قال : « سمعت أبى ، قال : سمعت مسروقا قال : سألت عائشة رضى الله عنها : اى العمل كان احب الى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالت الدائـــم ، قلت : متى كان يقوم ؟ قالت : يقوم اذا سمع الصارخ » ، ووقـــع فى مســـند الطيالسى فى هذا الحديث : « الصارخ : الديك » والصرخة ، الصيحة الشديدة ، وجرت العادة ان يصيح الديك عند منتصف الليل غالبا ، وهو غير الذى يصيـــح عند اقتراب الفجر ، وروى البخارى ايضا أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضيالله عنهما اخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « احب الصلاة الى الله صلاة داود عليه السلام ، واحب الصيام الى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوما ويفطر يوما » ، قال واحد من شراح الحديث الأسبقين رضى الله عنهم : « .. وإنما كان ذلك أرفق لأن النـــوم بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر الـــى الصباح ، وفيه من المصلحة أيضا استقبال صلاة الصبح بنشاط ، وانه اقرب الى عدم الرياء لأن من نام سدس الليل الاخير اصبح ظاهر اللون سليم القوى ، فهو اقرب الى أن يخفى عمله الماضى على من يراه » وحكـــى عن قوم آخريـــن : (أن معنى قوله : « احب الصلاة » هو بالنسبة الى من حاله مثل حال المخاطب بذلك ، وهو من يشق عليه قيام اكثر الليل ، وعمدة هذا القائل اقتضاء القاعـــدة زيـــادة الاجر بسبب زيادة العمل ، والافضل أن نجرى على ما دل عليه اللفظ واللـــه اعلم) .

٣ ـــ وهنا يورد صاحبى سؤالا لا يصح بحال أن يورد فـــى جانب سيـــدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وان جاز ايراده فى حق العباد غير الرسل ، والسؤال هل يدخل الرياء فعل الرسل ؟ والجواب : ان هذا محال لأن رسل الله هم المعلمون والموجهون والمشرعون ، وكل اعمالهـــم قلت أو جلت يجب علينا متابعتها ومحاكاتها ، فلا يمكن بحال أن يقال ان فى اعمالهم عليهم الصلاة والسلام أى نوع من الرياء ، والرياء آفة اجتماعية ممقوتـــة نهى عنهـــا

سيدنا رسول الله وذمها القرآن ، ولكى يبين القول فيها نورد معناها اللغوى ، فقد جاء فى لسان العرب لابن منظور المصرى ما نصه : « وراءيت الرجل مراءاة ورياء : أريته أنى خلاف ما أنا عليه . وفى التنزيل (بطرا ورئاء الناس) وفيه : (الذين هم يراءون) يعنى المنافقين ، أى اذا صلى المؤمنون صلوا معهم يراءونهم أنهم على ما هم عليه ، وفلان مراء ، وقوم مراءون ، والاسم الرياء . يقال فعل ذلك رياء وسمعة ، وتقول من الرياء يسترأى فلان ، كما تقول يستحمق ويستعقل عن أبى عمرو .. الخ » (١) .

والرياء بكل هذه المعانى محال أن يدخل أعمال الرسل والانبياء . وهو معتبر شرعا من الآفات الممقوتة حتى فى العبادات ، سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال : الا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس . وفى الحديث الذى رواه مسلم قال أبو هريرة راويا عن رسول الله فى المقتول فى سبيل الله ، والمتصدق بماله ، والقارىء بكتاب الله ان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم : كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ، كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء . فأفاد هذا القول الشريف أنهم لم يثابوا ، وان رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من راءى راءى الله به ، ومن سمع سمع الله به » . حديث متفق عليه ، وأخرج أحمد والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ؟ »

وقال سيدنا على كرم الله وجهه : « للمرائى ثلاث علامات ، يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان فى الناس ، و يزيد فى العمل اذا اثنى عليه » .

فالرياء ممقوت يذهب بفائدة العمل بل ويبطله ، وهو مسلك من مسالك النفاق الذى عابه القرآن الكريم ، وذم المتصفين به ، وأعد لهم أشد العذاب يوم القيامة ، قال تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له نصيرا » الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ من سورة النساء ، ثم يقول تبارك وتعالى فى الآية ١٤٥ من نفس السورة : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) وفى قوله تعالى : (يراءون الناس) قال المفسرون : يراءون بفعالهم اى يبتغون بذلك أن يراهم المؤمنون فيعدوهم منهم (ولا يذكرون الله الا قليلا) اى لا يصلون الا قليلا ، فاذا لم يرهم أحد لم يصلوا ، واذا كانوا مع الناس راءوهم وصلوا معهم ، وهم مضطربون مائلون تارة الى المؤمنين ، وتارة الى الكافرين ، لا يخلصون لأحد الفريقين لانهم طلاب منافع ، ولا يدرون لمن تكون الغلبة والعاقبة ، فمتى ظهرت الغلبة لأحدهما ادعوا أنهم معه .. فالواجب اخلاص العمل لله واخفاؤه متى أمكن ذلك ، فقد روى الطبرانى والحاكم باسناد صحيح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل رضى الله عنه يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) ص ١٠٩٤ من الجزء الاول . طبع بيروت .

عليه وعلى آله وسلم يقول : « ان اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة » وان يطلب به (أى بالعمل) رضوان الله وخير ما عنده لا الغلبة والتسلط على الناس وقهرهم ، قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » ، وجاء فى الصحاح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » وخوف الله وترك مراءاة الناس يجتث الكبر من النفوس ، ويجعل العمل مؤتيا ثماره كاملة حين يستهين الانسان بما عمل ، ويعده هينا فى جنب نعم الله تبارك وتعالى ، مبتعدا عن التكبر والتعالى على عباد الله ، وبذلك يقترب من رضوان مولاه ، ويبتعد عن ما يغضبه ويسخطه ، والله سبحانه لا يحب كل متكبر جبار .

روى مسلم وابو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

والخلاصة من كل ما سبق :

١ ــ ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصا على العبادة فى جميع اشكالها قياما بواجب شكر الله (أفلا أكون عبدا شكورا) .

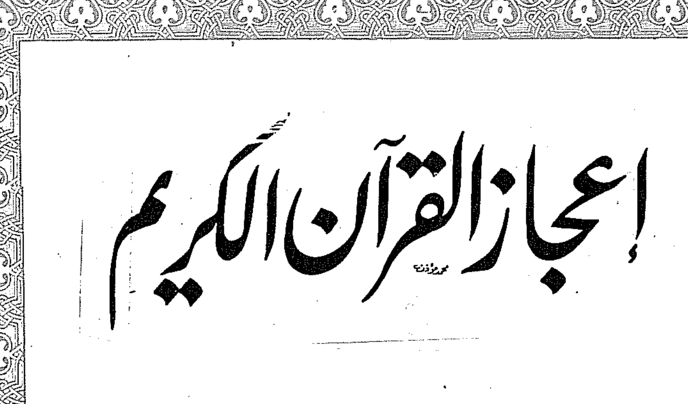
٢ ــ أن أعمال الرسل والأنبياء الظاهرة والباطنة لا يمكن أن يداخلها الرياء ولا النفاق ، وانما هى خطوط واضحة يجب ترسمها فى كل مسالك الحياة ، اذ هم صفوة الخلق والمبلغون لما أوحى اليهم من قيوم السموات والأرض .

٣ ــ أن الرياء نوع من النفاق المهلك وقد أعد الله للمنافقين عذابا اليما .

٤ ــ يجب اخلاص العمل من العباد لله تعالى وحده ، والابتعاد به عن التسلط على خلق الله ، والتجافى عن الغرور والكبرياء حتى يكون عملا مقبولا ، له ثوابه العظيم بالدار الآخرة ، وان الدار الآخرة لهى الحيوان .

٥ ــ ان كل عمل لا يقصد به وجه الله فهو غير مقبول عند الله وان بدا كذلك فى الدنيا ، ودليل ذلك قصة الثلاثة الذين وردت فعالهم فى حديث رسول الله الذى اوردناه فى صلب الشرح (المجاهد المرائى ، والباذل المرائى ، وقارىء القرآن المرائى) فكل أولئك حبطت أعمالهم فلا يقام لهم يوم القيامة وزن .

نسأل الله جلت قدرته وتباركت أسماؤه أن يجعل أعمالنا دائمة خالصة لوجهه الكريم ، وأن يمحضها لما يرضيه ، وما يبلغنا خير الدار الآخرة ، انه سبحانه نعم المستعان .



الدكتور محمد حسين الذهبى

معنى الاعجاز — القرآن معجزة النبى الكبرى — القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم به — جوانب الاعجاز فى القرآن الكريم .

معنى الإعجاز :

تطلق كلمة الاعجاز فى اللغة ، ويراد بها اثبات العجز وإظهاره .

وإعجاز القرآن الكريم معناه : اثبات عجز العرب وغيرهم عن الاتيان بمثله ، فيظهر بذلك صدق النبى عليه الصلاة والسلام فى دعواه الرسالة ، وأن القرآن ليس من كلامه ، ولا هو فى مقدور أحد ، وانما هو كلام الله عز وجل .

القرآن معجزة النبى الكبرى :

والقرآن معجزة النبى الكبرى وهو يتميز عن سائر معجزات الانبياء بأمور :

١) انه يحتوى على أصول الدعوة المحمدية ، وما يكتنفها من هداية وارشاد ، وذلك أبلغ فى الدلالة على النبوة ، لان ما احتواه من ذلك لا يمكن أن يكتسب بالتعلم ، وانما هو بوحى من الله ، ومن هنا كان القرآن كافيا ، ومغنيا عن كل ما طلبه المتعنتون من معجزات تحديا له عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول الله تعالى: « أولم يكفهم أنا نزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » .

٢) أن القراء معجزة العقل : لانه

يخاطب العقل دائما ولا يجمد عند الحس كمعجزات الانبياء السابقين ، ولقد نوه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذلك فى حديث له فقال : « ما من نبى من الانبياء الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » .

٣) ان القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على مدى الدهر ، ضرورة أنه معجزة الدين الخالد ، فهو شاهد ابدا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ، أما معجزات الأنبياء السابقين فقد كانت تنتهى بانتهاء وقت وقوعها ثم لا يبقى لها أثر بعد ذلك الا فى نفس من شهدها .

القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم به :

ولقد أيد الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن من أول يوم بعثه رسولا للعالمين ، ولكن قومه كذبوه وزعموا أن ما يتلوه عليهم من القرآن ليس من عند الله ، وقالوا عنه :

« أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (١) فأوحى الله الى نبيه بقوله : « انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض » (٢) وقوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » (٣) .

وقالوا : « انما يعلمه بشر » (٤) فرد الله عليهم بقوله : « ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » (٥) .

وقالوا : « شاعر نتربص به ريب المنون » (٦) فرد عليهم بقوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (٧) .

قالوا عنه هذا وأكثر ، ورد الله عليهم بما ذكرنا وأكثر مما يبطل زعمهم ، ولكنهم تمادوا فى غيهم واستمروا فى تكذيبهم وعنادهم فلم يكن بعد ذلك الا أن يلقمهم حجرا يسد أفواههم حتى لا ينبسوا بفرية ، ويدمغ عنادهم حتى لا يقوى على أن يتصدى للحق أو يعترض طريقه .

لم يبق الا أن يتحداهم الله ويتحدى الانس والجن جميعا أن يأتوا بمثل القرآن ما دام القرآن فى زعمهم من صنع البشر ــ محمد أو غيره ــ وليس من عند الله عز وجل .

ولقد جرى ذلك التحدى على تدرج ملحوظ :

تحداهم أولا أن يأتوا بمثل القرآن فقال :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٨) . فما كان منهم الا العجز التام .

ثم تنزل معهم فى التحدى ، فقال آمرا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد رموه بالافتراء على الله فى نسبة القرآن اليه : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (٩) فعجزوا كل العجز عن ذلك أيضا .

ثم نزل الى أدنى من ذلك فقال : « قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (١٠) . وقال : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (١١) فما استطاعوا معارضة ذلك القدر القليل .

ثم نزل الى أدنى درجات التحدى فقال : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا

صادقين » (١٢) فعجزوا عن أن يأتوا بحديث مماثل له . . . أى حديث كان ، طال أم قصر ، ولزمهم العجز عن معارضته هم ومن وراءهم الى يوم القيامة .

ولم يكن عجزهم هذا ناشئا عن كون القرآن غريبا عليهم فى لغته ، بل كان من جنس كلامهم وبلغتهم التى يتكلمون بها ، ولم يكن عدم معارضتهم له ناتجا عن عدم اهتمامهم بالمعارضة أو عدم اكتراثهم بالتحدى ، فقد أثار القرآن اهتمامهم بالمعارضة ، وبعث فيهم الرغبة الملحة فى قبول التحدى ، والعمل على حطمه ، والخروج من المأزق الذى وضعهم فيه ، بما كان منه من تسفيه أحلامهم بنحو قوله عنهم : « إن هم الا كالأنعام بل هم أضل» (١٣) وتحقير آلهتهم بنحو قوله : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (١٤) ومع ذلك الاستفزاز فقد وقفوا عاجزين أمام هذا التحدى ، ولم نجد لهم معارضة يمكن أن تجارى أو تدانى القرآن فى أسلوبه ونظمه ، أو فى أى جانب من جوانب اعجازه التى سنذكرها ، وما ترويه لنا بعض كتب الادب أو غيرها من محاولات لمعارضة القرآن لم تخرج — فى الواقع — عن كونها محاولات سخيفة ، وليس فيها من براعة النظم ، ولا من دقة المعنى شىء مطلقا ، وانما هى هذيان كهذيان المحموم ، عار من كل شىء الا من ركاكة النظم وفساد المعنى .

جوانب الاعجاز فى القرآن الكريم :

وجوانب الاعجاز فى القرآن الكريم متعددة وهى :

(١) فصاحة كلماته .

(٢) براعة نظمه وجزالة أسلوبه .

(٣) بلاغته فى الدلالة على معانيه.

وهذه الثلاثة يمكن أن نجمعها تحت عنوان واحد هو (الاعجاز البيانى) .

ولا شك أن القرآن الكريم قد تميز عن كل ما عداه من كلام الهى وغير الهى بأسلوب فريد ، بلغ الغاية فى جزالته وبلاغته ، ولو جئنا بأبلغ عبارة نطق بها العرب ووضعناها بجانب عبارة فى موضوعها جاء بها القرآن الكريم ، لوجدنا بين العبارتين فرقا بلاغيا كبيرا ، فأبلغ عباراتهم فى القصاص « القتل أنفى للقتل » وعبارة القرآن الكريم فى هذا الباب « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب » وقد تناول علماء البلاغة كلتا العبارتين بالتحليل البلاغى وبينوا — بما لا يقبل الشك — أن عبارة القرآن فوق العبارة المأثورة عن العرب بمراتب كثيرة .

وبلغاء العرب — بسليقتهم — يدركون هذا التفوق البيانى للقرآن الكريم حتى أن أحدهم — وهو الوليد ابن المغيرة — يسمع القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ، فيبهره أسلوبه وبلاغته ، ويعجب به أيما اعجاب ويشيع ذلك عنه ، فيأتى اليه أبو جهل ويطلب منه أن يقول فى القرآن قولا يبلغ قومه أنه منكر له ، فيجيب الوليد بقولته المشهورة : « وماذا اقول ؟ فوالله ما فيكم احد أعلم بالشعر : لابرجزه ولا بقصيده منى ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته » .

ولا نطيل بالكلام عن بلاغة القرآن فذلك موضوع واسع تولاه بالبحث والبيان كثير من العلماء ، ولهم فى ذلك مؤلفات كثيرة ومشهورة .

(٤) اشتماله على حوادث وقعت فى الازمان الغابرة ولم يكن للنبى

صلى الله عليه وسلم علم بها : لا عن معلم ، ولا عن كتاب ، ولا عن أي طريق أخرى غير القــرآن ، كقصة موسى وغيره من الأنبياء وفى هــذا يقول الله سبحانه مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه من خبر موسى وقومــه « وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » .

(٥) اشتماله على أمــور غيبية وحوادث مستقبلة أخبر بهــا وتحقق وقوعها فيما بعد كقوله تعالى : « الم . غلبت الروم . فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومــن بعــد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

(٦) اشتماله على التشريعــات الــروحية والادبيــة والاجتماعية والسياسية والمالية التى كان ــ ولا زال ــ لها أكبر الاثــر فى اصــلاح المجتمــع الانســانــى واستقراره ، لبلوغها مرتبة الكمال التشريعــى ، ولخلوها من كل الثغرات التى تشتمل عليها القوانين الوضعية ، وقد ذكرنا عند الكلام عن جوانب الهداية القرآنية كثيرا من التشريعات التى جاء بهــا القرآن ، والتى نظمت علاقة الانسان بربه وبأخيه الانسان .

(٧) اشتماله على كثير من العلوم والمعارف التى كشف عنها العلم فيما بعد ، ولا زال يكشف عنها الى اليوم ، وسوف يظل يكشف عنها على مــدى الدهر والى الأبد .

ولا نريد أن نستقصى كل ما حواه القرآن تصريحا أو تلميحا من علــوم كونية ، وانما نكتفى بثلاثة أمثلــة نذكرها كشواهد على الاعجاز العلمى للقرآن الكريم :

المثال الأول :

قوله تعــالى فى الآيـــة (٣٠) من ســورة الأنبيــاء : « أولم يــر الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » فقد فسرها عبد الله بن عباس على ضوء ما وصل اليه العلم فى زمانه تفسيرا تحتمله الآية فقال :

« كانت السماء رتقــاء لا تمطر ، والارض رتقاء لا تنبت ، ففتق هــذه بالنبات ، وتلك بالمطر » .

وفسرها علماء العصر الحديث على ضوء ما توصلوا اليه من العلم فقالوا :

« قرر الكتاب الكــريم أن الارض كانت جزءا من الشمس ، وأن حادثا كونيا جــذب قطعــة مــن الشمس وفصلها عنها ، وأن هذه القطعــة ــ بعد أن مرت عليهــا أطــوار ــ تكسرت وصارت قطعا ، كل قطعة منها صارت سيارا من السيارات ، وهذه السيارات طافت حول الشمس وبقيت فى قبضة جذبتها ، والارض واحدة من هذه السيارات فهى بنت الشمس ، والشمس هى المركز لكل هذه السيارات » (١٥) .

ولا نكاد نجد تعارضا بين الفهمين ، والآية تحتملهما وتتسع لهما وذلك ــ بلا شك ــ وجه من وجوه الاعجاز للقرآن الكريم .

المثال الثانى :

قوله تعالى فى الآيتين (٣) و(٤) من سورة يونس «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا» وقوله فى الآية (٦١) من سورة الفرقان « تبارك الذى جعل فى السماء بروجــا وجعل فيهــا سراجا وقمرا منيرا » أليس فى هاتين الآيتين دلالــة صريحة على ما توصل اليه العلم الحديث من أن الشــمس

كوكب مضيء وأنها كالسراج نوره من ذاته وأن القمر كوكب معتم نوره مستمد من غيره ؟ وهل يستطيع محمد — عليه الصلاة والسلام — وهو النبى الأمى ، والعلم بالأكوان والأفلاك ما زال فى مدرج الطفولة — أن يقرر هذه الحقيقة من تلقاء نفسه ؟ كلا انه من علم الله العليم الخبير ... أودعه فى القرآن فكان من وجوه اعجازه .

المثال الثالث :

قوله تعالى فى الآيتين (٣) و (٤) من سورة القيامة « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه » يقرأ العربى هذه الآية فى عصر نزول القرآن فيفهم منها أنها تدل على أن الله قادر على أن يعيد الانسان عند البعث بشرا سويا بكل أعضاء جسمه وعلى صورتها الاولى حتى ما دق خلقه من هذه الاعضاء وهو البنان .

ونقرؤها اليوم على ضوء العلم فنراها تنطوى على ما توصل اليه العلماء من أن (بصمات) أنامل اليد لا تتشابه عند بنى الانسان فكل فرد له بصمات يتميز بها عن غيره ويمكن أن تكشف عن شخصيته ، واعادة هذه البصمات المختلفة المتمايزة عند الحياة الثانية على ما كانت عليه لكل فرد عند الحياة الاولى شيء لا يعظم على الله سبحانه ، ولا شك أن انطواء الآية على هذه الحقيقة العلمية التى لم يكشف عنها العلم الا حديثا ضرب من ضروب الاعجاز العلمى للقرآن الكريم .

(٨) سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض ولا شك أن هذا جانب من جوانب اعجاز القرآن الكريم فالكتاب حافل بالقضايا العقلية والتشريعات الفقهية والحقائق العلمية والتاريخ والقصص ، والأمثال ، والأخبار عن وقائع ماضية وحاضرة ومستقبلة ، وهو فى ذلك كله صادق لا يرقى اليه كذب ، مصيب لا يعتريه خطأ ، واضح لا يشوبه لبس ، متناسق لا يعترض نسقه تناقض أو تعارض ، مؤتلف غير مختلف .

ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال لكتاب جمع الكثير من الوان المعرفة وضروب الهداية والارشاد ، وضم الكثير من القصص والاخبار ووزعها وكررها فى مواضع شتى على نحو من الايجاز تارة ومن الاطناب اخرى ، مع تفاوت وتغاير وتفنن فى التعبير يجعل القارىء مشدودا دائما الى قراءته وسماعه دون سآمة أو ملل أو إحساس بنبوة ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال الا للقرآن الكريم : لأنه كلام الله الذى لا يضل ولا ينسى ، وصدق الله العظيم حيث يقول :« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١٦) .

هذه هى جوانب الاعجاز للقرآن الكريم ، أو هى أهم جوانبه .

ولقد نرى بعض العلماء يذهبون الى أن اعجاز القرآن لا يرجع الى أى من هذه الوجوه المذكورة وانما يرجع الى الصرفة ، ومعنى ذلك — على حد قولهم — أن القرآن الكريم كان فى متناول العرب أن يأتوا بمثله ولكن الله صرفهم عن معارضته فصاروا بذلك عاجزين عنها ، وهذا قول باطل، لأنه يلزم عليه :

١) أن يكون القرآن فى مستوى كلام البشر ، وهذا مخالف للواقع ، وأرباب البلاغة من المشركين أنفسهم قد اعترفوا بأنه فى أعلى درجات البلاغة التى لا يتطاول اليها أحد منهم، وفى وصف الوليد بن المغيرة للقرآن — وقد ذكرناه آنفا — ما يشهد بذلك والفضل ما شهدت به الأعداء .

٢) أن يكون المعجز فى الحقيقة هو الله وليس القرآن ، مع أن آيات التحدى تكاد تكون صريحة فى أن

الاعجاز راجع الى القرآن ذاته ، وعلى ذلك انعقد الاجماع .

٣) أن الانس والجن — بصرفهم عن المعارضة بحيث أصبحوا عاجزين عنها — صاروا بمنزلة الموتى ، وحينئذ لا يكون للتحدى معنى ولا فائدة .

ولقد نرى — أيضا — بعض العلماء يقصرون إعجاز القرآن على جانب واحد من جوانب الاعجاز المذكورة ، وهذا — اذا أخذ على ظاهره — خطأ بين اذ أن كل ما ذكرناه من جوانب الاعجاز متحقق فى القرآن الكريم .

والظن بهؤلاء الذين قصروا إعجاز القرآن على جانب من الجوانب التى ذكرناها : أنهم لم يقصدوا بذلك أن القرآن ليس فيه من جوانب الاعجاز الا هذا الجانب فقط ، وانما قصدهم: أن هذا الجانب الذى اقتصروا عليه يحقق الاعجاز للقرآن الكريم ، وهذا لا يمنع من وجود جوانب أخرى تحقق نفس الشىء وبانضمام بعضها الى بعض يكون الاعجاز أتم وأقوى .

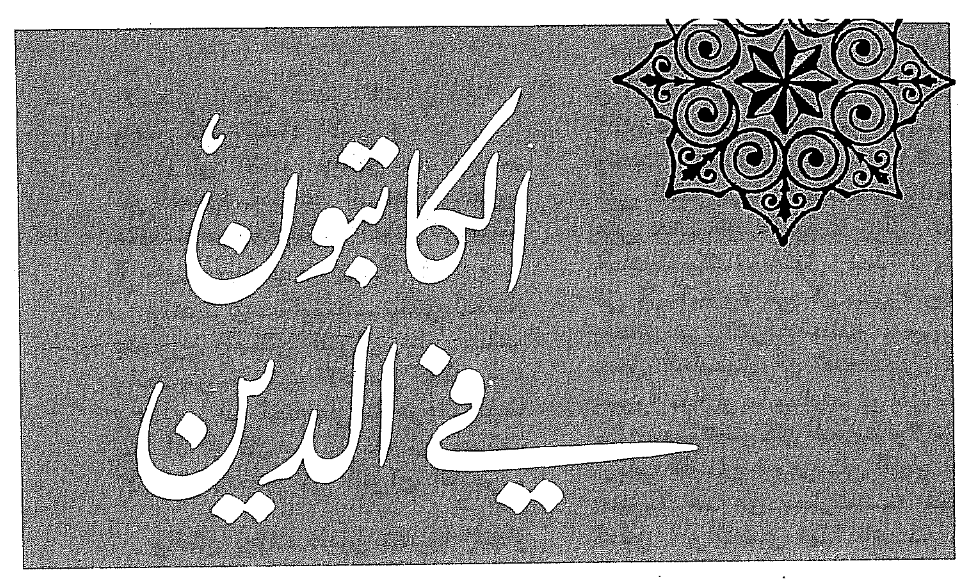
بقيت حقيقة يجب أن نعلمها ، وهى :

أن اعجاز القرآن من ناحية فصاحة كلماته ، وبراعة نظمه ، وجزالة أسلوبه ، وبلاغته فى الدلالة على معانيه أمر متحقق فى كل سورة بل وفى كل آية تفيد فائدة تامة أما ما وراء ذلك من جوانب الاعجاز كاشتماله على أمور غيبية مستقبلة وقعت بعد كما أخبر عنها ، واشتماله على التشريعات الحكيمة ، وانطوائه على حقائق علمية لا يزال العلم الحديث يكشف عنها ، فهذا لا يتحقق فى كل آية ولا فى كل سورة وانما يتحقق فى القرآن جملة ، ومن هنا حقق العلماء أن التحدى بأقصر سورة منه أو ما يعادلها أو بأى حديث مثله مهما قصر كان للعرب أولا ، لأنهم أرباب اللسان ، وفرسان البيان ، فان عجزوا هم عن معارضته فغيرهم أعجز ، والتحدى بهذا القدر من القرآن راجع الى فصاحة كلماته وبراعة نظمه ، وجزالة أسلوبه وبلاغته ، وهو ما عبرنا عنه بالجانب البيانى ، وهذا كله متحقق — كما قلنا — فى القدر المتحدى به أيا كان .

اما غير ذلك من جوانب الاعجاز التى تتحقق فى القرآن ككل ولا تتحقق فى كل أبعاضه ، فذلك يدركه كل انسان عربيا كان أم غير عربى ، وهم جميعا متحدون بالقرآن جملة ومن كل هذه الجوانب بقوله سبحانه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١٧) .

---

(١) فى الآية ٥ من سورة الفرقان .
(٢) فى الآية ٦ من سورة الفرقان .
(٣) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت .
(٤) فى الآية ١٠٣ من سورة النحل .
(٥) فى الآية ١٠٣ من سورة النحل .
(٦) فى الآية ٣٠ من سورة الطور .
(٧) فى الآية ٦٩ من سورة يس
(٨) الآية ٨٨ من سورة الاسراء .
(٩) فى الآية ١٣ من سورة هود .
(١٠) فى الآية ٣٨ من سورة يونس .
(١١) الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة البقرة .
(١٢) الآية ٣٤ من سورة الطور .
(١٣) من الآية ٤٤ من سورة الفرقان .
(١٤) من الآية ٧٣ من سورة الحج .
(١٥) انظر التفسير والمفسرون جـ٣ صـ ٢٧٠
(١٦) فى الآية ٨٢ من سورة النساء .
(١٧) الآية ٨٨ من سورة الاسراء .



اللواء الركن محمود شيت خطاب

كنت ولا أزال وسأبقى أعتقد أن الكتابة فى الدين والتكلم فى الدين سلاح ذو حدين : اذا احسن الكاتب أو المتكلم رفع من شأن الدين وجعل الناس يقبلون على قراءة ما يكتبه الكاتبون وسماع ما يقوله المتكلمون بلهفة وشوق ، واذا اساء الكاتب أو المتكلم حط من شأن الدين وجعل الناس ينفرون من الدين ويعرضون عن قراءة ما يكتبه الكاتبون فيه وسماع ما يقوله المتكلمون عنه .

وفى هذه الكلمة الموجزة ، سأقتصر على الحديث عن : الكاتبين فى الدين ، وفى الكلمة القادمة بإذن الله سأقتصر على الحديث عن : المتكلمين فى الدين .

وقد كان من واجبى أن أبدى رأيى صريحا واضحا فى الكاتبين فى الدين والمتكلمين فيه فى أول رمضان ، بمناسبة تخصيص الصحف بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك صفحة من صفحاتها للقضايا الدينية ، وهذا عمل مشكور بدون شك ، فكان من واجب الكاتبين في الدين أن يستغلوا هذه الفرصة الى أبعد الحدود ، لابراز مزايا الدين الحنيف ، وتعميق آثاره فى النفوس والعقول معا .

ولكننى كنت خارج القاهرة فى الايام الاولى من رمضان ، لذلك تأخرت عن كتابة هذه الكلمة . وربما كان الخير فى هذا التأخير ، لاننى اطلعت على ما كتب فى الصفحات الدينية ، فوجدت أكثر ما كتب دون المستوى المطلوب ... ولا أزيد .

قد يكتب كاتب فى الجغرافية أو التاريخ أو الكيمياء أو الفيزياء أو فى العلوم الاخرى ، وهو لا يؤمن بهذه العلوم من قريب أو بعيد ، ومع ذلك قد يفيد القارىء بما يكتب .

ولكن الذى يكتب فى الدين ، لا بد له من الايمان المطلق بعظمة الدين ، وأن يعمل بتعاليمه نصا وروحا ، حتى يستطيع أن يفيد قارئه ويؤثر فيه .

والكاتب الذى لا يؤمن ايمانا مطلقا بعظمة الدين واهميته للناس منهجا للحياة وسبيلا الى الدار الآخرة ، لا يمكن أن يفيد قارئه بما يكتب ولا يؤثر فيه .

ومن العجيب أن القارىء يستطيع

أن يكتشف بسهولة بعد قراءة بضعة سطور مما يكتبه الكاتبون فى الدين ، هل الكاتب يؤمن حقا بما يقول ، أو يكتب ما يكتب ارتزاقا ، أو طلبا للشهرة والسمعة ، أو تظاهرا ورياء .

فاذا وجد القارىء حرارة الايمان فى السطور وبين السطور ، مضى فى قراءته واستفاد منها ، والا ترك القراءة غير آسف ، حرصا على وقته من الضياع ، وحرصا على الدين من التشويه .

وقد داب كثير من القراء فى بلاد المسلمين على قراءة المقالات والكتب والمجلات الدينية .

ولكن هؤلاء القراء على كثرتهم وعلى اختلاف بلادهم وجنسياتهم ، يكادون يجمعون على قراءة ما يكتبه الكتاب المؤمنون حقا بالدين وعظمته ، والمطبقون عملا ما يكتبونه على انفسهم قبل أن يطالبوا غيرهم بتطبيقه عمليا على أنفسهم .

وقد رأيت صدفة جماعة من الازهريين يقلبون صفحات مجلة اسلامية ، ولكنهم اعادوا المجلة الى صاحب المكتبة لانهم لم يجدوا مقالا لكاتبهم الذى يثقون بدينه واستقامته .

وما رأيته فى القاهرة ، رأيته فى مكة المكرمة وفى المدينة المنورة وفى بغداد ودمشق وطرابلس .

ان الحاسة السادسة التى لا تخطىء فى القراء ، هى التى تدلهم على الكاتب المؤمن الحق ، الذى يصوغ مايكتبه بأعصابه قبل أن يصوغه بقلمه .

ونصيحتى للكاتب الذى يكتب فى الدين من أجل الارتزاق أو الشهرة ، أن يكتب فى مجالات أخرى غير الدين لانه سيخفق حتما فى مقالاته وابحاثه الدينية ، وقد يكتب له النجاح فى مقالاته وابحاثه فى مجالات أخرى .

واقصد بأنه سيخفق ، فى امكانه تكوين مدرسة من قرائه يؤمنون ايمانا عميقا بالدين .

فلست أجهل أن قسما من الكتاب الذين كتبوا فى الدين ، وكانت حياتهم سلوكا وأفكارا تناقض تعاليم الدين الحنيف ، قد نجحوا فيما كتبوه من مقالات وكتب نجاحا نسبيا ، نظرا لشهرتهم السابقة ولقوة أسلوبهم الكتابى وذكائهم ، ولكن مقالاتهم وكتبهم لم تستطع غرس الايمان العميق بالدين فى أحد ، كما لم يستطيعوا تكوين مدرسة من القراء تهتدى بهدى آرائهم الدينية وتتلقف اقوالهم وتذيعها بين الناس . وربما استطاعوا تكوين جماعة من الادباء الذين يكتبون فى الدين ويرتزقون بما يكتبون ، وهؤلاء أدباء دينيون — ان صح التعبير ، وليسوا كتابا مؤمنين بالدين .

ان الهدف الحيوى للكاتبين فى الدين ، هو غرس الايمان العميق فى الانفس والعقول ، لا المتاجرة بالدين والتظاهر به والارتزاق منه .

وقد كان السلف الصالح يعتبر العلوم الدينية (عبادة) ، لذلك بارك الله فى مؤلفاتهم وأبقاها نبراسا للمؤمنين .

وخلف من بعدهم خلف يعتبرون العلوم الدينية (تجارة) ، لذلك ذهبت مؤلفاتهم صرخة فى واد ، وماتت فى مهدها وأصحابها أحياء .

ولكن القول بأن الكاتب فى الدين يجب أن يتحلى بمزية الايمان المطلق بعظمة الدين وأن يعمل بتعاليمه نصا وروحا ، لا يغنى عن كل قول .

فالواقع أن الكاتب فى الدين يجب أن يتحلى بمزايا اخرى ، ولو أن المزية السالفة هى الاساس الذى لا يكون الكاتب فى الدين بدونها كاتبا نافعا وداعية موفقا .

يجب أن يكون الكاتب فى الدين عالما بالمبادىء الدينية متخصصا بفرع

من فروعها كالفقه أو الحديث أو التفسير أو القضايا العسكرية من الناحية الدينية .. الخ ... وأن يكون قادرا على وضع أفكاره فى صيغ كتابية سهلة الفهم مقبولة الاسلوب بعيدة عن الاخطاء اللغوية والبيانية .

وأن يكون قادرا على الدخول فى موضوعه مباشرة ، دون مقدمات لا لزوم لها بغير اطناب ممل ، يبدد المعانى ويشتت الافكار ويضيع الوقت سدى .

واذا استطاع الكاتب فى الدين أن يبرز فكرته فى سطور ، فذلك أفضل من ابرازها فى صفحات ..

وصفحة واحدة مركزة ، أفضل من خمس صفحات مطولة . وأبلغ الكتاب وأكثرهم تمكنا من موضوعه وأعرفهم بهدفه المباشر مما يكتب ، هو أقلهم كلاما وأوجزهم كتابة .

وكثير من القراء لا يطيقون قراءة الكتب الضخمة والمقالات المطولة ، وأكثرهم يفضل الكتب الصغيرة والمقالات المختصرة .

فاذا أراد الكاتب فى الدين أن يفيد قراءه بما يكتب ، فليختصر ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وليملأ ما يكتبه بالمعلومات بدون حشو لا مسوغ له ، فان ذلك سيضاعف من عدد قرائه ويزيد فى فائدتهم .

ويجب أن يكون حريصا على ابراز الدروس والعبر الدينية التى تناسب الظروف الراهنة للشعب والوطن وللعقائد السائدة فى تلك الظروف .

فاذا كانت البلاد والامة فى ظروف حربية كالظروف التى تمر بالامة العربية وهى تدافع عن حقوقها المشروعة ضد العدوان الاسرائيلى التوسعى الاستيطانى ، فلا بد من أن يكتب الكاتبون فى الدين بحوثا ودراسات لها علاقة بالجهاد .

وهناك بحوث لها أعظم الفائدة ، تستثير الهمم وتشحذ النفوس ، يمكن استنباطها من تعاليم الدين الحنيف . وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن الكتابة فى : الجهاد بالانفس ، الجهاد بالمال ، كيف يمكن اخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملى ، الاسلام والحرب النفسية ، التولى يوم الزحف ، الشهيد فى الاسلام ، الحرب الشاملة فى الاسلام ، عقاب المتخلفين فى الاسلام ، الكتمان فى الاسلام ، ارادة القتال فى الجهاد ، بطولات اسلامية، قادة الفتح الاسلامى ، واجب رجال الدين فى الحرب ... الخ ...

كما أن الشباب وهم يعانون صراعا فكريا لا هوادة فيه ، محتاجون الى دراسات عن الفكر الاسلامى الاصيل ، وكيف يعالج هذا الفكر القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعسكرية المعاصرة .

ان العقيدة لا تقاوم الا بعقيدة افضل منها ، وفى الاسلام مزايا لو أبرزها الكاتبون فى الدين كما ينبغى ، لاستطاعوا مصارعة الغزو الفكرى والانتصار عليه .

ولست أكتم ما يجول فى خاطرى حين أقرأ بعض المقالات الدينية التى كتبت فى الصحف بمناسبة حلول رمضان المبارك ، فكل مرة أقول لنفسى : « ترى ! أيعيش هؤلاء الكتاب فى الدنيا ، أم هم يعيشون فى الآخرة » ، اذ لا علاقة بين ما يكتبون وبين ظروف الامة والوطن !

وعلى الكاتبين فى الدين أن يبتعدوا عن الكلام المعاد ، وأن يفكروا فى المبتكر الجديد ، وأن يجودوا ما يكتبونه بالدراسة العميقة المستفيضة والتفكير العميق الصادق ، لكى يفيدوا ويستفيدوا .

وعليهم أن يفكروا بالهدف مما يكتبون ، ويتوخوا هذا الهدف ولا

يحيدون عنه أبدا .

أما أن يكتب قسم منهم مقالات أو بحوثا (مرنة) ، لا هدف لها ولا غاية ، تصلح للتهاني والتعازى فى آن واحد ، وتصلح للمدح والقدح فى وقت واحد .. مقالات وبحوث عامة ، لا تضر عدوا ولا تفيد صديقا، يخيل اليك حين تقراها أن رائحة (الجنيهات) التى تقاضاها الكاتب مكافأة عن كتابتها — تفوح منها أكثر مما يفوح العلم والارشاد والتوجيه ، فان ما يكتب فى مثل هذا الحال كارثة من كوارث الفكر ومصيبة من مصائب الدهر .

وهو بدون ادنى شك يضر بالدين ويجعل الناس لا يقبلون على قراءة ما يكتب فيه وينشر عنه .

وعلى الكاتبين فى الدين الا يقتصروا على الناحية السلبية فيما يكتبون ، بل عليهم أن يهتموا بالناحية الايجابية أيضا .

واقصد بذلك ، أن كثيرا منهم يقتصر على ذكر الحقائق المجردة ، دون أن يبدى رأيه صريحا واضحا قاطعا فى الحلول العملية أو فى التطبيق العملى .

فالذين يكتبون فى الجهاد بالمال مثلا ، يجب الا يقتصروا على ذكر الآيات والاحاديث الواردة فى ذلك وامثلة مما فعل السلف الصالح ، بالرغم من أن ذكر كل ذلك ضرورى للغاية ومهم جدا .

بل عليهم أن يبدوا رأيهم فى كيفية تطبيق الجهاد بالمال عمليا فى مثل هذه الايام : هل تتولى الدولة ذلك وكيف ، أم هل تتولى الدولة ولجان من الشعب وضع الجهاد بالمال فى نطاق التطبيق العملى ، وكيف يتم ذلك ؟

هل من المفيد انشاء صناديق الجهاد ، وكيف السبيل الى ذلك ؟

أريد من الكاتبين فى الدين ، أن يتحدثوا عن (المقدمات) وهى الحقائق الدينية المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وآراء الائمة وأعمال السلف الصالح كما سجلها التاريخ الاسلامى العظيم .

ولكن هذه (المقدمات) المجردة لا تكفى ، لانها تذكر الناحية السلبية فقط ، اذ يجب أن تقرر النتائج بعد المقدمات ، وهذه النتائج هى : كيف يمكن تطبيق الناحية السلبية الواردة فى المقدمات على الظروف الراهنة لتكون أعمالا ايجابية فى مجال التطبيق العملى .

ان (المقدمات) لا تكفى بدون نتائج ، والنظريات السلبية ناقصة بدون اقتراح طريقة للتنفيذ الايجابى فى مجال التطبيق العملى ووضع الخطة اللازمة للتنفيذ .

ان الكتابة فى الدين تحتاج الى الاخلاص للدين ، وتطبيق تعاليمه نصا وروحا ، والعلم الراسخ بالدين واللغة ، والصبر الجميل على الدراسة والتفكير العميق لتحديد الهدف واقتناص الجديد ، وابراز الدروس والعبر بالنسبة للظروف الراهنة ، وعدم الاكتفاء بالسلبية بل ابراز الايجابية .

وكل هذا يحتاج الى التفكير العميق والسهر الطويل والصبر الجميل والاخلاص النادر والعمل الدائب والتنظيم الدقيق .

لذلك كان الكاتبون فى الدين قليلين فى كل زمان ومكان ، اذا أدخلنا فى اعتبارنا أن هؤلاء الكاتبين أصحاب مدارس للدعوة وقادة طلاب دعاة، وراجون ما عند الله من أجر لا ما عند الناس من مال .

يريدون وجه الحق ، والحق أحق أن يتبع . يقولون الحق ويغضبون له، ولا يغضبون من الحق ولا يخشون فيه لومة لائم .

وفى تطبيق هذه المقاييس على الذين يكتبون فى الدين اليوم ، فكم يبقى منهم فى قوائم الحساب ؟!



من وجهة نظر الشريعة الاسلامية

للدكتور عبد الرحمن تاج

أعمال شركات التأمين نوعان :

الأول : تأمين على الحياة .

الثانى : تأمين على الاموال .

والتأمين فى كلا النوعين مقتضاه ضمان السلامة . ولكن ذلك ليس معناه منع المخاطر والحيلولة دون أسباب التلف والهلاك ، فانه ليس فى مقدور احد أن يصد طارق الموت اذا حل ، أو يمنع النوازل السماوية اذا عرضت ، فيكون من أكبر العبث وأعظم الحماقة أن تضمن السلامة فى شىء من ذلك او يقبل هذا الضمان ممن يزعمه .

ان ضمان السلامة فى مثل هذه الحالات ليس الا ضربا من المراهنات ، على معنى أن شركة التأمين تتفق مع من يتعاقد معها عقد تأمين على الحياة او المال على أنه ان وقع عطب أو تلف أو هلاك للشخص أو للشىء المؤمن عليه كان عليها تعويض تلك الخسارة بدفع ما التزمت دفعه من المال .

● من البحوث المقدمة لمؤتمر علماء المسلمين السابع الذى عقده مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة .

وصورة التأمين على الحياة أن يعقد شخص مع الشركة عقدا على مقدار معين من المال لمدة محدودة من الزمن ، كخمسة آلاف جنيه لمدة عشرين سنة ، يلتزم الشخص ـــ بهذا العقد ـــ للشركة دفع ذلك المقدار على أقساط شهرية مثلا ، وتلتزم الشركة له دفع هذا المال كله أن تمت له السلامة الى نهاية المدة المحددة ، تدفع له هذ المـــال مع ارباحه الربوية أو من غير أرباح على حسب الشرط المتفق عليه ، وكذلك تلتزم دفع المال كله لورثته أو لمن يعينه خلفا له فى هذا المال اذا مات فى اثنـــاء المدة ، ولو لم يدفع من مال التأمين الا قســـــطا واحدا . ويلحق بالتأمين على الحياة التأمين ضد اصابة جزء من أجزاء الجسم .

أما التأمين على الإموال فصورته أن يعقد شخص مع الشركة عقدا تضمن له به سلامة داره ، أو سيارته ، أو أثاث منزله ، أو بضاعته التى فى متجره ، أو التى يريد نقلها من جهة الى أخرى فى البر أو البحر أو ما الى ذلك من مختلف الاموال ، ويلتزم صاحب المال المؤمن عليه أن يدفع للشركة ضريبة معينة من المال كل سنة أو كل شهر على حسب الشرط .

ويختلف مقدار هذه الضريبة على حسب المـــال المؤمن عليه الذى يتفق الطرفان على مقدار قيمته .

وهذه الضريبة لا يستردها صاحب المال على كل حال ، وانما تكون خالصة لشركة التأمين على خلاف الحكم فى اقساط التأمين على الحياة ، ثم تلتزم الشركة لصاحب المال المؤمن عليه بأن تدفع له قيمة هذا المال كلها اذا هلك أو تلف بحرق أو غرق أو غير ذلك ما دام عقد التأمين قائما ، ولو لم يدفع صاحب المال من الضريبة الا دفعة واحدة .

الحكم الشرعى فى نوعى التأمين

لم يؤثر عن المتقدمين من علماء الاسلام كلام فى موضوع التـــأمين على الحياة أو على الاموال ، فلم يعرف لهم فيه قول بالحـــل أو الحرمة ، لأن هذا الضرب من التعامل لم يكن معروفا فى زمنهم فى المحيط الاســـلامى ولا فى المحيطات القريبة منه . لكنه ـــ فى ظل قواعد الشريعة ومبادئها وعلى ضوء ما استنبطه العلماء المجتهدون من مصادرها من قيود وشروط ـــ يمكن أن يوقف على حكم التأمين بنوعيه ، من وجهة نظر الشريعة الاسلامية ، بعد أن تعرف أوضاع هذا التأمين وآثاره القانونية ، وشروطه وقيوده العرفية التى تســـير عليها شركات التأمين ، وبعد أن يوزن ذلك كله بموازين الشريعة ، فى نصوصها التفصيلية ، وعموماتها الكلية ، وما استقاه الأئمة المجتهدون من مصادر الفقه الاسلامى من ضوابط وقوانين ، فان ذلك اذا أخذ على وجهه الصحيح ، وفهم فهما جيدا عميقا مستوعبا ، أمكن أن يستخرج منه حكم التأمين ، وكذلك حكم غير التأمين من كل ما يعرض فى الحياة من شئون لم يكن للفقهاء السابقين عهد بها من قبل .

وعلى هذا الاساس نقول : ان عقود التأمين على الصورة التى قدمناها ـــ ليس لها مسوغ من الوجهة الشرعية الاسلامية ، حتى فى الحـــــالة التى لا يشترط فيها على الشركة ـــ فى عقد التأمين على الحياة ـــ دفع فوائد ربوية مع أصل مبلغ التأمين المتفق عليه لصاحب العقد على فرض بقائه حيا الى نهاية المدة المعينة ، فان العقد ذاته فاسد مشتمل على شروط فاسدة ، وعلى طريقة

يستباح بها أكل أموال الناس بالباطل ، ومثل ذلك يقال فى حكم التأمين على الاموال كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل .

هذا وقد أورد ابن عابدين — فى حاشيته على الدر المختار(١) — بحثا قيما استخرج به حكم الشريعة فى التأمين على الاموال ، لأنه هو الذى كثر السؤال عنه فى زمنه معبرا عنه باسم (السوكرة) وقد قال فى صورتها : « انه جرت العادة أن التجار اذا استأجروا مركبا من حربى يدفعون له أجرته ويدفعون أيضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى بلاده ، يسمى ذلك المال (سوكرة) على أنه مهما هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن فى دارنا يقيم فى بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان يقبض من التجار مال السوكرة ، واذا هلك من مالهم فى البحر شىء يؤدى ذلك المستأمن للتجار بدله تماما » .

قال ابن عابدين : « والذى يظهر لى أنه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله ، لأن هذا التزام ما لا يلزم » .

أى أن ما لا يلزم شرعا لا يصح التزامه ولا الالزام به ، فلا يحل لمسلم أخذه ، ولا يجوز التعاقد عليه ، فان العقد حينئذ يكون فاسدا .

واذا كان هذا هو حكم عقد التأمين الذى يجرى بين مسلم ومستأمن ، من حيث أن المستأمن قد التزم أحكام الاسلام فى التعامل مدة بقائه فى دار الاسلام ، وانه لذلك قد صارت أمواله كأموال الذميين فلا يجوز أخذ شىء من ماله بغدر أو بعقد فاسد — اذا كان الامر كذلك بين المسلم والمستأمن فأولى أن يكون العقد (عقد التأمين) فاسدا ولا يحل أن يؤخذ به شىء من المال اذا جرى بين مسلم وذمى ، أو بين مسلم ومسلم .

وخلاصة القول أن المسلم ممنوع من الغدر ومن الاستيلاء على مال أحد بغير حق ، سواء أكان مسلما أم ذميا أم مستأمنا . ولا يحل له أن يعقد فى دار الاسلام مع أحد من الذميين أو المستأمنين الا ما يحل أن يعقده مع المسلمين .

هذا — وان وضع مسألة التأمين على الاموال على الصورة التى عرضها (ابن عابدين) واضح منه أن عنصر المستأمنين قام وسيطا بين التاجر المسلم والحربى الذى هو الطرف الآخر فى عقد التأمين . وقد علم أنه لا يجوز للمسلم مباشرة عقد فاسد فى دار الاسلام مع أحد من المستأمنين ولا يحل له أن يأخذ بهذا العقد شيئا من مال حربى أو مستأمن . فاذا لم يكن فى المسألة ذلك العنصر الوسيط المستأمن ، وأجرى عقد التأمين فى دار الاسلام بين المسلم والحربى مباشرة بطريق المراسلة ، أو أجرى بينهما فى دار الحرب بعد دخول المسلم مستأمنا فى تلك الدار أو أجرى بين الحربى وبين حربى آخر شريك للتاجر المسلم فماذا يكون الحكم من حيث صفة العقد ، ومن حيث استيلاء المسلم به على مال التأمين من الحربى .. ؟

و (الجواب) أنه فى دار الاسلام لا يحل للمسلم أن يعقد عقدا فاسدا مطلقا كما قدمنا .. وعلى هذا اذا عقد المسلم عقد التأمين وهو فى بلد الاسلام بطريق المراسلة مع الحربى فلا يحل له أن يأخذ مال التأمين ولو كان القبض قد حصل فى بلاد الحرب لأنه انما يأخذه بناء على عقد فاسد وقع فى بلد الاسلام .

واذا كان العقد قد أجرى فى دار الحرب بين الحربى والتاجر المسلم الذى دخل تلك الديار مستأمنا فان هذا العقد لا يأخذ أحكام الاسلام هنالك ، لأن دار الحرب ليست دار أحكام . فاذا تم قبض المال هنالك أيضا جاز للمسلم أخذه

لأنه يكون أخذ مال لحربي برضاه . وأخذ مال الحربي برضاه جائز بكل حال ، وبكل وجه وسبيل ، حتى من طريق الربا والقمار ، ما دام ليس في ذلك غدر فان الغدر ممنوع على كل حال .

أما اذا اتفق على أن يكون القبض في بلد الاسلام بعد تمام العقد في بلد الحرب فان تم القبض بتراض من غير خصومة جاز للمسلم اخذ المال ، كما جاز ذلك في بلد الحرب .. وان كان هناك تناكر وخصومة فلا يسع القاضي المسلم أن يحكم بذلك المال الذي لم يكن التزامه الا لعقد فاسد .

ومن هذا يعلم أيضا حكم المسألة اذا كان للتاجر المسلم شريك في التجارة حربي هو الذي أجرى عقد التأمين مع حربي آخر وقبض منه مال التأمين بعد هلال التجارة وبعث به الى شريكه المسلم فانه يحل له أخذه ، لأنه مال حربي أخذ برضاه بناء على عقد أجرى في دار الحرب وتم فيه القبض هنالك .

مما تقدم يعلم أن الأصل في الحكم بفساد عقد التأمين وعدم جواز أخذ المال الذي يدفع تعويضا عن الهالك أو التالف هو أن الشركة التي يطلب منها أن تدفع التعويض لا دخل لها ولا تسبب من قبلها في ذلك التلف أو الهلاك ، ولم يكن منها غدر ولا تغرير بالشخص المتعاقد معها في نفس أو مال ، فيكون الزامها بمال التعويض أكلا لاموال الناس بالباطل ، وذلك منهي عنه أشد النهي ..

(قد يقال) ان عقود التأمين تجرى دائما مع شركات مساهمة يمكن أن تعتبر شركات تعاونية على الخير والبر ، يتعاون أصحاب الاسهم فيها على تعويض الخسارة — التي تلحق أحدهم في نفسه أو ماله — مما يدفعونه من أقساط شهرية أو سنوية ، تجمع وتستثمر لينفق منها في مثل هذا الغرض .. وحينئذ تكون هذه الشركات شبيهة شبها قويا بجمعيات البر التعاونية التي يتكون صندوقها من اكتتابات شهرية مثلا لينفق منها على المحتاجين من أعضاء الجمعية بسبب توقف عن الكسب ، أو بسبب المرض أو غيره من الطوارىء التي يحتاج فيها الى المعونة .

والجواب عن هذا أنه لا يمكن قياس شركات التأمين على جمعيات البر التعاونية ، ولا يكفي لتصحيح هذا القياس أن يكون في كلا الطرفين اكتتاب من الاعضاء المشتركين في المنشأة بجزء من المال لينفق من المجموع على النحو المذكور ، فان الامر في جمعيات البر التعاونية لا يخرج عن نطاق التبرع المحض من جميع المكتتبين ، والانفاق من المال المجموع في الوجوه المخصوصة هو تبرع أيضا مبني على تبرعات أعضاء الجمعية بتلك الاقساط ، فليس هناك الزام بواجب ولا التزام بحق يصح أن يكون محلا للتقاضي والخصومة والحكم به من حاكم يحكم بالشريعة الاسلامية . وليس الامر كذلك في التعويض الذي تدفعه شركة التأمين لمن يصاب في نفسه أو ماله فان عقد التأمين يوجب له بحكم القانون حقا على الشركة يستطيع أن يقاضيها عليه ، ويطلب — من أجله — الحكم عليها بجميع ما التزمت به ، تعويضا عن الخسارة التي لحقته ، وذلك الزام بشيء لا يلزم شرعا .

قد يقال أيضا : اذا كان التأمين غير جائز شرعا للمعنى الذي بين هنا وهو أن فيه التزاما والزاما بشيء لا يلزم شرعا ، وفيه أيضا استباحة لأكل أموال

الناس بالباطل ، فكيف يتفق ذلك مع ما اشتهر عن المرحوم الشيخ (محمد عبده) من انه اجاز عقد التأمين على الحياة مع اشتماله على ذلك المعنى عينه : « التزام لما لا يلزم شرعا وأكل للاموال بالباطل » . . ؟

نعم ، قد اشتهر عن الشيخ محمد عبده (رحمه الله) أنه قد أفتى في موضوع التأمين على الحياة فتوى أصدرها حينما كان مفتيا للديار المصرية ، ولم يعقب عليها احد من العلماء ولا من غيرهم ممن تعنيهم شئون الاسلام(٢) .

وقبل الجواب عن ذلك يحسن أن نورد نص السؤال الذى تقدم به المستفتى الى دار الافتاء ونتبعه بنص الفتوى التى اصدرها الشيخ (محمد عبده) ثم ننظر فى هذه الفتوى ومبلغ ما تدل عليه وما يمكن أن يتمسك به من منطوقها أو مفهومها ، لتقر الامور فى نصابها ، وليهدأ بال الناس ويطمئنوا الى أحكام الشريعة وما ينبغى أن يقال فى موضوع التأمين على الحياة أو على الاموال .

وهذا هو نص ما ورد فى صوغ السؤال :

« سأل جناب المسيو هور روسل ، فى رجل يريد ان يتعاقد مع جماعة (شركة) مثلا على أن يدفع له مالا من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيها بالتجارة واشترط عليهم أنه اذا قام بما ذكر وانتهى آن الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة ، وكانوا قد عملوا فى ذلك المال وكان حيا فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الارباح ،واذامات فى اثناء تلك المدة فيكون لورثته او لمن له حق الولاية فى ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الارباح ، فهل مثل هذا التعاقد الذى يكون مفيدا لاربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا . . ؟ نرجو التكرم بالافادة » . .

وقد اجاب الشيخ محمد عبده عن ذلك بما يلى وهو نص الفتوى المشهورة :

« لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزا شرعا ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الاقساط والعمل فى المال وحصول الربح ان يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما خصه فى الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف فى ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح والله أعلم »(٢) .

هذه هى الفتوى التى اشتهرت عن الشيخ محمد عبده فى موضوع التأمين والتى كان يستخدمها اصحاب المصالح فى الترويج لشركات التأمين وهى التى يستند اليها من يستشكل عليه الحكم بفساد عقود التأمين من وجهة الشريعة الاسلامية وأن أخذ مال التأمين من قبيل أكل أموال الناس بالباطل .

والمطلع على السؤال وعلى جوابه لا يرى فيهما شيئا يتعلق بموضوع التأمين على الحياة أو على الاموال ولا يجد فى السؤال ولا فى جوابه أثرا للاركان الاساسية التى يشتمل عليها كل عقد من عقود التأمين والتى بسببها يكون الحكم على تلك العقود بالفساد .

ان هذا السؤال لا ينطبق الا على نوع من الشركات الشرعية التى يكون المال فيها من جانب والعمل فيه بطرق الاستثمار التجارية أو الصناعية من جانب آخر ، وهو ما يسمى فى عرف الفقهاء (بالمضاربة) كما يسمى بالقراض .

لم يعرض السؤال للعناصر الجوهرية فى عقود التأمين ، مثل اشتراط أن تدفع شركة التأمين جميع المال المؤمن به ولو كان عشرات آلاف أو مئات آلاف

الجنيهات اذا حصل هلاك أو عطب لصاحب التأمين ولو لم يدفع من الاقساط المنجمة على عدة سنوات الا قسطا واحدا ، فان هذا الشرط هو صلب المخاطرة والمقامرة ، وهو الذى يلتزم به ما لا يلزم شرعا ويستباح به من المال ما ليس بحق ، وتؤكل به أموال الناس بالباطل .

ليس فى سؤال المستر (هور روسل) الذى تقدم به الى دار الافتاء تعرض لمثل هذا الشرط الذى يفسد به التعاقد ، ولم يعرض السؤال أيضا لنوع الربح الذى ينتج من استثمار المال ولا لطريقة هذا الاستثمار(٤) . والمفتى لا يسعه الا أن يجيب عما يعرض عليه من سؤال وليس عليه ذنب ولا تبعة اذا كانت فتواه تستخدم فى غير ما وضعت له الا اذا أعلم بذلك بعد وقوعه فلم ينكره أو كان يعلم من قبل أن فتواه الصريحة فى تجويز شركة المضاربة والقراض مثلا ستتخذ ذريعة للترويج لشركات التأمين .

واجب على المفتى فى مثل هذه الحالة الثانية أن يسد طريق الفساد على من يريده ، فيبين فى نص فتواه الحكم الشرعى — وان لم يكن مسئولا عنه — فى الموضوع الذى يظن استخدام فتواه فيه ، كموضوع التأمين .

قد يقال : ان أبوابا كثيرة فى الفقه الاسلامى — مثل أبواب الوديعة والاجارة والكفالة قد اشتملت على مسائل وصور عقود قرر الفقهاء الحكم بصحتها ، وبأنه يجب فيها ضمان ما يتلف أو يهلك من مال لأحد المتعاقدين على الآخر وهذه المسائل والعقود يمكن أن تقاس عليها مسألة التأمين على الاموال فيحكم فيها بصحة العقد ووجوب ضمان المال المؤمن عليه لصاحبه فى حالة التلف أو الهلاك .

ففى باب الوديعة قال الفقهاء : « انه اذا أودع شخص عند آخر وديعة وجعل له أجرا على حفظها فان المودع المشروط له الاجر يضمن هذه الوديعة اذا هلكت . فينبغى أن تكون مسألة التأمين على الاموال كذلك ، فان ما يدفعه صاحب البضاعة مثلا من مال لشركة التأمين يعتبر بمنزلة الاجرة على حفظ هذه البضاعة ، كأجرة المودع على حفظ الوديعة . فاذا هلكت البضاعة كلها أو بعضها كان على شركة التأمين ضمان ذلك » .

وفى باب الاجارة قال الفقهاء — فى الاجير المشترك ، وهو الذى لا يقصر نفسه على العمل — لشخص بعينه كالخباز والطحان والكواء والخياط — انه مسؤول عن سلامة ما فى يده من مال للمستأجر فاذا تلف شىء منه كان عليه ضمانه . وعلى هذا يمكن اجراء هذا الحكم فى مسألة التأمين على الاموال فتكون شركة التأمين بمنزلة الاجير المشترك الذى يضمن المال لصاحبه اذا تلف أو هلك .

وفى باب الكفالة قال الفقهاء أيضا : « انه اذا كان رجل معه مال يريد الانتقال به من بلد الى بلد آخر وهو يخشى اللصوص وقطاع الطريق ولا يدرى أى الطرق المأمون وأيها المخوفة فأشار عليه رجل بسلوك طريق معين وقال له : « اسلك هذا الطريق فانه طريق مأمون ، ولو أخذ مالك فيه فأنا ضامن له ، فانه يجب عليه ضمان ذلك المال اذا أخذ من صاحبه فى ذلك الطريق » .

فهذه مسألة يمكن أن تكون من المسائل أو أقرب المسائل التى ينبغى أن تحمل عليها مسألة التأمين على الاموال التى يراد نقلها بالبر أو البحر أو التى يؤمن عليها فى المتاجر أو المصانع أو المنازل خشية الحرائق أو السرقات أو ما شابه ذلك .

هذه هى المسائل التى يمكن ان يتعلق بها من يريد اباحة عقود التأمين على الاموال ممن يأخذون الامور اخذا ظاهريا من غير بحث ولا تمحيص .

لكن هذه المسائل جميعها لا يصح التمسك بشىء منها لاباحة التأمين اذا أخذت على أصولها وفهم فهما جيدا ما قاله العلماء فيها .

وذلك أن مسألة الوديعة على الصورة التى قدمناها — وهى ما تكون بأجر على الحفظ — لا يثبت فيها ضمان المال بالتلف أو الهلاك فى كل حال . انما ذلك فى الاحوال التى يمكن فيها الاحتراز عن أسباب الهلاك أو التلف . فأما اذا كان السبب مما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والغرق فلا يجب فيهما ضمان على المودع . واذا لا يفيد شيئا حمل عقود التأمين على هذه الوديعة ، فان مقتضى عقود التأمين وجوب ضمان المال فى كل حال وبكل سبب من أسباب الهلاك ، من غير فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن . بل ان الغالب فى هذه العقود أنها مقتضية للضمان فى الاحوال التى لا يمكن فيها الاحتراز من أسباب الهلاك ، كما هو معروف .

على أنه لا يمكن اعتبار المال المؤمن عليه وديعة عند شركة التأمين ولا يمكن اعتبار هذه الشركة أجيرة على حفظه حتى يصح قياس مسألة التأمين على مسألة الوديعة ، فان المال المؤمن عليه ليس فى يد الشركة ولا تعلق للشركة به ، فليست المتاجر والمخازن والمصانع التى فيها المال المؤمن عليه أماكن لشركات التأمين ، وليست البضائع المنقولة فى البحر محمولة فى مراكب هذه الشركات ، فلا علاقة لهذه الشركات بالمال المؤمن عليه بحال من الاحوال ، واذا لا يكون هناك وجه شرعى لايجاب الضمان عليها فى حالات العطب أو الهلاك ، فانها ليست جهة مودعة عندها الاموال ، ولا أجيرة على حفظها .

ثم اذا كانت شركة التأمين هى صاحبة المراكب التى تنقل عليها البضائع فى البحر مثلا فانه يمكن اعتبارها أجيرة على النقل وعلى الحفظ من قبيل الاجير المشترك الذى تقرر فى الفقه الاسلامى حكمه ، وهو أنه لا يجب الضمان عليه فى حالات التلف أو الهلاك اذا كان سبب ذلك مما لا يمكن الاحتراز عنه .. وليس كذلك الحال فى عقود التأمين كما علمنا .

بقى الكلام فى المسألة الاخيرة التى قلنا إنها أقرب المسائل التى قد يتعلق بها من يريد اباحة التأمين على الاموال ، وهى مسألة الكفالة وضمان سلامة الطريق ، والحكم الذى قرره الفقهاء فيها هو أن من أشار على صاحب مال بسلوك طريق معين ملتزما ضمان المال اذا هلك من صاحبه فى ذلك الطريق لا يجب عليه ضمان شىء الا اذا كان صاحب المال لا يعلم حقا ما فى الطريق من خطر وكان المرشد لسلوكه ذلك الطريق يعلم جيدا ما فيه من معاطب ومخاوف فانه اذا كان الامر كذلك كان المرشد للطريق غاشا غارا صاحب المال ، فيغرم ما ضاع منه ، أما اذا كان المرشد لا يعلم ما فى الطريق من خطر ، بل كان يعتقد أمنه وانه ليس فيه ما يخاف ويحذر فليس عليه ضمان شىء . وكذلك اذا كان المرشد يعلم بخطر الطريق وكان صاحب المال يعلم ذلك أيضا فانه لا ضمان على المرشد ، لأن صاحب المال فى هذه الحالة يكون هو الذى عرض ماله للضياع ، فانه ليس أحد أحرص على المال ولا أحفظ له من صاحبه ، فارشاد المرشد فى هذه الحالة لم يأت بشىء جديد ولم يحصل شيئا كان غير حاصل ، فلا يكون موجبا لضمان .

(وبعد) فان استقصاء قواعد الشريعة وأحكامها وما بنيت عليه هذه القواعد والاحكام من نصوص خاصة وعمومات شاملة يثبت أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة الا اذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق أو اضاعة على صاحبه ، أو افسد عليه الانتفاع به بطريق المباشرة أو التسبب ، ولا شيء من ذلك بمتحقق فى شركة التأمين التى يقضى التعاقد معها أنها تضمن لصاحب المال ما يهلك أو يتلف أو يضيع بغرق أو حرق أو بفعل اللصوص وقطاع الطريق أو ما الى ذلك ، سواء أكان ذلك مما يمكن الاحتراز عنه أم لا .. وتضمين الاموال بهذه الصورة شيء لا تعرفه الشريعة الاسلامية العادلة التى لا تقر الغبن والحيف ولا تبيح أكل أموال الناس بغير الحق .

شركات التأمين لا علاقة لها مطلقا بالاموال المؤمن عليها ، وكل عملها أنها تكون من أقساط التأمين — التى تجمعها من المتعاقدين معها أصحاب تلك الاموال — رأس مال كبير توجهه للاستربا ح فى قروض وغير قروض ثم تدفع من أرباحه العظيمة ما يجب عليها قانونا من تعويضات عن الخسائر التى لحقت الاموال المؤمن عليها . وليس للشركة دخل فى أسباب هذه الخسارة لا بالمباشرة ولا بالتسبب فمطالبتها بتعويض الخسارة ليس لها وجه شرعى ، كما أن الاقساط التى تجمعها من أصحاب الاموال بمقتضى عقد التأمين ليس لها وجه شرعى أيضا .. فهذه اشتراطات والتزامات فاسدة ، والعقد اذا اشتمل على شرط فاسد كان فاسدا .

ان شركات التأمين هى شركات استرباح بارعة ، رأس مالها فى أغلب الامر هو ما تجمعه من أقساط من أصحاب عقود التأمين ، تستغل هذه الاموال وتستثمرها ، والارباح التى تستفيدها منها أعظم بالضرورة مما تخسره فى حالات التعويض لمن تلحقهم خسارات فى الاموال المؤمن عليها . وذلك أن أعمال شركات التأمين مبنية على دراسات دقيقة واحصاءات شاملة لوسائل النقل فى البر والبحر وحالات السلامة وحالات العطب فى الظروف العادية واوقات السلم والامن . هذه الدراسات والاحصاءات تثبت أن مرات العطب والتلف قليلة جدا ، بل هى نادرة بالنسبة لمرات السلامة ، فلا يضير شركات التأمين أن تعوض من كسبها الواسع عن خسارة هذه الحالات النادرة ، ثم يكون لها الباقى ربحا خالصا .

هذا شيء واضح ومعهود فى شركات التأمين على الاموال . ومثله يقال فى شركات التأمين على الحياة مهما اختلفت الاساليب وتنوعت الطرائق والشروط .

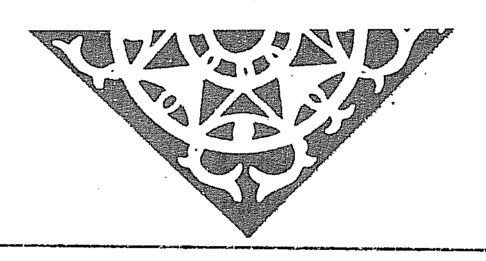
وخلاصة القول أن تعاقد شركات التأمين على الارواح أو الاموال لا يمكن أن يدخل فى باب صحيح من أبواب المعاملات الشرعية .. وغاية ما يمكن تصويره به أنه من قبيل النوع الثالث الذى أشرنا اليه وهو ضمان أمن الطريق فيكون ضمانا لسلامة الانفس والاموال ، وقد قلنا فى ذلك النوع الثالث : « انه لا يثبت فيه الضمان شرعا الا اذا كان هناك تغرير من هذا الضامن بأن كان يعلم ما فى الطريق من مخاوف ومعاطب ، وكان صاحب المال الذى يسلك به الطريق — بناء على ذلك الارشاد — لا يعلم أصلا بهذه المخاوف والمعاطب . فضامن

السلامة حينئذ يجب تضمينه المال الهالك ، بسبب التغرير الذى كان منه لا بسبب آخر ، والتغرير منتف فى موضوع عقود التأمين .

(وبعد) فهذه أوضاع شركات التأمين .. والقوانين الوضعية قد أباحت طرق الكسب التى تجرى على مثل هذه الاوضـــاع ما دام يتفق عليها المتعـــاقدان ، والاتفاق شريعة المتعاقدين فى نظر هذه القوانين ..

لكن الشريعة الاسلامية لها أوضاعها وأحكامها الخاصـــة .. وقد قيدت أنواع المعاملات بين الناس بشروط لا يسوغ الاخلال بها ، أو الاتفـــاق على خلافها .

واذا كانت القوانين الوضعية لا تقر أى اتفاق أو تعاقد بين اثنين اذا كان مخالفا للنظام العام ، فأحكام الشريعة الاسلامية المقصود بها التعامل بين الناس جميعا يجب ملاحظة أنها من النظام العام الذى لا يجوز الاخلال به أو الاتفاق على خلافه .. والله أعلم ..



---

(١) حاشية « رد المحتار على الدر المختار » فى « فصل استئمان الكافر » من باب المستأمن (الجزء الثالث ص ٢٤٥ — ٢٤٦) .

وابن عابدين هو من علماء القرن الثالث عشر الهجرى اى أنه لم يكن من المتقدمين الذين قررنا انه لم يؤثر عنه كلام فى موضوع التامين .

(٢) بالرجوع الى السجلات الرسمية لدار الافتاء يعلم أن هذه الفتوى صدرت فى شهر صفر من سنة ١٣٢١ بناء على طلب من يدعى الخواجة (هور روسل) ويعلم أيضا أن شخصا آخر له مصلحة من وراء هذه الفتوى تقدم الى دار الافتاء يطلب صورة منهـــا ، وانه أجيب الى طلبـــه من غير توقف ، وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من سنة ١٣٤٧ (مايو سنة ١٩٢٩) على عهد مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم .

(٣) وقد حررت صورة من هذه الفتوى بأذن من مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم واعطيت للخواجة (جورج فوشيه) وكيل شركة التامين على الحياة (لاجنفواز) بناء على طلبه .

(٤) نعم لم يعرض السؤال لنوع الربح ولم يبين هل هو جزء نسبى من الارباح الحاصلة من عمل الشركة ، كعشرة أو خمسة فى المائة مثلا من هذه الارباح أو جزء نسبى من المـــال المدفوع للشركة لتعمل فيه ، كان يشترط لصاحب المال من الارباح ما يساوى عشرة فى المائة مثلا من المال الذى دفعه للشركة ، وفرق كبير بين الامرين هو الفرق بين الحلال والحرام .

هذا ولا شك أن الجارى فى عقود التامين هو النوع الثانى الذى يكون فيـــه الربح المشروط جزءا نسبيا من رأس المال المدفوع للشركة وهو المحرم باجماع المسلمين . لكن السؤال قد أخفى هذه الحقيقة الواقعة ليلقى بذلك الابهام ستارا على النقط المحرمة التى توجب فساد العقد شرعا .



للدكتور : مصطفى عبد الواحد

لتجمع الناس بعضهم مع بعض مقاصد يحصل بعضها بالضرورة ، ويتحقق باقيها بالارادة والمعاناة ..

فقد كانت نزعة التجمع الانسانى صادرة عن الشعور بالحاجة الى تضافر الجهد على تحقيق المطالب الضرورية التى لا يقدر عليها الانسان منفردا ، من أمر معاشه وقوامه ..

وهذا الضرب من الاجتماع — كما يقول ابن خلدون — « ضرورى للنوع الانسانى ، والا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم (١) ..

فهل للاسلام من هدف فريد حين يقيم مجتمعه ويبنى صرحه على أساس من العقيدة ويشيد دعائمه على وحيها .. ؟

أو : ما الغايات الفذة التى يبتغيها الاسلام من تحقيق منهجه الاجتماعى وصبغ المجتمع بصبغته ؟

* * * *

يمكن القول إن الاسلام فى بنائه لمجتمعه يهدف الى اقامة الحياة المتوازنة

التى تتجلى فيها خصائص الفطرة وتتسق مع دور الانسان فى الحياه .

والأنظمة الاجتماعية تختلف باختلاف فلسفاتها وأسسها الفكرية ، كما تختلف باختلاف أهدافها وغاياتها القريبة والبعيدة ، والاسلام يقيم مجتمعه على أساس نظرته الى الانسان وادراكه لرسالته وخصائصه .

انه يرى فى الانسان كائنا متميزا ، يجمع الى طاقاته المادية التى تقتضيه الالتفات اليها واجابة ندائها ، طاقات روحية تدفعه الى غايات سامية ذات صدى بعيد فى كيانه .

إنه ليس حيوانا يصغى إلى صوت غرائزه فحسب ، عاكفا على اشباع رغائبها وتحقيق مطالبها ، كما انه ليس ملكا يتسامى عن المادة وينطلق من آصارها ..

ولهذا فان كيان الانسان الحق لا بد أن يقوم على رعاية كلا الجانبين والوفاء بحاجاته المادية والمعنوية ..

فلا بد للمجتمع المسلم أن يبرز الأهداف الروحية وأن يوليها من الرعاية والاهتمام ما يولى الأهداف المادية التى تعد ضرورة للانسان ..

وهو بهذا مجتمع متميز فى منهجه عن المناهج الاجتماعية قديمها وحديثها ، فلا يقصر نظره على مطالب المادة ، ولا يسعى نحو رفاهية العيش فحسب ، ولكنه يقرن ذلك ، بل يؤثر عليه ، أن يمكن الانسان من عبادة خالقه وأن يرشده فى مسلكه فى الحياة ، وأن يصحح اتجاهه فى دنياه ويحول بينه وبين الغواية والشقاء ..

* * * *

والآية التى تحوى شعار المجتمع الاسلامى وتوجز أهدافه هى قول الله سبحانه :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٢) » ..

فنلمح فى أنوارها الغايات التى يبتغيها الاسلام من مجتمعه والأهداف التى يوجه اليها أبناءه ..

انها تعلمنا أن المجتمع المسلم ليس مجتمع كلأ يتجمع أفراده على مثل ما يتجمع عليه الحيوان ، وليس مجتمعا قصير النظر يلتفت الى أحد جوانب الانسان ثم يعشو عن أخطر الجوانب وأولاها بالاهتمام ، فيخطىء فى تقدير الانسان ويضل فى توجيهه ..

بل هو قبل كل شىء مجتمع مبادىء صالحة ، عليه أن يستمسك بها وغايات شاملة لكل جوانب الحياة الانسانية عليه أن يسعى نحوها .

فعليه أولا أن يحقق قيام الحياة الانسانية على الايمان بالله سبحانه والخضوع لارادته والنزول على حكمه وابتغاء رضوانه ، ثم يتجه بالبشرية الى أقوم ما يمكن أن يرقى إليه البشر ويسمو بها الى آفاق الحياة الكريمة المتوازنة .

ولذلك يحقق الخير ويدعو اليه ، وينأى عن الشر وينهى عنه ، ويقيم نظمه وبرامجه على أساس المبادىء الأخلاقية التى تصل بالفرد الى المستوى الذى يصلح له ..

* * * *

ثم يسمو الاسلام بمجتمعه إلى الأفق الانسانى الشامل ، فيجعل عليه واجبا بعد أن ينجح فى اصلاح نفسه وتقويم بيئته ان يمد النظر إلى الآفاق المظلمة فى الأرض ، فى كل مجتمع يشقى بجهله ويتعثر فى سعيه ويضل فى اتجاهه فيرشد ويدعو ويبين ويصلح ، حتى يعم الخير فى الأرض ويسعد الانسان فى كل مكان .

وهذا ما يدعو اليه القرآن بقوله مخاطبا جماعة المؤمنين :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » (٣) ..

وفى ذلك تبدو نظرة المجتمع المسلم الى خير الانسانية جميعا وسعيه الى إسعاد البشر ، لايقف عند حدود ضيقة ولا يبتغى نفعا قريبا ، فما دام فى الأرض جهل وانحراف ، وما دام فيها ظلم وفساد ، فان على المجتمع الاسلامى واجبا لا يسقط ، وعبئا لا يخف ولا يهون . ومن هنا يفترق المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات التى لا تلتزم بواجب انسانى ولا تتحمل رسالة منزهة عن الهوى والغرض ، من أجل نفع الانسان والأخذ بيده إلى الخير والرشاد .

بل تقتصر تلك المجتمعات على أهداف مادية محدودة لا تعدو تحقيق الرفاهية والمتاع لأبنائها أو بعض أبنائها ، على خلاف فى أنماط المجتمعات .

* * * *

والمجتمع المسلم يهدف فى سعيه الأول إلى ان يحقق وجود الانسان ذى الفطرة الصحيحة ، وأن يعينه على أن يحيا الحياة المتوازنة التى أرادها الله للانسان . فهو مجتمع يدرك حقيقة الانسان ويضع برامجه وفق ما يلائم فطرته ، ويمكنه من أن يؤدى واجبه ويحيا فى نطاق الأصيل .

والانسان فى كل زمان بحاجة الى ذلك المجتمع الذى يحول بينه وبين تدمير نفسه والتردى فى مهاوى الشقاء . فربما يبتهج الانسان حين يحيا فى بيئة تفتح له أبواب الشهوات ، أو تتيح له أن يصنع ما يشاء ، ولكنه لن يسعد بذلك أبدا ولن يستقيم .

إنه حقا بحاجة الى البيئة التى تضع له علامات فى طريقه ، تنذره بمواطن الخطر ، وتوصد أمامه سبل الهلاك ..

وذلك ما يصنعه المجتمع المسلم بالانسان ..

إنه يرسم له اطارا لا يتعداه ، يحرص فيه على اشباع ضروراته وتلبية نداء فطرته ، والارتقاء بالانسان الى الغايات التى ترشحه لها مواهبه وخصائصه

ثم يقوم حارسا على الانسان أن يطغى أو يحيد ، بوسائل مختلفة فيها العظة والاقناع ، وفيها كذلك الضوابط والحدود .. فلا يجد الانسان أمامه الا أن يسير فى الطريق المعبد ، دون أن تجره قدماه إلى المتاهات ..

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (٤) » ..

وهذه الغاية ـــ من بناء الفرد الصالح ورعايته ـــ من أهم غايات المجتمع

الاسلامى التى يشير اليها القرآن الكريم ويوجه اليها انظار المسلمين فى كل زمان ..

يقول الله سبحانه :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٥) » ..

وفى هذا إجمال لمقومات الفرد المسلم التى يجب أن تتضح فى صورة المجتمع كله ، من أداء لحق الله سبحانه متمثلا فى اقامة الصلاة ، وأداء لحق الانسان متمثلا فى ايتاء الزكاة ، ورعاية للأهداف الخلقية والاجتماعية متمثلا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

والفرد لا يستطيع أن يتمثل ذلك كله فى غير المجتمع الاسلامى ، إذ يحال بينه وبين تلك المبادىء الصالحة ، وينساق وراء مجتمعه فى سعيه نحو الأهداف المادية حتى لا يتخلف أو ينقطع ..

فلم يكن بامكان المسلم فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة ان يكون صورة لتلك المبادىء التى يريدها الله من عباده المؤمنين . ولهذا أشار القرآن الكريم الى انه لا يطالب المسلمين بتحقيق تلك المبادىء إلا حين يظلهم لواء التمكين فى الارض وتجمعهم ساحة المجتمع الذى يمثل مبادىء الاسلام .. « الذين إن مكناهم فى الأرض » ..

ومغزى ذلك أن الانسان فى المجتمع الاسلامى يكتسب قوة غير قوته حين يعيش وحيدا ذليلا ، فى مجتمع لا يؤمن بالحق ولا يعمل له ، وتتفتح أمامه سبل للعمل والجهاد ليست له حين يحيا على هامش الحياة لا يشارك ولا يتحمل . والمجتمع الاسلامى يحمل على كاهله أن يأخذ بيد كل فرد الى ما يحسن ، وأن يدفعه الى تزكية نفسه قدر ما يستطيع فهو « مجتمع الانسان » بأقصى ما تحمله تلك الكلمة من معان وايحاءات .

وتبدو بين غايات المجتمع المسلم غاية مضيئة لها قداستها فى كل جيل وقبيل ، تلك هى إقامة الحق ورعاية العدالة بين العالمين .

فما عرفت الدنيا مجتمعا يبتغى إقامة الحق منزها وتحقيق العدالة بين الكافة كالمجتمع المسلم .

لقد كان منطق القوة يسود مجتمعات الأرض ، فترعى العدالة لنفسها وتنكرها على سواها ، وتحرص على حقوقها بينما تدوس حقوق الآخرين .

ولكن القرآن كان يرى فى قيام مجتمع يؤمن بالله ويحترم إرادته صيانة للعدالة فى الأرض وانصافا للخلائق أجمعين .

ولهذا كان الخطاب فى القرآن يتجه الى المؤمنين يذكرهم بتلك الغاية الجليلة المرجوة من مجتمعهم والتى لن يفلح فيها سواه ..

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (٦) » ..

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (٧) » ..

وكان الاتجاه الى تلك الغاية حاسما صارما ، لا حيدة عنه ولا هوادة فى الاستمساك به .

مما كان يجعل الوحى الالهى يرقب سعى المجتمع الاسلامى الوليد نحو تلك الغاية ويحمى خطواته اليها ..

فقد نزلت آيات من الكتاب الكريم فى حادثة هينة ، يحدث مثلها الكثير كل يوم فى أنحاء الارض ، وهى اتهام البرىء ومحاولة المذنب الافلات ، ولكن القرآن يرى فيها شائبة تحط من قدر العدالة ، وربما جعلت قيم الحق تهتز فى النفوس .

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » ..

فاذا علمت ان المتهم الذى نزلت تلك الآيات فى حرارتها وقوتها تدافع عنه وتبرىء ساحته ــ كان من اليهود وقد كانوا من ألد أعداء الجماعة الاسلامية اتضحت لك غاية جليلة من غايات المجتمع الاسلامى ، وهى رفع لواء العدالة فى عالم تسوده الأهواء وتنتشر فيه المظالم ..

وكان ذلك الهدف من بين أهداف المجتمع الاسلامى مقياسا صادقا لاستقامة السير وصواب الهدف فى كل أجيال ذلك المجتمع ..

فما دام الحق والعدل لواء يخفق فى ذلك المجتمع ، فهو على صواب ورشد ، وهو فى هدى ونور ..

أما اذا زاغ المجتمع عن الحق ولم يتحر العدالة فى بنيانه وفى سلوكه فهو حينئذ منحرف عن القصد جائر عن الطريق ..

وقد كان استمساك المجتمع الاسلامى بتلك الغاية فى العصور الأولى لمجتمع الاسلام يثير الاعجاب فى كل الانحاء ..

ويبدو ذلك جليا فى معاملة المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن كانوا يخالطونهم .

فقد كانت العدالة المنزهة تتضح فى كل تصرف بين المسلمين وبين غيرهم حتى فى المواقف التى قد يحمد فيها التشفى والانتقام ..

لما فتح المسلمون خيبر أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود فيها على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشىء ..

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطعمونى السحت ! والله جئتكم من عند أحب الناس الى : ولأنتم أبغض الى من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملنى بغضى اياكم وحبى اياه على أن لا أعدل عليكم !!

فقالوا : بهذا قامت السموات والارض (٨) !!

ان هذا الاحساس المرهف لم يكن أثر قانون أو دراسة اكتسبها المسلمون ، ولكنه فعل العقيدة الاسلامية وأثر فكرة الاسلام الاجتماعية التى تضع أمام المسلمين تصورا كاملا لغايات الاسلام وأهدافه . وتجعل إقامة العدل فى قمة الأهداف ..

وكم من شعوب بلغت درجات عالية من العلم والحضارة لكنهـا لم تتعلم كيف تمسك بميزان العدالة مع الناس جميعا ، فآمنت بحقوقها وأهدرت حقوق الآخـرين ..

* * * *

أهـداف فـذة :

وحين نلقى نظرة تاريخية الى مختلف الاهداف والغايات التى ابتغتها شتى المجتمعات الانسانية قبل المجتمع الاسلامى وبعده ، يتضح لنا حقا أن المجتمـع الاسلامى يمتاز عليها جميعا بخصائصه الشاملة ونظره المحيط ونزعته الانسانية المخلصة ..

كانت المجتمعات التى عرفها التاريخ قبل المجتمع الاسلامى شقية بائسة ، يسودها تحكم الفرد واستعلاؤه ، وتضلها نزواته وأهواؤه ، وتدلها مشيئتـه وارادته ..

كانت مجالا للصراع يلتهم فيه القوى الضعيف وتستعلن ضراوة الظلم ، وتذوى فيه مشاعر التراحم ويخفت صوت العدل ..

كانت الحروب تستعر من أجل هوى فرد ، وقودها الشعوب المنهكـة التى لا تملك أمرها ولا تبصر طريقها ..

وكانت الثروات وقفا على أولى البأس ، لا ترتبط بالعمل ولا ترتكن الـى الجهـد ..

وكان الناس فى تلك المجتمعات جماعات تتطاحن تهلكها رحى الحياة الدائرة، لا يملكون من العواطف والمشاعر والآمال ما يخففون به عن أنفسهم وطأة الحياة التى كانت تبدو لهم عبئا ثقيلا لا يقدر عليه الا أولو البأس القادرون على الصراع .

لا تجد فى تلك المجتمعات من وضع نصب عينيه المبادىء التى يصلح عليها أمر الانسان أو استهدف الغايات الانسانية الشاملة التى ينبغى أن يتجمـع عليها البشر . والتاريخ على ذلك شهيد ..

هؤلاء اليونان .. أقدم البشر عهدا بالفلسفة وأحفلهم بالحكمة والمعرفـة لم يستطيعوا أن يقيموا مجتمعا يحقق آمال الانسان أو يصل به إلى الطمأنينـة والسعادة ..

حقا .. لقد حاول فلاسفة اليونان ذلك وذهبوا يضعون للمجتمع ما يرون من الوسائل والغايات ، ولكن الخيال جنح بهم الى آفاق بعيدة ، ولم يكن بمقدورهم ادراك العناصر الكاملة التى تصـلح أن تكون واقعا كريما يحيـا فى ظلاله البشر ..

فقد تصوروا مدينة فاضلة تقوم على طبقات مختلفة ، وفرقوا بين البشر باعتبارات لا يد لهم فيها ، ولم يسلموا بمبدأ المساواة بين بنى الانسان ، بل رأوا فى الرق نظاما أمثل يصلح أمر المجتمع .. ونظروا الى المال نظرات قاصرة لا تصل بالمجتمع الى التكافل ، ولا تحل مشكلة الغنى والفقر .

وكفاهم أنهم لم يضعوا للحياة المنهج العملى الذى يتلاءم مع واقع الناس ويرعى مصالحهم ..

لذلك لم ينجح الفلاسفة فى بناء المجتمع اليونانى ، فلم يسعد ذلـك المجتمع

ولم يسعد غيره ، بل كانت الحروب المستعرة تستهلك المشاعر والموارد ، وتلقى بالناس فى أتون مهين ..

أما الامبراطورية الرومانية فقد كانت مادية طاغية تتعبد للقوة وتمجد الغالب ولا تقيم للشعوب وزنا ، لم تحفل بالقيم الانسانية ولم يثبت فيها للأخلاق بناء ..

وقد استمرت قبضتها الظالمة على شعوب كثيرة ، لم تلق منها خيرا ولم تنج من جبروتها وبأسها ، ولم تسعد بالحياة فى ظلالها ، حتى أفل نجمها وتقلص ظلها بعد ضعف ووهن ..

* * * *

وقد كانت الفترة التى سبقت ظهور الاسلام فترة مظلمة حقا فى تاريخ المجتمع الانسانى ، كانت تلك المجتمعات قد فقدت حق البقاء ولم يعد فى مقدور مجتمع منها هداية الانسان أو اسعاده ..

كانت المظالم والصراع والفوضى تنتاب شعوب الأرض ..

وكانت الدنيا أشبه بغابة واسعة يفترس فيها الأشداء من هم أقل منهم قوة .

وكانت صلة البشر بعضهم ببعض لا تعود الى حق أو عدل ..

والشعوب قد خفت صوتها فى مواجهة الطغاة ، لا تجد ملجأ ولا تهتدى لمنجى يقيها اليأس والهوان ..

حتى جاء الانسان ليبدأ فى كتاب الحياة صفحة جديدة ، وليقيم من الارض مجتمعا مثاليا يصدر عن ارادة الله وينقاد لحكمه ..

مجتمع فاضل حقا .. اذ يقوم على مبادىء صالحة وحقائق لا تتبدل ولا تختلف ...

مجتمع « عادل » لانه يبتغى انصاف الانسان وحفظ حقوقه ، وتحطيم قبضة الجبابرة التى تمسك زمام الشعوب المستضعفة ولأنه يطبق شريعة الله التى حكم فيها بين عباده .. « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٩) ..

مجتمع رحيم ، لأنه يبنى كيانه على أساس أخوة البشر وتكافل الأقوياء والضعفاء ، فلا يجمع بين قطعان متنافرة أو ذئاب متناحرة ، بل يستثير فى بنى الانسان أرق وأندى ما تشتمل عليه نفوسهم من مشاعر ، ويجعل من الغايات الروحية التى يلتقى عليها أفراده سياجا يجمع بين الناس برباط لا ينفصم : « وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم (١٠) » ..

* * * *

مقارنة :

وحين نبحث عن غايات المجتمعات المعاصرة ندرك أيضا تفوق المجتمع الاسلامى عليها وامتيازه بالمزاوجة بين الروح والمادة ووضعه قيما عليه يحرص على تحقيقها ..

ان الحضارة الحديثة لا تجعل لمجتمعاتها غاية أكثر من بلوغ أفرادها

أقصى غاية المتاع واللذة ..

ولا تحفل بالمشاعر الانسانية والقيم التى ترتفع عن المادة وتستعلى على نطاقها .

وذلك قدر مشترك بين المجتمع الرأسمالى والمادى ، على اختلاف فى الوسائل والبرامج .

ففى الغرب يعيش الناس بلا أهداف ولا قيم ، حيث تتبدل الأخلاق وتتغير الموازين ، وتقفر النفوس من الخير وتشتد حدة الصراع ..

ورغم التقدم فى وسائل الحياة وأساليب المتاع ، فان مضمون الحياة نفسها أو الاحساس بقيمها فى هبوط واضطراب ..

ولم يستطع ذلك المجتمع رغم الغنى والرفاهية أن يقضى على الفقر ، ويأخذ بأيدى العاجزين أو يخفف عن الناس قسوة الصراع على موارد الحياة .. ذلك لأنه لا ينظر الى الحياة الانسانية النظرة الكاملة ولا يأخذ فى اعتباره حقيقة الانسان .. فهو فى طريقته يصادم الفطرة ويبدل الأصول الثابتة فى حياة الانسان .

ويدلنا على حالة ذلك المجتمع الغربى ما يسوده من أمراض نفسية وخلقية وما يشيع فيه من جريمة وفساد ..

أما المجتمع المادى فى أنحاء الأرض ، رغم ما يسوده من شعارات وما يغمره من حماسة فهو مجتمع شقى بائس !

فما معنى أن يصير الانسان — فى سعيه الى القوت — عبدا للآله ، سجينا فى قضبان من الرعب والعبودية للبشر ، الذين يوهمونه أنهم يحمونه من الاستغلال والظلم !!

ان الانسان فى المجتمع المادى ليس هو الانسان كما خلقه الله !

انه انسان شائه الفطرة ممسوخ التفكير ، فقد حريته وكيانه ، ورضى من حياته بلقمة العيش وعبادة البشر !!

ويكفى أن يقوم كيان ذلك المجتمع على تجاهل الحقيقة الكبرى فى حياة الانسان وهو أنه عبد للخالق العظيم الذى استخلفه فى هذه الارض واستعمره فيها .. وأن عمارة الانسان للأرض وتفوقه فى استثمار خيراتها ليست الا جزءا من عمله فى هذا الكون ، وليست هى الغاية الوحيدة من وجوده فى الحياة .

* * * *

ان الخطة التى رسمها الاسلام لمجتمعه تتميز بسعيها نحو سعادة البشر جميعا ، فهى لم تصدر عن طبقة ولا فرد ، بل صدرت عن خالق البشر ولم تقم على تجارب قاصرة أو شعارات كاذبة ، بل قامت على مبادىء صادقة تطابق حقائق الأشياء ، وتتفق مع سنن الحياة ..

ولهذا فقد اتصف المجتمع المسلم بالاخلاص لحقوق الكافة والمساواة المنزهة بين طوائف الخلق وبالشمول فى النظر للحياة وتحديد أهدافها .. وبالغايات الروحية من وراء النشاط المادى ، وبمتانة الأواصر التى تربط بين الأفراد فى ذلك المجتمع ..

ولقد نجح المجتمع المسلم فيما فشل فيه سواه من قبل ومن بعد ..

لقد قامت فى الارض بواقعها المادى ومضايقها ومصاعبها أمة عرفت كيف

تحترم ارادة خالقها وتحيا وفق سننه الصادقة ، وكيف تعيش فى واقعها مرتبطة بقيمها صادرة من مثلها ، تخضع الحياة لما تؤمن به من مثل وما تبتغيه من غايات ..

ولا يعترضنا صوت ليقطع علينا السبيل فيقول :

اتعنى بذلك تلك الفترة القصيرة التى عاشها الرسول صلوات الله عليه — مع أصحابه فى المدينة ، أو خلافة أبى بكر وعمر ؟

وهل ننسى بعد ذلك ما نشب بين المسلمين من صراع على الحكم وما ساد مجتمعهم من مظالم فى الأموال والحقوق ، وما ارتفع فى مجتمعهم من عصبية ونعرة .. ؟ !!

والحق أن تلك الاخطاء ليست دليلا على فشل النظام الاسلامى أو صعوبة تطبيقه ولكنها أعراض تنتاب الجماعات وأدواء لا بد أن نضعها فى الحسبان ، وعلل انسانية لا بد أن ندبر لها الحلول ، فان الشر دائما يتعقب الخير ليغتاله ورياح الأهواء دائما تهب لتعصف بالمثل والمبادىء ، فى كل جيل وقبيل .

والاسلام قد وضع فى نظمه ما يكفل حراسة مجتمعه وما يحتم على الأمة أن تستيقظ للذود عن أهدافها وصيانة مثلها ، وان تقف بالمرصاد للذئاب المتربصة التى تغتال حقوق الأمة وتقتنص أمانيها ..

❊ ❊ ❊ ❊

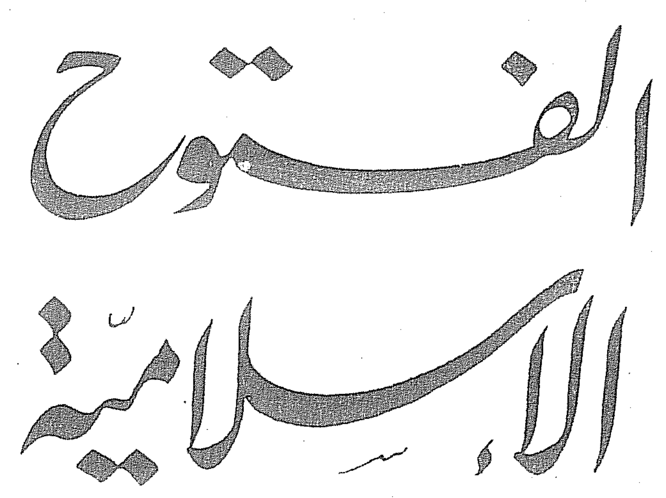
وليس يمكن لأحد أن ينكر أن المجتمع الاسلامى قد بقى يؤدى مهمته ويسعى نحو غاياته ويصون مبادئه طيلة القرون الماضية ، بينما كان ما حوله من المجتمعات الاخرى يعبث فى الظلمات ويتخبط فى المتاهات ويصطلى بنيران الصراع ويعانى من وطأة المظالم .

ولا زال قائما فى كل بيئة يصح فيها الايمان وتصدق النية لاتباع صراط الله المستقيم ..

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣١ .
(١) سورة آل عمران .
(٣) سورة الحج ..
(٤) سورة الانعام ..
(٥) سورة الحج ..
(٦) سورة المائدة . .
(٧) سورة النساء ..
(٨) السيرة النبوية لابن كثير ٣٧٨/٣ ..
(٩) سورة المائدة ..
(١٠) سورة الانفال ..

في مسيرة التاريخ الاسـلامى :



للدكتور : أحمد ابراهيم الشريف

اتجهت الفتوح العربيـة الاسلامية أول ما اتجهت الى العـراق والى الشام ، ومنهما امتدت شرقا وغربا حتى وصلت الى أواسط آسيا من ناحية ، وإلى شاطىء المحيط الأطلسى من ناحية أخرى . وكان لهذا الاتجاه دوافعه ، كما كان له تمهيد سبقه وأدى إليـه .

وأهل العـراق الأولون من الأشـوريين ، وأهل الشـام الاصليون من الفينيقيين . ولقد كانت الصحراء المترامية بينهما تحول فى العصور الأولى دون التقائهما وامتزاجهما ، فان اجتياز الصحراء غير محبب الى أهـل الحضر ، وليس فيها من أسباب الحيـاة ما يجذب اليها .

على أن هذه الصحراء التى لم تجذب اليها الأشوريين من أهل العراق ولا الفينيقيين من أهل الشام فى العصور القديمـة ، قد استهوت العرب من أهل البادية ممن يرون الصحراء الطليقة الحرة سحرا ووحيا وحرية وجمالا ، ويرون الحضر قيدا وسجنا وإن تمتع أصحابه بغايات النعيم . ويذكر المؤرخون هجرة العرب من جنوب شبه الجزيرة العربية الى الشمال ، نتيجة للاضطرابات التى حلت باليمن فى الداخل لإلحاح الأحباش عليها بالغزو من الخـارج ، واتخاذ الروم البحر الأحمر طريقا للتجارة ، الأمر الذى شـغل الحكومات اليمنية عن الاهتمام بالشئون الداخلية ، كما أضعف مواردها الاقتصادية بعد تقلص التجارة التى كانت ترد من الشرق الهنـدى ، فأهملت لذلك شـئون الإرواء وتهدمت السدود التى كان أهمها سدود مأرب ، فتخربت الأراضى الزراعية وضاق الرزق على السكان . ويذكر المؤرخون أن هذه الهجرة بدأت فى القرن الميلادى الثانى. ومع التسليم بهذه الروايات التى يقول بها المؤرخون ، فلا ريب فى أن قبـائل من العرب قد استقرت ببادية الشام وبادية العراق قرونا طـويلة من قبل ، متخلفة عن القوافل التى كانت ترد العراق أو الشام للمتاجرة أو للغزو .

وقد أقام العرب الذين نزحوا الى العراق والى الشام على حدود الحضر

فى كل من الدولتين ، ولم يكن مقامهم على الحدود مما اضطرتهم اليه سياسة الدولة التى نزلوا بها ، وإنما جذبتهم البادية اليها فلم يستطيعوا مقاومة سحرها كما استهواهم الحضر ليكونوا على مقربة منه كى ينالوا رزقهم دون مشقة ؛ وذلك شأن البادية فى كل عصر . ومن العجب فى أمر البدوى أنه ، على تعلقه بالبادية وحبه إياها وانجذابه اليها كلما بعد عنها ، شديد الإعجاب بالحضر وما يحيط به من زروع ونضرة ، وما يبدو على أهله من نعمة ورفاهة عيش . وكان ذلك شأن القبائل العربية التى هاجرت الى العراق والى الشام ، على تفاوت بينها فى التعلق بالبادية والانجذاب الى الحضر . ومع أن أكثرها نعم بالحضر وترفه ، فلقد ظل حرصها جميعا على حياتها العربية شديدا ، كما ظلت العلاقات بينها وبين شبه الجزيرة العربية متصلة على مر القرون . ولم تلبث باديةالشام وبادية العراق حين استقرت فيهما القبائل العربية التى هاجرت اليها أن صارت كأنها قطعة من شبه الجزيرة العربيــة ، واستطاع الغساسنة ــ الذين كانوا أقوى القبائل فى بادية الشام ــ أن يقيموا لهم مملكة عرفت بمملكة بنى غسان على حدود الشام ، كما أقــام اللخميون لهم مملكة فى الحيرة على شــواطىء الفرات . ولقد كان دأب هؤلاء العرب يومئذ كدأب بنى وطنهم دائما ، يشاركون الأمة التى يقيمون على حدودها مصيرها ويشاطرونها آمالها . ومن ثم سلموا فى الشام بحكم الروم ، وفى العراق بحكم الفرس . وإنما كان ذلك منهم تسليما بالأمر الواقع أكثر مما كان إذعانا لغلب القوة ، ومن أجل ذلك كانت الأوضاع السياسية تتغير فى أمرهم تبعا لقوتهم وضعفهم ، وكان لهم أكثر الأمر استقلال ذاتى حرصوا عليه ودافعوا عنه .

كان الســلطان فى العراق وفى الشــام متداولا بين الامبراطــوريتين الفارسية والرومية ، فكانت فارس تنتزع الشــام من الروم أحيانا وتضمه الى العراق التابع لها ، وكان الروم يحــاولون انتزاع العراق من فارس أحيــانا ليضموه الى الشام التابع لهم . وكان العرب الذين نزحوا الى هذه الجهــات ينضمون فى كثير من الأحيان الى جيش الفرس أو جيش الروم . وأدى ذلك الى أن فكرت الدولتان فى اتخاذ هؤلاء الذين نزلوا البادية الممتدة بينهما سـدا يحول دون اعتداء احداهما على الأخرى ، ليبقى الشــام خالصا للروم ويبقى العراق خالصا للفرس . على أن هذه القبائل العربيــة انحازت بحكم منازلها فى البادية الى أقرب حضر لها ، فانحاز المقيمون على حدود الشام الى الروم ، وانحــاز المقيمون على حدود العــراق الى الفرس ، مع احتفاظهم جميعــا باستقلالهم الذاتى ، ومعيشتهم البدوية ، وحياتهم العربية الخالصة .

على أن احتفاظهم بهذه الخصــائص لم يحل دون تأثرهم بحيــاة الحضر القريب منهم وسياسة الدولة التى يخضع لها هذا الحضر ، بل لقد تغلغل فى هذا الحضر من أنس منهم فى نفسه الكفاية لامتثال حياة الحضر والاضطلاع بأعبائها ، وبلغ من ذلك أن امتد سلطانه وعظم نفوذه .

فأما فى بادية العراق فقد استغل العرب الثورات التى ألمت ببلاد الفرس وتغلب زعمــاء الطوائف بها واســتقلال كل بناحيته ، فدخلوا حوض الفرات وأنشأوا لهم على شاطئه مدينة الأنبار ، ثم أنشــأوا الحيرة التى ما لبثت أن أصبحت عاصمة لمملكة عربيــة سيطرت على غرب الفرات بين الأنبار والحيرة ثم امتدت شمالا الى أن اتصلت ببادية الشام منذ سنة ٢١٥ م وعلا شأن مملكة الحيرة ، وقام ملوكها بدور كبير فى الصراع الذى احتدم بين الفرس والروم .

وفى الوقت الذى كان فيه اللخميون يسيطرون على غرب العراق ، كان أذينة بن السميذع على رأس عرب الشام يقف مترددا بين الفرس والروم فى الصراع الذى قام بين فيليب امبراطور الروم وسابور عاهل الفرس ، وحين مالت الكفة آخر الأمر الى جانب الفرس نهض بقوته العربية فتصدى لهم وهزم جيوشهم وطاردهم الى عاصمتهم المدائن ، وبذلك سمت مكانته عند الروم ، وصار صاحب القدح المعلى فى محاربة الفرس ، وبعد أذينة حكم أبناؤه ، وكان آخر من تولى من أسرته زوجته زنوبيا أو الزباء ، التى امتد سلطانها حتى ضمت إليها الشام كله ومصر ، واضطرت امبراطورية الروم لكى تهزمها الى أن تنهض اليها بكل قوتها ، وبانتهائها انتهى عهد بنى السميذع بالشام ، وخلفهم على عرب هذه الجهات الغسانيون من أبناء جفنة .

وحين ننظر الى الموقف فى منتصف القرن الثالث الميلادى ، نرى الأمر قد صار فى شرق الشام وغرب العراق الى العرب ، فهؤلاء الذين نزلوا البادية أول ما نزلوها قبائل مهاجرة قد صاروا الى حيث يعتد بهم الروم وتعتد بهم فارس ، وتحرص كلتا الدولتين على ولائهم لها ومناصرتهم إياها ، وتعترف كلتاهما لهم بالاستقلال الذاتى تقديرا لشجاعتهم وإقدامهم . ونستطيع أن نقول إن بلاد العرب امتدت من خليج العرب وخليج عدن جنوبا الى الموصل وأرمينية شمالا ، وإن تأثر عرب العراق وعرب الشام بحضارة الفرس وحضارة الروم أكثر مما تأثر بهما سواهم من سائر بقاع شبه الجزيرة .

من ذلك نرى أننا فى حل من أن نقول ان هؤلاء العرب فى العراق والشام كانوا الطلائع الأولى فى التمهيد للفتح العربى وللامبراطورية الاسلامية . وان كان ذلك لم يدر بخلد أحد فى ذلك الوقت بطبيعة الحال ، فلم يكن أحد يتصور بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ، وما أدى اليه ذلك من وحدة بلاد العرب ، ومن سمو الروح العربية الى حيث سمت . لكن مقام هؤلاء العرب بين الفرات وأودية الشام ، واحتفاظهم بخصائص حياتهم العربية ، واتصالهم بأهليهم وبمن يحيطون بهم فى شبه الجزيرة ، كل ذلك كان مقدمة لما تلاه بعد أربعة قرون من زحف عرب شبه الجزيرة إليهم محاربين ، لتحل الامبراطورية الاسلامية محل الامبراطوريتين الفارسية والرومية .

إذا كان عرب العراق قد اتصلوا بالفرس ، وعرب الشام اتصلوا بالروم ، وشاركوا فى الصراع الدائر بينهما كل فى ناحيته ، وتأثروا بحضارتهم بحكم الاتصال بين الطرفين ، فماذا كان موقف عرب العراق من دين الفرس ، وموقف عرب الشام من دين الروم ؟. أتأثرت قبائل العراق بالمجوسية الفارسية فأقبلت عليها ؟! وتأثرت قبائل الشام بوثنية الرومان ، ثم بالمسيحية بعد ذلك فأقبلت عليها ؟! أم أعرض هؤلاء وأولئك عن ديانة الطرفين جميعا ، واحتفظوا بوثنيتهم يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ؟

لقد وجد من عرب العراق من أجادوا الفارسية ، وفقهوا تيارات الفكر الفارسى فى الفن والأدب والدين ، وتبينوا تعاليم زردشت ومثنوية مانى وزندقة مزدك ، ولم يكن ذلك عجبا وقد أتاح لهم رغد العيش وترف الحياة أن يتثقفوا وأن تبلغ بهم ثقافتهم علم ذلك كله ، وعلم ما اتصل بهم من تفكير اليونان وفلسفتهم . وكان شأن عرب الشام كذلك فى اتصالهم بثقافة الروم وأدبهم ودينهم ، بل ربما بلغوا شأوا أبعد مما بلغه عرب الحيرة ، لأنهم كانوا أقرب اتصالا بالمدنية اليونانية والرومانية . لكن مع كل ذلك لم يأخذ عرب العراق

بمجوسية الفرس مع اتصالهم بهم وإعجابهم بحضارتهم ، ولم يأخذ عرب الشام بوثنية اليونان أو الرومان ولم يعبـــدوا آلهتهم . فلما استقرت المســـيحية فى الامبراطورية الرومية هوت إليها النفس العربية فى الشام والعراق جميعا .

لم يكن الدافع الى اعتناق المسيحية دافعا سياسيا ، فانه اذا جاز أن يقال ان ملوك الغساسنة تنصروا ليرضوا قياصرة الروم ، وان قبائل الشـــام تنصرت جريا على المثل القائل « الناس على دين ملوكهم » فان هذا القول ليس بجائز بالنسبة للقبائل العربية فى العراق ، فقد تنصر من قبائل العراق كثيرون كانوا يدينون لملك الحيرة الذى كان يحارب النصرانية حليفا للفرس . وإذن فلا بد من دافع آخر أدى بهذه القبائل لتدين بالنصرانيـــة ، وهذا الدافع متصـــل بالعقلية العربية وميولها الروحية .

والعقلية العربية بفطرتها بدوية مستقيمة ، تريد الحقيقة فى بساطة ، وتقصد إليها فى غير التواء ولا تعقيد . ومثنوية مانى وزندقة مزدك تستهوى من يعجبهم الحوار ويغريهم الجدل ، وكذلك الأمر فى فلسفة اليونان . ولا تميل العقلية العربية الى مثل هذا التعقيد الجدلى . لهذا هوت نفوس العرب الى المسيحية وأخذت بها واطمأنت اليها .

والمسيحية دين سماوى أقر الاسلام صفاءه الأول ، فلا عجب أن يكون أخذ العرب بها فى الشام والعراق من طلائع التمهيد للفتح العربى الاســـلامى بعـــد ذلك .

وفى نهاية القرن السادس الميلادى كانت مملكتا الحيرة وغسان قد بلغتا غاية مجدهما ، وأثبتتا فى الصراع الدائر يومئـــذ قدرة عظيمة على النهـــوض والتقدم ، الأمر الذى أثار شكوك الفرس والروم تجاههما على السواء ، على الرغم مما قدمتاه لكل من الطرفين من خدمات . فأما كسرى أبرويز ملك فارس فلم يرض عما بلغ النعمان بن المنذر من سلطان امتد حتى بلغ دجلة ، حيث بنى النعمان مدينة النعمانية على مقربة من المدائن عاصمة كسرى ، ولم يعجبه ما يرفل فيه من نعمة وما يضم بلاطه من فخامة ، فكاد للنعمان حتى حبسه ثم قتله ، ثم قضى على سلطان اللخميين جميعـــا . وتأثر العرب بمقتـــل النعمان وحقدوا على كسرى ، وأغاروا على حدوده وتجاراته ، فلما جرد جيشا لتأديبهم التقوا به فهزموه شر هزيمة فى معركة ذى قار سنة ٦١٠م ، وقد وافق هـــذا العام مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عنه أنه قال « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بى » .

وأما الغساسنة فقد غير الروم سياستهم نحوهم ، ودبروا مؤامرة لقتل ملكهم المنذر بن الحارث ،، ولما فشلت المؤامرة احتال الروم حتى قبضوا عليـــه ونفوه الى صقلية سنة ٥٨١م ، وكذلك فعلوا بابنه النعمان بن المنذر الغسانى ، وبذلك وقعت الفوضى على أثر ذلك فى بلاد الشام ، الأمر الذى مكن الفرس من الاستيلاء على الشام ، حتى عادت الروم اليه بعد ذلك فى عهد هرقل قبـــل الفتح الاسلامى بسنوات قليلة .

وقد كان غدر الفرس بالحيرة وبعرب العراق ، وغدر الروم بالغساسنة ، وتذمر العرب فى كلتا الناحيتين ، من ممهدات الفتح العربى بعد ذلك بقليل .

وقبل أن ندخل فى تفاصيل الفتوح العربية يحسن أن نعرض لمعنى الفتح ومقومات الفتوح وظروفها :

تم على يد النبى صلى الله عليه وســـلم توحيد الجزيرة العربيـــة من

الناحيتين الدينية والسياسية ، ثم تدعمت هذه الوحدة وثبتت أركانها على يد أبى بكر الصديق ، بعد قضائه على حركة التمرد التى قامت بها القبائل العربية وعرفت باسم « الردة » ، ولم يكد يمضى على وفاة النبى صلى الله عليه وسلم عام وبضعة أشهر حتى دخل العرب فى مرحلة جديدة هى مرحلة الفتوح .

ولفظ « الفتح » فى المفهوم الاسلامى معناه النصر المؤيد بالعناية الإلهية ، أو النصر الممنوح من لدن الله تعالى . ولا يشترط فى إطلاق لفظ « الفتح » على النصر أن توجد حرب ، ففى فتح مكة لم تقع حرب بمعنى الكلمة ، وقد اعتبر دخول مكة فتحا ، وابلغ من ذلك دلالة على ما نقول تسمية « صلح الحديبية » فتحا ، وتلك تسمية ثابتة ثباتا مطلقا بسورة الفتح « انا فتحنا لك فتحا مبينا » مع أن النبى فى هذا العام (٦هـ) قصد مكة معتمرا ، فمنعته قريش من دخولها ، وظل يلاينها حتى انتهى الأمر بصلح بين الطرفين هو « صلح الحديبية » .

فلفظ « الفتح » يطلق على كل عمل سياسى إيجابى من شأنه البناء لا الهدم ، ومن شأنه كذلك أن يتوفر فيه الصالح العام . ونظن أن الكلمة إسلامية وانها لم تعرف بهذا المعنى من قبل . وإنما اختار الاسلام هذا اللفظ لأن الله وعد المسلمين اذا صدقوا الايمان وأخلصوا للدين ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . فكل نصر يحرزه المسلمون إنما هو آت من الله ، وهو موافق لإرادته ولما كتبه « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » .

والفتوح ظاهرة من الظواهر التاريخية المطردة ، تحدث كلما توحد شعب كان مفككا ، أو كلما نهض شعب وأصلح نفسه بنفسه وأحس بكيانه . فالفتوح التى عرفت قديما هى فتوح الاسكندر التى جاءت عقب نهضة المقدونيين الحربية وتوحيد الإغريق ، وفتوح الرومان التى جاءت بعد أن بسطت الدولة المدينية التى هى روما ــ سلطانها على شبه الجزيرة الإيطالية ووحدت بذلك الشعب الرومانى ، وكذلك الحال فى فتوح المغول بعد أن وحدهم جنكيز خان . والفتوح النابليونية التى جاءت بعد أن قام الفرنسيون بالثورة الفرنسية وأصلحوا من حال أنفسهم .

وقد اعتاد المؤرخون أن يردوا مثل هذه الظاهرة ، اما الى حركات تقوم بها الشعوب تحت ضغط شعوب أخرى من ورائها ، فيدفع شعب شعبا حتى تصل قوة الاندفاع الى قلب العالم المتحضر . واما الى إحساس الشعوب المغيرة بقوميتها وبكيانها ، وبدخول العزة فى قلوب أبنائها ، بحيث يحملهم على الاعتقاد فى أفضليتهم على غيرهم ، وفى حقهم فى أن يحكموا غيرهم من الشعوب . وينضاف الى هذين التفسيرين تفسير ثالث ، وهو أن مراكز الحضارة تنطوى دائما على قوة جذب كبيرة بالنسبة للشعوب الاقل حضارة ، فتتجه هذه الشعوب بغاراتها الى العالم المتحضر .

وخروج العرب من جزيرتهم الى المجال الخارجى ، واندفاعهم فى حركة الفتوح ، احدى هذه الظواهر التاريخية ، وينطبق عليها ، من وجهة التفسير العام لحركات التاريخ ، ما ينطبق على غيرها . فالعرب قد تم لهم من الوحدة الدينية والوحدة السياسية ما كان حدثا بالغ الأهمية فى تاريخهم ، فهم لم يألفوا هذه الوحدة فى تاريخهم الطويل ، فلما تحققت لهم الوحدة بقيام الدولة الاسلامية ، وألف الاسلام بين قلوبهم ذهب التنافس الذى كانت تثيره

العصبية القبلية ، وانمحى تبعا لذلك الخلاف ، وحسن التعاون والتعاضد، شملتهم نهضة قومية أحسوا معها بأنهم أصبحوا خلقا جديدا ، وتكونت لديهم نزعة جديدة ، فأصبح العربى ينزع للدم العربى والأمة العربية والجنس العربى ويفخر به ، بعد أن كان ينزع من قبل الى عشيرته وبطنه وقبيلته وحسب .

كل هذا ملأ العرب احساسا بالقومية وأدخل العزة على قلوبهم . وهم حين سمعوا قول الله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » اعتقدوا بأفضليتهم ، وبأن لهم رسالة عليهم أن يؤدوها للعالم من حولهم .

ثم انه كان طبيعيا — اذا سرنا مع منطق التفسير العام — أن يتجه العرب حين خرجوا من جزيرتهم الى قلب العالم المتحضر ، ولم يكن يعقل أن يديروا ظهورهم الى العالم القديم المجيد ، ليدخلوا مجاهل أفريقيا أو يتجهوا الى الحبشة . وكان ما حدث من اصطدام العرب بالفرس والروم وما أدالوا منهم .ويفلسف المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون هذا الموقف بقوله :« ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية ، وتفرد الوجهة الى الحق ، فاذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شىء ، لان الوجهة واحدة ، والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه . وأهل الدولة التى هم طالبوها — وان كانوا أضعافهم — فأغراضهم متباينة بالباطل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل ، فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم ، بل يغلبون عليهم ، ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل . وهكذا كما وقع للعرب صدر الاسلام فى الفتوحات » .

هذا من وجهة التفسير العام للحركة العربية ، باعتبارها ظاهرة تاريخية. ولكن لا بد من البحث عن الاسباب المباشرة التى دفعت العرب الى الالتحام بدولتى ذلك الزمان — الفرس والروم — فى وقت واحد . ثم لا بد من تفسير لما تحقق لهم من نصر كامل على هاتين الدولتين الكبيرتين .

وقد رد المؤرخون خروج العرب الى المجال الخارجى بعد ظهور الاسلام الى عدة أسباب : —

١ — بعض المؤرخين يرد ذلك الى جدب الجزيرة العربية ، ورغبة سكانها الذين ازدحمت بهم فى البحث لهم عن مخرج فى البلاد الغنية المجاورة لهم . ويرى هذا الفريق من المؤرخين أن توسع العرب ما هو الا واحدة من سلسلة الهجرات التى حملت الساميين مرة أخرى الى بلاد الهلال الخصيب وما وراءه .

٢ — بينما يرد بعض آخر من المؤرخين خروج العرب الى العراق والشام الى أن الضرورة السياسية هى التى أملت على الخليفة الاول أبى بكر الصديق أن يدفع بالقبائل العربية للمجال الخارجى ، للقضاء على روح التمرد لدى هذه القبائل ، بعد أن قضى على حركة الردة ، فيشغلها بعمل خارجى ترضى فيه روح القتال الطبيعية لديها ، ثم ليكون الجهاد وسيلة الى جعل القبائل المتمردة ترضى بالاسلام وتحرص على مصلحته ، لما ينالها من وراء هذا الجهاد من غنائم كبيرة ..

٣ — بينما يرى فريق ثالث من المؤرخين أن الحماس الدينى هو الذى دفع العرب للاصطدام بجيرانهم لينشروا الاسلام بقوة السلاح .

ونحن نرفض هذه التعليلات كلها ، ونرى أن هؤلاء المؤرخين قد جانبهم التوفيق ، وأنهم جانبوا الحق ، اما لخطأ منهجى وقعوا فيه ، واما لغرض غير خليق بالعلماء وهو النيل من الاسلام بالباطل .

فأما أصحاب الرأى الاول ، فانهم قاسوا الحركة الاسلامية على ما مضى من تاريخ الجزيرة العربية . فهم قد رأوا الجزيرة العربية من قبل مركزا لهجرات تقوم بها القبائل نتيجة لاضطرابات داخلية أو عسر اقتصادى . لكن هذه الهجرات العربية لم تكن تدفعا قبليا وغزوا ، وانما كانت تحركات اطرادية بطيئة ، وكان قصاراها حين تصل الى العراق والشام أن تستقر على مشارف البادية . كما لم تكن وراءها دولة تدفع بها وتسوقها . ويختلف الامر عن ذلك فى حركة الفتوح العربية بعد الاسلام ، فلم تكن هذه الفتوح هجرة قبلية مدفوعة بظروف الاضطرابات الداخلية أو بالعسر الاقتصادى ، فان الجزيرة العربية لم تسدها وحدة ولم يستقر بها نظام يربط بين كل قبائلها من قبل كما سادها هذا النظام بعد توحد العرب بالاسلام ، ثم انها كانت فى أفضل ظروفها الاقتصادية ، نتيجة لسيطرتها على الطريق التجارى الآمن فى ذلك الوقت ، وقيامها بدور الوسيط بين الشرق والغرب لنقل التجارة العالمية ، الامر الذى أنعش اقتصادها ، وأدى الى قيام الاسواق الكبرى بها . تلك الاسواق التى جعلت الاقتصاد المحلى يسهم فى الاقتصاد العالمى من ناحية . ومن ناحية أخرى كانت مجالا لحل المنازعات القبلية وقيام التحالفات الكبرى بين القبائل العربية ، فضلا عن توحيد المفاهيم العربية .

هذا الى أن التحرك العربى كان وراءه دولة تقوم على تنظيمه ودفعه وحشد الطاقات المادية والمعنوية له . ولم يكن تحركا اطراديا بطيئا وانما كان غزوا سريعا قويا والتحاما عسكريا عنيفا .

واذا كان العرب قد حملوا معهم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فى حركة الفتوح ، مما يعطى مشابهة بحركة الهجرة ، فان الجيش العربى كان مكونا من رجال القبائل ، والقبائل كانت تجرى على عاداتها فى حروبها من حمل الابناء والنساء والاموال معها فى حروبها . فالجيش العربى الذى كانت تحارب به الدولة لم يكن جيشا نظاميا كالجيوش التى تستخدمها دول الحضارة ، وانما كان جيشا تلقائيا قبليا . ولم تحدث الهجرة الا بعد نجاح الفتوح واقامة القواعد العربية ، وكان التهجير عملا رسميا تقوم به الدولة ، لا على أنه تهجير لذاته ، ولكن لان القبائل هى جيش الدولة ، والدولة تنقل فروع القبائل المتخلفة كأمداد لجيوش الدولة ، فتصبح من قوات الجيوش المرابطة فى الامصار .

وأما أصحاب الرأى الثانى ، فان رأيهم مردود بما حدث فعلا ، ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه ، عند تسيير قواته الى العراق والشام ، منع القبائل المرتدة — وهى القبائل التى قامت بحركة التمرد على حكومة المدينة — من المشاركة فى الغزو ، واقتصر على من ثبت ولاؤه للدولة فى أثناء حركة التمرد . وكان هذا عقابا للمرتدين بحرمانهم من الحرب الى جانب المسلمين ، واشعارهم بالذل والخزى لوقوفهم ضد حركة التوحد العربى .

وأما الرد على أصحاب الرأى الثالث فهو كامن فى مجرى تاريخ الاسلام كله ، فالاسلام كمبدأ لم يفرض الدين بالاكراه « لا اكراه فى الدين » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » .

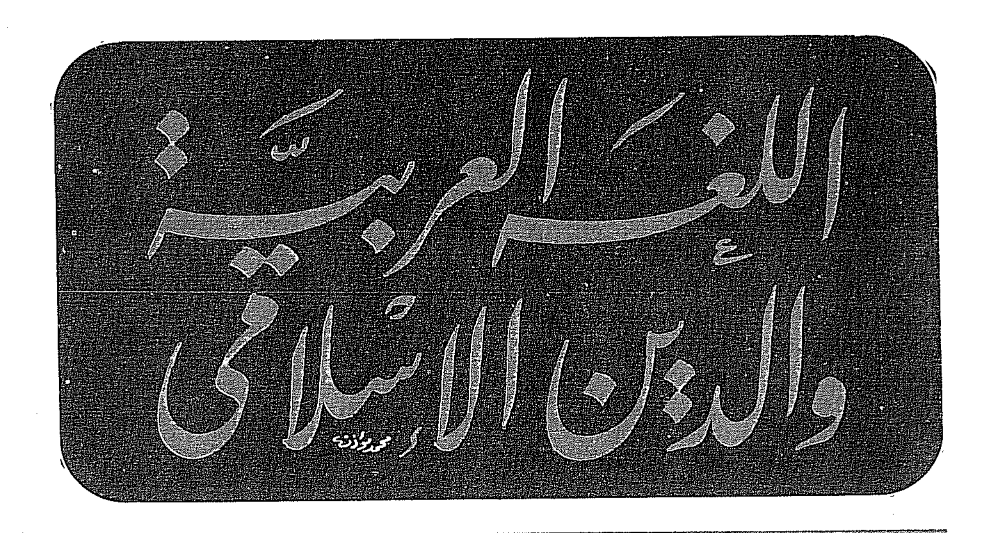
وتاريخ الاســـلام شاهد على تطبيق هذا المبدأ ، لم يخالفه المسلمون مرة واحدة . فالنبى صلى الله عليه وسلم قبل يهود المدينة فى دولته ، ووضع فى الصحيفة وهى دستور الدولة بندا صريحـــا « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » وحين كاد اليهود للمسلمين واضطر النبى صلى الله عليه وسلم الى محاربتهم فى المدينة وفى خيبر ، لم يكره احدا على اسلام ، ولم يقتل الا بنى قريظة نتيجة لارتكابهم جريمة الخيانة العظمى باتصالهم بالعدو ساعة الحرب وتعريضهم الدولة للسقوط فى غزوة الخندق . وقد اجتمع الى النبى فى المدينة وفود من الاديان الكبرى السماوية من اليهود والنصارى ، ناقشوا النبى وجادلوه ، ولم يكن موقف النبى منهم الا كما عبر عنه القرآن الكريم « قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، وقد صالح النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأبقاهم على دينهم ، وضمن لهم سلامة كنائسهم وبيعهم ، وقد جاء فى كتابه الــذى كتبه لهم « . . لنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبى رسول الله ، على انفسهم ، وملتهم ، وارضهم وأموالهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وغيرهم وبعثهم وأمثلتهم ، لا يغير ما كانوا عليه ، ولا يغير حق من حقوقهم وامثلتهم ، لا يفتن أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقه (كاهن) من وقاهيته ، على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . . ولهم على ما فى هــذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى ابدا ، حتى يأتى أمر الله ، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم ، غير مكفلين شيئا بظلم » .

وكذلك صالح النبى مـــدن اليهود كلها : أيلة ، وأذرح ، وغدك ، وتيماء . وكذلك صالح أكيدر صاحب دومة الجندل وكان نصرانيا . وقد ورد فى كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملوك حمير بعد أن جاءته كتبهم تقـــر باسلامهم « . . . وانه من أسلم من يهودى أو نصرانى فان له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم (له مثل ما للمسلمين من الحقوق وعليه مثل ما عليهم من الزكاة) . ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية . . » . وكذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل « هجر » فى البحرين وكان منهم مجوس تابعون للفرس ، بقوا على دينهم وأدوا الجزية .

وتاريخ الخلفاء الراشدين حافل بالمصالحات بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك من المجوس . وكتبهم الى قوادهم حافلـــة بالتوجيهات التى تدعو الى الوفاء للناس بعهودهم ، وبحسن معاملتهم ، وبعدم التعرض لاحد لاكراهه على تغيير دينه . ولا يستطيع مؤرخ واحد مهما كانت نزعته أن يثبت حادثة واحدة اكره فيها احد خلفاء المسلمين أو عمالهم وولاتهم احدا على الدخول فى الاسلام .

وهكذا يتبين لنا بصورة واضحة كيف جانب المؤرخين الصواب حين عللوا لحركة الفتوح الاسلامية . واذا كنا رفضنا آراءهم فمـــا هو التعليل الصحيح ؟!

وخير وسيلة لمعرفة التعليل الصحيح هو أن نتتبع الحوادث نفسها ، نستعرضها لنخرج منها بالاسباب الحقيقية التى دفعت العرب للخروج مـــن شبه الجزيرة الى المجال الخارجى ، ليغيروا خريطة العالم تغييرا تاما من جميع نواحيها ، السياسية والاجتماعية والدينية .



أحاط افريقيا بهالة

تمهيد : ـ

لقد كان للسلاح العربى أيام بيضاء ، ومعارك غراء ، نشرت راية العروبة والاسلام فى قارات العالم القديم الثلاث : آسيا وافريقيا وأوروبا .. وقد امتازت هذه القارات بعضها عن بعض فى التأثر بهذا الفتح . فأوروبا ناوأت الفتح العربى ، وأوقفته عند أطرافها الثلاثة : فى الشرق عند استنبول ، وفى الجنوب من سواحل ايطاليا ، وفى المغرب فى « سهل تور » غرب فرنسا .. ومحت أوروبا مدنية العرب التى أشادوها جنوب البرانيس فى الاندلس الخضراء بعد أن عمروها ثمانية قرون ، فأوروبا أقل القارات محافظة على آثار الفتح العربى والحضارة العربية . ولم يبق لنا منها الا آثار الحمراء والزهراء ، وما كان لمدنية الاندلس من أثر فى عمارة أوروبا ونهضتها الحديثة . وفى آسيا بقيت جميع البلاد التى أخضعتها جيوش العرب محافظة على الاسلام ، وعلى صلتها ببلاد العرب مهد الاسلام ، ولكن البلاد التى الى شرق العراق وشمال الشام لم تصطبغ بالصبغة العربية ولم تتأهل فيها اللغة العربية أو القومية العربية . أما فى افريقيا فقد حافظت البلاد التى كانت للفاتحين العرب على طابعها الاسلامى ، واندمجت كذلك فى الوطن العربى والقومية العربية ، اذ هاجر اليها العرب أفواجا وقبائل كما هاجروا الى الشام والعراق ومصر التى هى جزء من افريقيا . وقد تقدم العرب فى هذه القارة الواسعة فى اتجاهين مختلفين وباسلوبين مختلفين . ففى الشمال ساروا غربا على محاذاة البحر الابيض المتوسط غزاة فاتحين أولا ، ثم بناة مرشدين ثانيا ، وفى الشرق ساروا تجارا مبشرين على ساحل افريقيا الشرقى . وحملوا مع تجارتهم اللغة العربية والدين الاسلامى ، وتعاون الاسلوبان على احاطة افريقيا بهالة عربية اسلامية



عربية اسلامية

للاستاذ : لطفى ملحس

تطوقها من زنجبار على المحيط الهندى الى مراكش على المحيط الاطلسى . وصارت اعظم طرق للقوافل فى قلب افريقيا من مصوع الى تيمبكتو ، وساحل المحيط .. تسير فى قلب بلاد عربية اسلامية ، وتغص بقوافل التجارة العربية ، وحجاج بيت الله الحرام من أقصى غرب افريقيا .

وان افريقيا التى تسمى بالقارة السوداء فان السكان فى أواسطها الى جنوب الصحراء الكبرى هم من الزنوج . اما سكان الشمال حيث مصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش فمن الحاميين ، وهم من الجنس الابيض لا الاسود . والصحراء تفصل بين الجنسين . وكان العرب المسلمون قد جمعوا بين الجنسين ، الابيض فى الشمال والاسود فى الجنوب بين الصحراء الكبرى ، فأصبحت بينهما وحدة دينية وتجارية .

الرومان فى افريقيا :

لما قهر الرومان الفنيقيين بعد حروب طويلة ومعارك طاحنة كان همهم انتزاع السيادة البحرية من قرطاجنة لا التوسع فى استعمار افريقيا . ولم يتجاوز الحكم الرومانى سواحل هذه القارة ، وبقى سكان البلاد الاصليون من البربر مناوئين للرومان والبيزنطيين ،لم يتأثروا بدينهم وثقافتهم . وهؤلاء البربر قوم رحل مفطورون على حب الحرية والشجاعة وبساطة العيش . فكان لتقارب مزاجهم من مزاج العرب وسيلة لامتزاج الشعبين . ونجح العرب فى أقل من قرن فى الوصول الى ما اخفقت روما فى الوصول اليه فى اكثر من تسعة قرون ، ولا يزال تمسك شمال افريقيا بالعروبة والاسلام شاهدا على ثبات البناء الذى اسسه عقبة بن نافع المزنى ، وحسان ابن نعمان الغسانى .

ولما استولى العرب على مصر ادركوا الخطر الذى يهددهم من وجود الامبراطورية البيزنطية الى الشرق فى برقة والى الشمال فى البحر الذى

كانت سيادته للروم .وكان فى الجنوب دولة السنوسيين فى السودان وهى مشايعة للبيزانطيين ، ولهذا سارع عمرو بن العاص بعد فتح الاسكندرية الى ارسال حملة الى برقة ، فوقفت هذه الحملة عند حدود طرابلس بعد ان أزالت سلطة الروم من شمال برقة حيث كانت (سرين) بلدا روميا فى تجارته وثقافته ..

وعبد الله بن أبى السرح عامل الخليفة عثمان رضى الله عنه على مصر هو الذى وطد الحكم العربى فى مصر ، اذ انتزع بالتعاون مع معاوية أمير الشام آنذاك سيادة البحر من الروم ، وقام بحملات جريئة فى شمال افريقيا وعقد صلحا مع السنوسيين .

عقبة بن نافع :

اما فتح افريقيا فيما بعد ، فلم يبدأ الا بعد أن أسس عقبة بن نافع عامل معاوية مدينة القيروان فى تونس قرب قرطاجنه وذلك سنة « ٦٧٠ هـ » أى بعد فتح مصر بثلاثين سنة ، ومن هذه القاعدة الامامية تقدم العرب غربا . وبلغ عقبة أمواج المحيط الاطلسى ، ولقى حتفه فى حروبه مع البربر فى الجزائر ، ولا يزال قبره محجا للناس فى تلك الربوع وكانت وفاته سنة « ٦٨٣ هـ » .. وبعد ذلك فقد أدرك العرب أن مناوأة الروم والبربر فى وقت واحد عدا عن كونه أمرا صعبا فانه ليس من حسن السياسة فى شىء . لذلك فقد تفرغوا للروم أولا ، ولم يهتموا باخضاع البربر الا بعد أن كسبوا سيادة البحر من الروم ثم طردوهم من حصونهم فى قرطاجنه .. وقد فتح العرب قرطاجنه سنة « ٦٩٥ » ثم خسروها سنة « ٦٩٧ هـ » ، وأعادوا فتحها ثانية سنة « ٦٩٨ هـ » . وفى هذه الاثناء كان الاسطول الرومى قد توارى من عرض البحر . أما الجيش العربى والأسطول العربى فقد وقفا على أبواب استانبول وكانت قبرص ورودس فى أيدى العرب . وبذلك ختمت سيادة البيزنطيين على شمال افريقيا وشرق البحر المتوسط ، وانحصر حكمهم فى صقلية وجنوب ايطاليا بالاضافة الى الاناضول والبلقان . وقد انتزع العرب منهم فيما بعد صقلية ، وانتزعوا مدينة بالرمو جنوب نابولى مدة من الزمن .

حسان بن النعمان :

بعد القضاء على سلطان الروم فى افريقيا تفرغ حسان بن النعمان الغسانى للبربر ، وكانوا قد تجمعوا حول امراة مغامرة قوية اجتذبت قلوبهم بما لها من سلطان دينى ، وعرفت عند العرب باسم « الكاهنة » وكانت هذه قد اعتصمت مع جموعها بالجبال ، فرحل حسان بجيوشه اليها واشتبك معها فى معركة كان النصر فيها حليف البربر ، ودارت الدائرة على العرب ، فانهزم حسان الى قابس وكتب الى الخليفة فى دمشق وكان عبد الملك بن مروان .. وقال فى رسالته : « ان أمم المغرب كلما بادت أمة منهم خلفتها أمم » . فورد عليه من الخليفة كتاب يأمره بالكف عن القتال والتراجع الى القيران . فخلا الجو مدة خمس سنوات للكاهنة كانت خلالها سيدة افريقيا بلا منازع . وقد أعملت فى البلاد طولا وعرضا يد التخريب والتهديم حتى يئس العرب من افريقيا . وكان بين الاسرى العرب الذين وقعوا فى أيدى البربر « خالد بن يزيد » ويقال : إن خالدا استطاع أن يكاتب حسانا ، ويطلعه على أحوال البربر ويستحثه بالسير الى ملاقاتهم . ولكن الكاهنة ارادت أن تخدع حسانا ، فأرسلت خالدا مع أولادها ليستأمنوا ، وتقدمت بجندها للقتال ، فقاتلها حسان ، وهزم جنودها

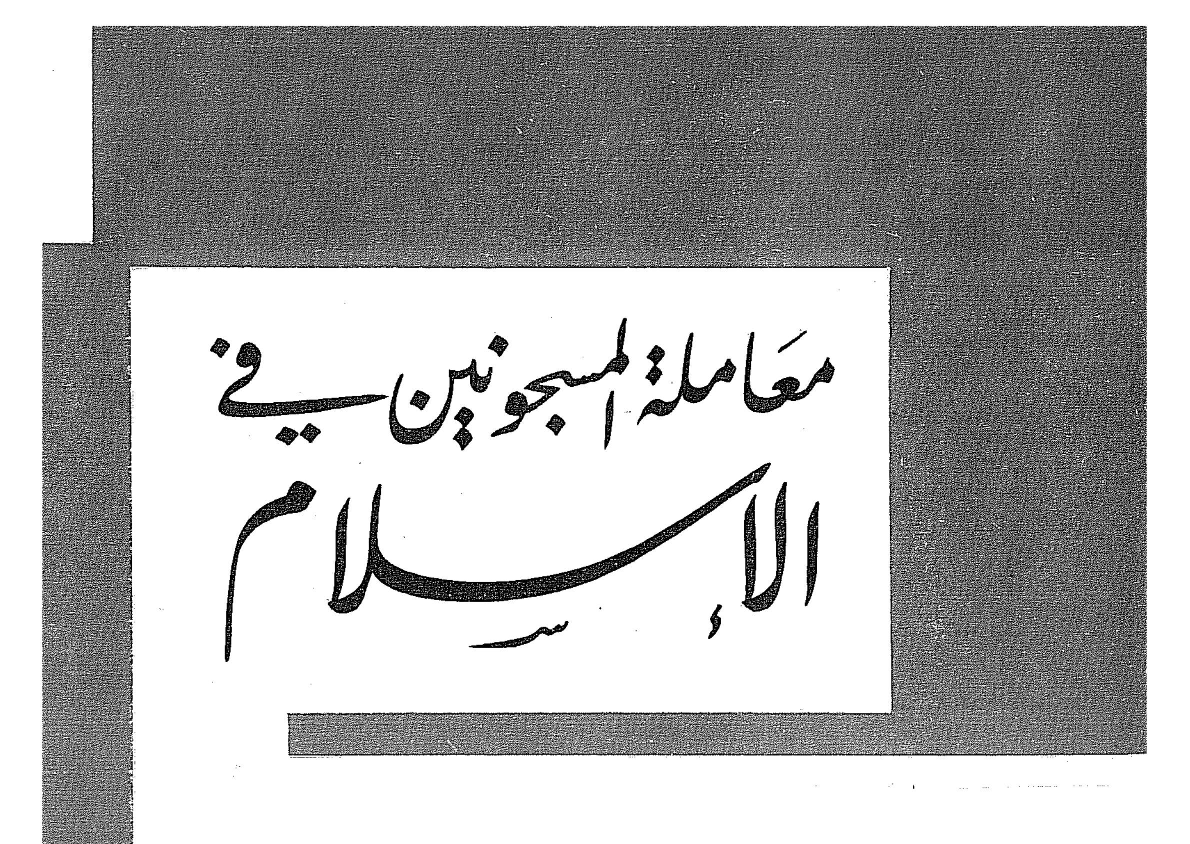
وقتلها ، واستولى بعد ذلك على افريقيا كلها ، واستطاع ان يوطد الحكم العربي في جميع انحاء المغرب، وقد عامل البربر معاملة حسنة اذ ترك لهم استقلالهم الداخلي ، ولم يتدخل في شؤونهم الخاصة ، وساوى بينهم وبين العرب ، فاسترضى بذلك كبرياءهم ولم يجرح كرامتهم . ولقرب طباعهم من طباع العربي دخلوا في الاسلام وتزاوجوا مع العرب وتعاونوا معهم تعاون الشقيق للشقيق ..

مسلم بن عقبه :

بعد أن استتب الأمن في افريقيا كثرت هجرة العرب الى بلاد المغرب ، ولا سيما سكان المدينة بعد ما نزل بهم على يد مسلم بن عقبه قائد حملة يزيد بن معاوية ضد الحجازوفيها ابن الزبير . فقد التحق جميع من نجا من معركة « الحره » بجند افريقيا . وكثرت كذلك هجرة الخوارج وهم فئة متدينة ديمقراطية النزعة . وهؤلاء عملوا على نشر الدين بين قبائل البربر .. وقد اتمت سياسة عمر بن عبد العزيز رسالة الاسلام في افريقيا ، تلك السياسة التي كان سداها التسامح ولحمتها تشجيع اعتناق الاسلام بالمساواة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ، ولم يجد حسان مخضع افريقيا ثمرة جهاده العظيم في شمال افريقيا ، اذ كانت أعمال تلك البلاد تابعة الى مصر ، وكان والى مصر على ذلك العهد عبد العزيز بن مروان ، وكان موسى بن نصير مولى عبد العزيز قد تعرض لغضب الخليفة عبد الملك لاختلاسه اموالا من بيت المال في خراسان ، وشفع عبد العزيز لدى عنه المبالغ الناقصة ثم احضر موسى اخيه الخليفة لموسى مولاه ، ودفع هذا الى مصر وولاه على افريقيا بدلا من حسان مخضعها ، ويقال : إن عبد الملك اراد ان يعيد حسان الى اعماله فأبى هذا متأثرا .. اما موسى فهو الذى استغل القوة التى نتجت من تعاون العرب والبربر في شمال افريقيا ، فقام بحملة في اسبانيا ، تلك الحملة التى توجت بانتصار كان تاج الانتصارات العربية ..

افريقيا العربية :

لقد تم للعرب توطيد اقدامهم في شمال افريقيا في مدة (٧٢ سنة) .. فاجتاز عمرو بن العاص حدود فلسطين الى العريش في مصر سنة « ٦٣٩ هـ » ، واجتاز طارق بن زياد المضيق الذى سمى فيما بعد باسمه ، والفاصل بين اوروبا وافريقيا سنة « ٧١١ هـ » . وهذه الفترة ليست بالقليلة،وقد عمل على اطالتها الى هذا الحد نزاع القبائل العربية فيما بينها ، ولكن النتائج التى حصل عليها العرب اعظم من هذا الزمن الذى صرفوه في اخضاع افريقيا بمراحل . فقد تحولت الارض الواسعة ما بين البحر الاحمر والمحيط الاطلسي الى بلاد عربية دما ولحما ولسانا ودينا ، واصبح الساحل الجنوبي والشرقي ، ثم الغربي من البحر المتوسط عربيا خالصا ، اذ انتشرت راية العروبة حول هذا البحر في شكل الحرف نون (ن) .. طرفه الشرقي في اضنه ، والغربي في البرانيس بين اسبانيا وفرنسا . وكانت نقطة « ن » النصر هذا صقلية .. ورأينا فيما بعد كيف تم اكمال « النون » ، وكيف صار معجما بوضع النقطة في وسطه .. ولئن شهد التاريخ للبطولة العربية اياما غراء بصنع هذا (النون) فقد سجل في احضان نون العروبة حضارة ومآثر قد زخرت بها البلدان المكونة له من دمشق والقاهرة والقيروان الى قرطبة وبالرمو .. فنعم ما صنع الاجداد ونعم ما تركوا .



معاملة المسجونين في الإسلام

للاستاذ ابراهيم محمد الفحام

مقدمة :

يدعي الاجتماعيون الاوروبيون ان الدعوة الى تحسين معاملة المسجونين نشأت اول مرة في انكلترا في القرن الثامن عشر .

وقد قوبلت تلك الدعوة في بدايتها بالسخرية والنفور ، فاستغرقت زمنا طويلا قبل ان تلقى في الاوساط الرسمية من يستمع اليها ، ثم استغرقت زمنا اطول ، قبل ان تحظى في تلك الاوساط بمن يستجيب لها .

وكانت المطالبة بحق المسجون المريض في العلاج ، وحق السليم في الغذاء والكساء المناسبين ، والمأوى الصحي ، تبدو غريبة حقا في مجتمعات كانت تنظر الى المذنبين نظرتها الى الوحوش الكاسرة التي لا تستحق الرحمة ، ولا يجدي معها الاصلاح أو الترويض . ولو انصف اولئك الادعياء لنسبوا تلك الدعوة لأصحابها الحقيقيين وهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الخلفاء والأئمة ، ولأعادوها الى مصادرها الأولى وهي تعاليم الاسلام ومبادؤه .

فلو أننا تتبعنا نشأة السجون ، وأنظمة ادارتها ، ومعاملة نزلائها في الدول الاسلامية الاولى ، لوجدنا أن المسلمين قد سبقوا غيرهم في اقرار حق المسجونين في المعاملة الانسانية الكريمة التي تكتفي بكف شرهم عن الناس مع علاج نفوسهم لا مجرد تعذيبهم والانتقام منهم .

السجن في زمن النبي وخلفائه الراشدين : ـــ

والراجح أن السجون لم تعرف في زمن النبي ، ولا في زمن خليفته الاول أبي بكر الصديق فقد كان المقصود من الحبس تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء ، سواء كان في بيت أو مسجد ، أو كان بتوكيل نفس الغريم أو وكيله عليه ، أو ملازمته له . ولهذا سماه النبي اسيرا . ففي سنن ابي داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جده . قال : « اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي . فقال لي: الزمه . ثم قال لي : يا اخا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك » ، وفي رواية ابن ماجه « مر بي آخر النهار فقال : ما فعل اسيرك يا أخا بني تميم » .

ونقل ابن الطلاع في كتابه (أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن الآثار اختلفت هل سجن النبي وأبو بكر احدا ام لا . فذكر بعضهم أنه لم يكن لهما سجن ولا سجنا أحداً . وذكر آخرون أن النبي سجن متهما بالمدينة في تهمة دم وانه سجن آخر في تهمة أخرى ساعة من نهار ، ثم خلى عن المتهم ، فثبت بذلك أن النبي سجن وان لم يكن ذلك في سجن متخذ لذلك .

ولما انتشرت الرعية في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، ابتاع بمكة داراً من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وخصصها لهذا الغرض فكانت أول سجن في الاسلام .

وقد ثبت عن عمر أنه سجن الحطيئة على الهجو ، وسجن عثمان صابي بن أبي الحرث ، وكان من لصوص بني تميم وفتاكهم حتى مات في السجن

وكان المسجونون يتولون الانفاق على أنفسهم من أموالهم ، أو ينفق عليهم من الصدقات التي كانوا يقتادون لجمعها من الناس . وظل الامر على ذلك حتى أبطل علي ذلك ، وامر بأن ينفق عليهم من بيت مال المسلمين ، وكان يقول في ذلك « يحبس عنهم شرهم ، وينفق عليهم من بيت مالهم » .

السجن في العصر الأموي :

واستمر العمل بذلك طوال العصر الأموي .

وقد ابتكر معاوية نظام مراقبة المشبوهين في منازلهم . فأمر باعداد سجل لقيد أسمائهم . ثم عين زياد بن أبيه جعدا بن قيس لمراقبة نشاطهم . كما قيل ان معاوية كان اول من عين حراسا للسجون .

وكان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز من اشفق الخلفاء على المسجونين وقد كتب الى عماله يقول (لا تدعن في سجونكم احدا من المسلمين في وثاق) لا يستطيع أن يصلي قائما ، ولا تبيتن في قيد الا رجلا مطالبا بدم ، واجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم) .

السجن في العصر العباسي :

وفي العصر العباسي كان المسجونون يحبسون احيانا في دورهم أو في دور بعض الاشخاص الموثوق بهم فلا يغادرونها الا باذن ، وقد أمر الرشيد بحبس بعض خصومه العلويين في دار الفضل بن الربيع ، فكان يحسن معاملتهم ويقدم اليهم في كل وجبة مائدة كمائدته .

وكانت للرشيد دور اخرى يتخذها سجنا لبعض الاشخاص واشهرها دار السندي بن شاهك . وكانت تلك الدور تتخذ لحبس الخصوم السياسيين . والمذنبين الذين يرجى صلاحهم .

وقد طلب الرشيد من القاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبي حنيفة أن يحدد الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها معاملة المسجونين ، فأعد له دستورا محكما، سبق به دعاة الاحسان الى المسجونين من الأوروبيين بنحو عشرة قرون .

الإنفاق على المسجونين :

وقد أوصى أبو يوسف بأن يجرى على المسجونين الفقراء من الصدقة ، أو من بيت المال وقال « وأحب الى أن يجرى من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته . فانه لا يحل ولا يسع الا ذلك » . .

ويبدو ان بعض الحكام قد أهمل الانفاق على المسجونين الفقراء قبيل عهد الرشيد فقد اضاف ابو يوسف فى نصيحته اليه « والأسير من أسرى المشركين لا بد أن يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه ، فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو اذنب يترك يموت جوعا ، وانما حمله على ما صار اليه القضاء أو الجهل » . .

تغذية المسجونين : —

ثم حدد أبو يوسف وسائل الانفاق على تغذية المسجونين ، مع ضمان عدم تسرب ما تقرره الدولة لهم الى ايدى السجانين ، فقال « فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم فى طعامهم وادمهم ، وصير ذلك دراهم تجرى عليهم فى كل شهر ، بدفع ذلك اليهم ، فانك ان أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة — وهم الحراس أو الشرطة — وول ذلك رجلا من اهل الخير والصلاح يثبت اسماء من فى السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكن الأسماء عنده . ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر ، ويقعد ويدعو باسم رجل رجل . ويدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم اطلق وخلى سبيله رد ما يجرى عليه ، ويكون للاجراء عشر دراهم فى الشهر لكل واحد وليس كل من فى السجن يحتاج الى ان يجرى عليه » . .

كسوة المسجونين : —

ثم نصح أن يمنح الكساء الى المسجونين مرتين فى السنة ، احداها فى الصيف والأخرى فى الشتاء فقال « وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء وفى الصيف قميص وازار ، ويجرى على النساء مثل ذلك ، وكسوتهن فى الشتاء قميص ومقنعة وازار » .

تشغيل المسجونين : —

وكان تشغيل المسجونين معروفا فى ذلك الزمن . وكان يغلب الا يؤدوا تلك الاعمال لحساب الدولة ، بل كان يسمح لهم بأدائها للارتزاق منها ، اى لحسابهم .

وكان ذلك النظام متبعا على الأخص فى العصر الطولونى حيث كانت حياة نزلاء السجون تقترب من حياتهم العادية . وكان من أنواع السجن ، أن يؤمر المسجون بأن يلزم داره فلا يغادرها .

الرعايــة الصحية : ـــ

وجاء في (اخبار الحكماء) للقفطي أنه كان يخصص أطباء لزيارة المرضى بالسجون ، وحمل الأدوية والاشربة اليهم .

وقد ذكر ابن أصيبعة فــي كتابه « طبقات الحكماء » نقلا عن ثابت بن سنان :

« اذكر وقد دفع الوزير على بن عيسى بن الجراح الى والدى سنان ابن ثابت أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله ، وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد بن العباس فى سنة كثرت فيها الأمراض جدا ، وكان والدى اذ ذاك يتقـــلد البيمارستانات ـــ اى المستشفيات ـــ ببغـداد وغيرهـا توقيعا يقول (فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من الحبوس ، وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهـم أن تنالهم الامراض ، وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ، ولقاء مــن يشاورونهم من الاطباء فيمـا يعرض لهم . فينبغى أن تفرد لهم أطبـــاء يدخلون اليهم فى كل يوم . وتحمـل اليهم الادوية والاشربة . ويطوفـون فى سائر الحبوس ويعالجون فيهـا المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة . ويتقـدم بأن تقام لهم المزورات لمن يحتاج اليها منهم) ففعل والدى ذلك طوال أيامه .

دعوة جريئة فى ظلمـات عهـد المماليك : ـــ

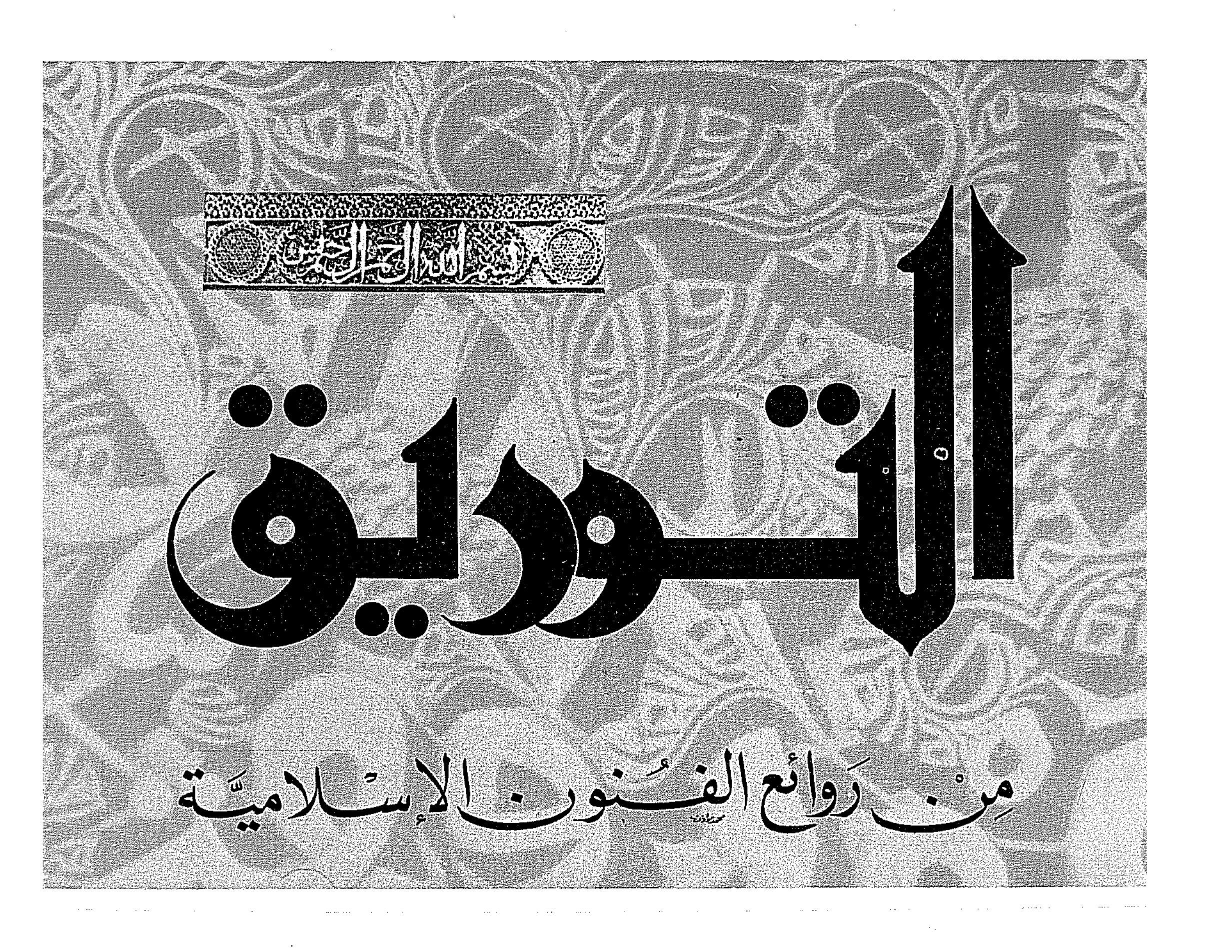
وعندما كانت تسوء حال السجون ويحرم نزلاؤها من المعاملة الرحيمة ، التى وضع أصولها الخلفاء والائمـة الاوائل ، كان ينبرى بعض العلمـاء للدفاع عنهم ، والاهابة بالحكـام أن يتقوا الله فيهم .

ومن العلماء الذين اقتدوا بالامام ابى يوسف فى الذود عن المسجونين العلامة تاج الدين عبـد الوهاب السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هجرية اى فى عصر المماليك الـذى تعددت فيه المظالم واكتظت السجون بالأبرياء ، فنصح القائمين بأمرها ـــ فى كتابـه (معيد النعم ومبيد النقم) ـــ أن يرفقوا بالمسجونين . ويخففوا عنهم عـذاب السجن ، والا يمنعوا عن مرضاهم ما قد يكون فيه علاجهم . كشم الرياحين والا يمنعوهم من صلاة الجمعة ، الا اذا منعهم القاضى من ذلك .

والواقع أن السجن وان كـان أسلم العقوبات فقد تأول بعضهم قوله تعالى : ـــ

« الا أن يسجن أو عذاب اليم » أن السجن من العقوبات البليغة لأنـه سبحانه وتعالى قرنه مـع العـذاب الأليم . وقد عد يوسف عليه السلام الانطلاق من السجن احسانا فى قوله « وقد أحسن بى اذ أخرجنى مـن السجن » .

ومن اجل ذلك فقد حرص حكـام المسلمين الاول ، أن يتقوا الله فى نزلاء السجون وأن يخففوا عنهم آلامها قدر الامكان ، فسبقوا حكـام أوروبا مئات السنين ، فى مضمار الدعـوة الى تحسين أحوال المسجونين . وحق على كل منصف من مؤرخى هـذه الدعوة أن يذكروا فضلهم ، وفضـل العلماء الذين كانت ترتفـع أصواتهم للدفاع عن أولئك البائسين الـذين حملهم على ما صاروا اليه ـــ كمـا قال القاضى أبو يوسف ـــ (القضاء أو الجهل) .

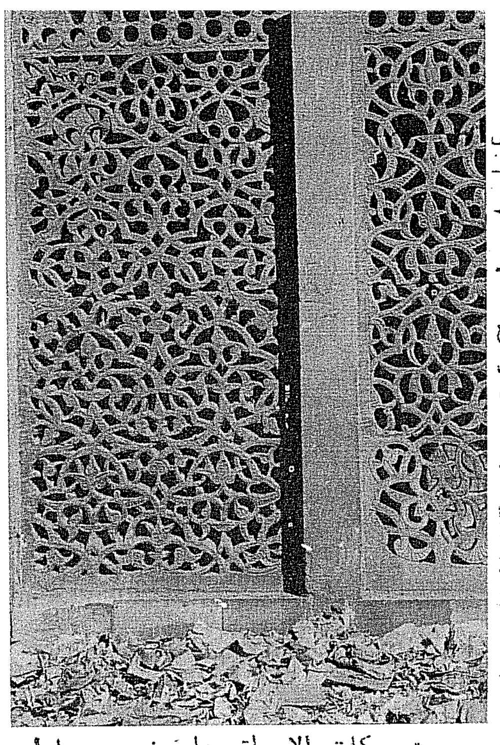


للأستاذ : عبد المجيد وافى

كثيرا ما يصادف القارىء فى موضوعات الفن الاسلامى عبارات اصطلاحية ، يتبادلها المشتغلون بهذه الفنون — فيما بينهم — دون أن يتعرضوا لها بالبيان أو التوضيح ، وذلك لوضوح معناها أو دواعى استعمالها فيما بينهم .

بينما يتابع تلك العبارات ، غير قليل من القراء بشىء من الجهد ومحاولة تلبية المراد منها ، ولو انهم وصلوا مما يريدون الى بغيتهم بشىء من البسط والايضاح ، لكان فى ذلك لهم من المتعة الذهنية ، والتذوق الفنى ما يعوضهم تطلعهم ، ودأبهم وراء المعنى الذى حاولوا فهمه .

وكلمة التوريق — عبارة اصطلاحية من هذه العبارات — تداولها المشتغلون بالفنون الاسلامية ، من العرب والمسلمين ، وكذلك من المستعربين والمستشرقين بين أقصى بقعة شوهد عليها مثال من فنون الاسلام شرقا ، وأقصى مكان فى متاحف الغرب الاوروبى والامريكى ، التى عنيت باقتناء الامثلة العديدة ،



زخارف التوريق « مقدودة » فى الحجر الرملى بالخانقاه الجاولية — عصر المماليك — بالقاهرة .. تمثل قدرة الفنان ودقة الحفر المفرغ وروعة التشكيل .

بل المجموعات الواسعة من نماذج الفنون الاسلامية المختلفة ، من أصغر التحف المعدنية أو العاجية ، وقطع النسيج وشقف الاخزاف ، والاوانى الزجاجية ، أو مصنوعات الذهب والفضة ، الى أكبر الاحجام من الامثلة المعمارية ، من حجارة وعقود — أقواس البناء الحاملة للسقوف — ونوافذ الجص المشبكة .. الخ .. الخ ..

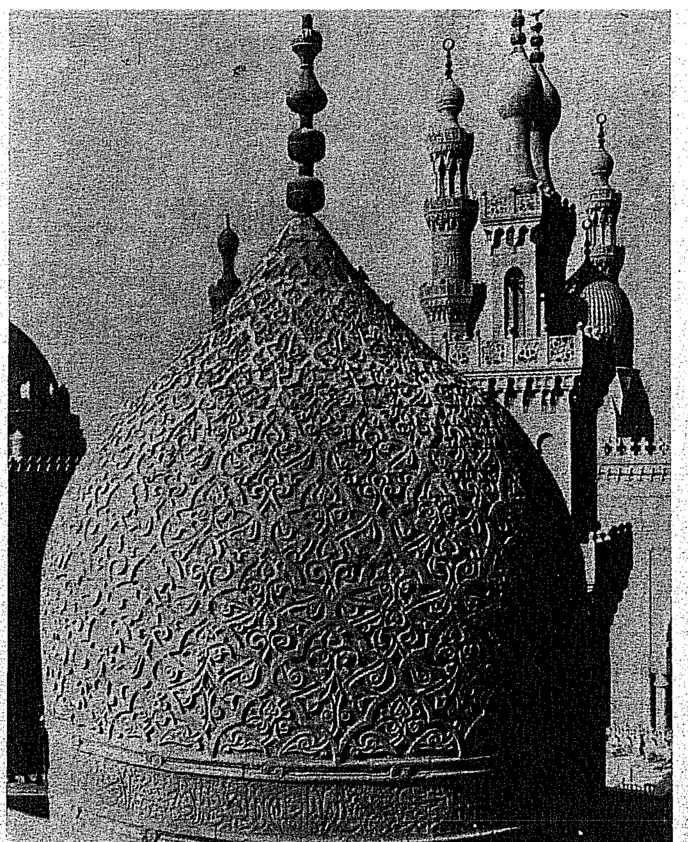
والتوريق ليس كما يبدو لاول وهلة فى تدبر القارىء ، هو استعمال الاوراق فى بعض صياغة او احاطة شىء من هذه الصناعات الفنية او تلك .

بل التوريق عنصر معين انتشر استعماله فى تشكيل وتنميق جميع فروع الفن الاسلامى على الاطلاق ، وأجاد رسمه وتوزيعه واستعمال وحداته ، كل مشتغل بفرع من هذه الفروع ، سواء أكان صانعا دقيقا ، يعمل فى مساحة محدودة كقلامة ظفر ، أو راحة يد ، من المعدن المنقوش ، أو الورق المكتوب المزوق ، أم حجارا أم رخاما أم نجارا ، يتناولون الاعمدة أو الواجهات المعمارية ، بالزخرفة المدقوقة أو المحفورة ، أو فى نوافذ الخشب أو المنابر أو الكراسى وما الى ذلك .

هذا العنصر هو الزخارف المشكلة من أوراق النبات المختلفة ، بأساليب متعددة من الافراد والمزاوجة ، والتقابل والتقاطع والتعانق ، مع تحوير فى أشكال هذه الاوراق ، قد يصل بها الى حد الاغراق فى التجريد بعدا عن الشكل الاصلى ، أو مقاربة بين حركات الاوراق على فروعها أو أغصانها ، كما لو كانت طبيعية غضة نضرة فى حديقة أو بستان ، يتمثل الفنانون فى ذلك كله أنواعا من نباتات مختلفة ، تشغل بها مساحات من سطوح الزخارف والتشكيل ، أيا كان محلها فى جوانب الفن الاسلامى .

. . . . .

أما كيف وفدت هذه التوريقات ، أو دخلت ساحة الفنون الاسلامية ، فذلك حديثنا ، ممتدا الى عمق الجمال الفنى فى هذا التوريق ، وروعة توزيعاته ، التى بهرت نقاد الفنون سابقين ومعاصرين ، حتى صار الاقتداء بها والاحتذاء لها مذهبا من مذاهب الفن المعاصر الحديث ، ينسب الى الفن الاسلامى أو العربى ARBESGUS ، ويتهافت على اقتناء روائعه مفتونو الغربيين ، كما كان يفعل أجدادهم البنادقة والانجليز والفرنسيون ، فى رحاب النهضة الاسلامية الكبرى .



التوريـــق الدقيق مع حساب استدارة القبة وانسياب التشكيل الى القمة المدببة .
فى قبة قانى باى الرماح ــ العصــر المملوكى بالقاهرة ــ حجر رملى .



ولقد كان انتشار الاسلام عقيــدة وعملا فى القرن الهجــرى الاول ، يزحف مسرعــا ليغطى مساحــات شاسعة تدين بحضارات راسـخة الاقدام فى التطور الصناعى والتقــدم الفنى ، فارس شرقا ــ وأعماق الفن الفارسى رحيبة ــ ، وبيزنطة شمالا وغربا ، فى سورية ومصر والشمال الافريقى ، وفنون بيزنطــة ، كانت مستقلة بالتأثير فى سورية ، الا أنها كانت تتزاحم فى مصر مـــع الفن المصرى ، قبطى وفرعونـــى ، وفى الشمال الافريقى ، مع بقايا الفنــون الفينيقية والافريقية .

وماكان الاسلام وعقيدته فـــى أول اندفاعه ، الا فاتحــا هاديا معلما ، منقــذا من ظلمات الرق الى نــور الحرية ، يمحو الاستغــلال ويحطم الاغلال ، فلم يكن الفن الذاهب أو الفن القادم هدفا له ، الا ما كان من هذه الفنون يحمل صورة من صــور التعبد لغير الله جل وعلا ، فان تحطيم مثل هــذا الفن كان هدفا من أهداف الاسلام .

وحسبنا ما فعلــه رســول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، يوم الفتح من تحطيم الاصنام حول الكعبة ، ومحو ما كان بداخلها مــن صور ، ثم ارساله البعوث لتحطيم أصنام القبائل فى البادية .

الا أن ماصادف المجتمع الاسلامى الناشىء ، فى البقاع المفتوحة مــن

ميراث غنى وحضارى ، تعوده أصحاب الارض قبل الفتح ، ثم لم يجدوا بأسا فى أن يأخذوا بخط منه ، بعد اعتناق الدين الجديد ، ثم انتقال هذا الخط الذى أخذوا به معهم فى بقاع الدولة الواسعة ، والى عواصمها ، المدينة المنورة ، أو الكوفة ، او دمشق او القيروان ، ذهابا وايابا ؛ كل ذلك قد صبغ الحياة فى الدولة الاسلامية ، ولما تمض المائة الاولى للهجرة — بلون من الترف الفنى — محدود أول الامر ، ثم أخذ فى الاتساع ، مع قيام الاسس الفنية العميقة ، التى انتسبت الى لون جديد من الحضارة ، وانطبعت بطابعه أصالة ، ودقة ، وعمقا ، ورقة ، وقد كانت فى الاصل تنبع من منابع مختلفة .

ولعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قد خاف مثل هذه الانعكاسات الحضارية وتأثيرها على بساطة المجتمع المدنى ، فنبه مؤكدا — عندما أعاد تعمير المسجد النبوى — وقال لمن كلفه بهذا العمل : لا تصفر ولا تحمر ، حتى لا تفتن الناس .

والمعروف أن عمر رضى الله تعالى عنه ، أعاد بناء المسجد بالحجارة والقصة « الجص » ، بدلا من اللبن ؛ وجعل عمده من الخشب بدلا من جذوع النخل ، وان لم يغير فى التخطيط الذى استنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

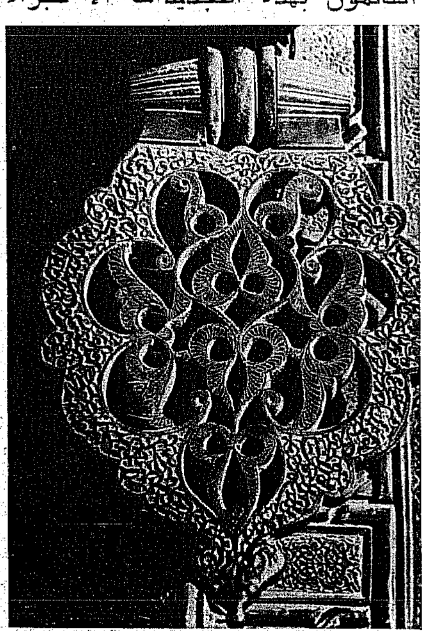
وما فعله عمر رضى الله تعالى عنه ، لم يلتزم به عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وكلاهما صاحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، شهدا معه المواقع ، كما شهد بالجنة لكل منهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعثمان رضى الله عنه ، قد كلف زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه — كاتب الوحى ، وهو الذى جمع القرآن على عهدى ابى بكر وعثمان رضى الله عنهما — بالاشراف على عمارة المسجد النبوى وتوسعته لما هم عثمان بذلك .

وقد أجمع الرواة على أن عمارة عثمان بن عفان ، باشراف زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما ، دخل فيها الحجارة المنقوشة والقصة ، فى الجدران ، والعمد التى حلت محل عمد الخشب فى حمل السقف ، وكذلك كان السقف من خشب الساج وقد زينه التذهيب (٢) .

وهكذا نرى التأثيرات الفنية قدمت بنفسها الى المدينة — المجتمع الاسلامى الاول — ولما ينقض عهد الخلفاء الراشدين .

وكان التوريق عنصرا من عناصر هذه التأثيرات الفنية الوافدة ، ضمن تأثيرات أخرى ، ولم يكن العمال القائمون بهذه التجديدات الا خبراء



التوريق فى النحاس المصبوب بمطرقة باب المسجد الجامع باشبيلية ٦هـ ١٢م .

وتفاصيل التوريق كتابات قرآنية تشكل بدن الورقة الخارجية .



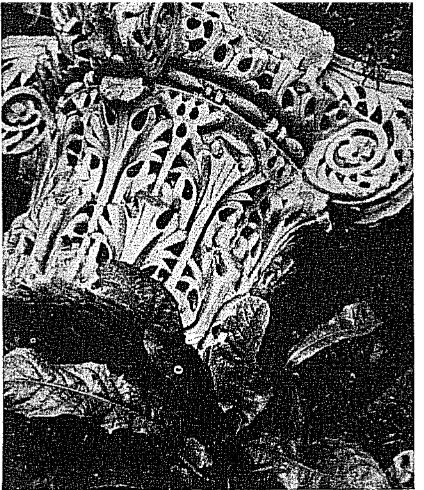
فى هذه الفنون زاولوها بالوراثة أو التعليم ، ذوى حس مرهف أعانهم على تعديل استعمالاتهم — بعد اعتناق الاسلام — للعناصر الفنية بما لا يخرج عن صريح العقيدة ومضمونها والتى ترفض تجسيم المعبودات ، وتهويل جو المعابد .

واذا كانت تشكيلات التوريق النباتى قد سبقت فى فنون ما قبل الفتح الاسلامى بصورة أو بأخرى ، الا أنها بشهادة غير المسلمين ، ودارسى تاريخ الفنون العربية والاسلامية (٢) قد اتخذت بعد انتشار الدعوة الاسلامية ، وبداية خطها الحضارى سمتا آخر ، أساسه التنويع ، والتتابع ، والتحوير .

لا شك أنها بدأت أول الامر قريبة من أشكالها فى الطبيعة ، اقتداء بالاساليب السابقة على التأقلم بالاسلام ، لكنها بدأت فى التغير عن أصولها ، مع احتفاظها بعنصر التعبير الجمالى ، والتحوير فى الشكل الاصلى وسيلة الوصول الى ذلك التعبير .

كما أنها بدأت أول الامر متماثلة ، ثم تنوعت ، وبدأت مفردة ثم تتابعت مستكملة بذلك أبعاد الاسلوب الثلاثة ، مشتركة حينا ، وينفرد التتابع بالتعبير أحيانا ، كما ينفرد التنويع أو التحوير .

وورقة النبات قد تستعمل وحدها ، أو مع ورقة لنبات آخر بالتبادل ، لتوقيع التوازن الموسيقى ، بالتفرغ من خط واحد أو خطين متعانقين ، مستمرة فى شغل فراغ افريز محدود ، أو مساحة واسعة ، دون ملل لهذا التتابع أو التعانق أو التقاطع أو التقابل .



الحقيقة والتقليد .. أوراق النبات فى أرضها ، والتوريق محفور على تاج عمود عربى من خرائب الزهراء بجانب قرطبة ... والصورة تمثل قدرة الفنان العربى على الاقتباس من روعة صنع الله .

وكأنى بهذه التوريقات أصوات المسبحين مترنمين بأسماء الله الحسنى فى تبادل صوتى ، بين الخافت الهامس ، والقوى ذى الرنين ، والرفيع ذى الجرس المطرب ، والغليظ ذى التردد ، كلما ردد المسبحون متجاورين أو متقابلين ، متأملين فيما يرددون ، أغرقوا فى بحر التجرد ، المحفوف بمعانى السمو ، الذى كسته اياه أسماء العلى القدير ، تجرد عن المثال وتعالى بنفسه ، ومجدته الصفات ، فهو العلى القدير الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والارض .

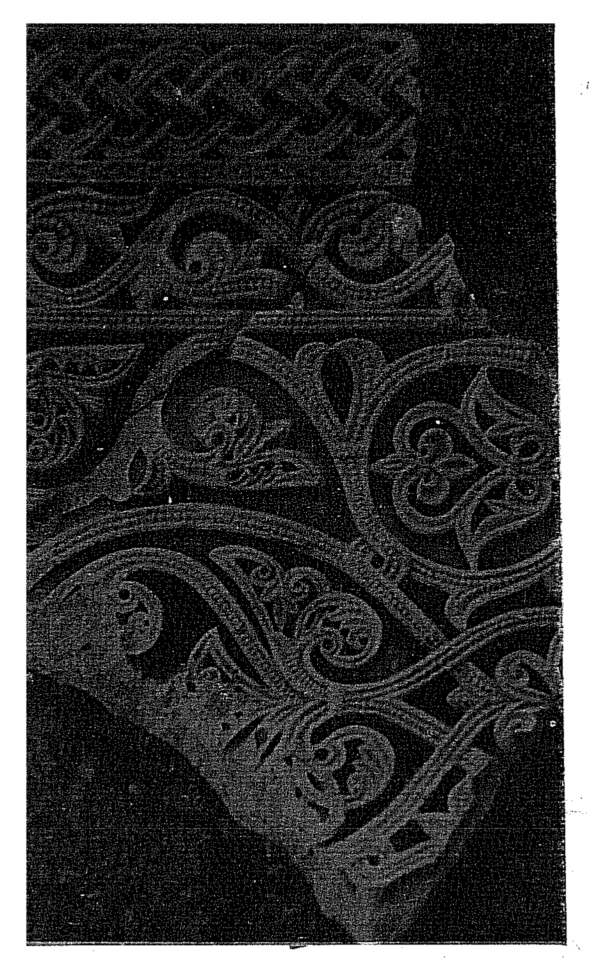
ولقد كانت ورقة العنب « مثلا » ذات الشعب الخمس ، عنصرا استعمله المصريون والسوريون قبل العصر الاسلامى ، فلما تطور المجتمع بعد الدعوة الاسلامية وصبغته حرية

المعقدة ، فى فطرة نابضة حية نابعة من فطرة الله ، ارتاحت يد الفنان فى تنسيقها عبر رسومه وتخطيطاته ، فخرجت عن جمودهـا وجفافهـا ، وخلعت رداءها التقليدى ، وكأنهـا ألقت فى مهب الريح ، فانفتحت مرة وانكمشت مـرة أخـرى ، وهشت أحيانا ، وانتقبت اخرى ، واعتدلت أو انحرفت أو انشقت أو انبسطت ، واستوت اطرافهـا أو تضرست ، وتشكلت اشكالا غريبة متنوعة حتى كادت أن تفقد خصائص مظهرهـا ، وأصبحت فى بعض اشكالها نسيجا من صنع الخيال ، كالخيوط المتصـلة أو الخروم الملتصـقة » (٤) .

ولم يكن هذا هو حظ ورقة العنب وحدها ، بل شاركتهـا فيـه أوراق الصنوبر أو الكافور أو الصفصاف ، بسمتها المستطيل والطرف الرمحى المدبب ، بدأت أول الامر مستقيمة ، ثم التف طرفها فى انسياب حتى عاد ملامسا أصلها ثم تعـانق معه أحيانا أو تقاطع ، مكونا أشـكالا قلبية أو نجمية فى تناسـق مطرد وتقابـل متفرد .

تشكيلات بديعة ، بعـدت أصلا وفرعـا عن استعمالات الفنانين السابقين ، وغـالى اللاحقون فـى التنويع والتعدد بقصد التطريب فى الشكل ، مغالاة تنم عن سعة الخيال ، ورحابة الافق ، مماينقل الفنان من مرحلة الاغـراق فى الحس ، الى السـمو فى التأمل ، وبلوغ درجـة عالية من التصوف الفكرى ، والتأمل فى عظيم صنعة الله بورقة من أوراق النبات ، تقـود العبد فى تأمله الى عظمة الخالق وعظمة الملك فيغرق فى خضم الملكوت الواسـع .

وذلك هو السمت الذى ميز الفن الاسـلامى بصوفيته العميقة ، وبهر نقاد الفنـون سابقين ومعاصرين ، وأفحم الحاقدين الذين وسموه بالنقل

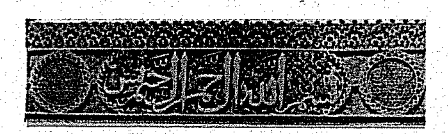


أوراق العنب مع فروعها حفرا على المرمر الوردى من خرائب مدينة الزهراء بجوار قرطبة وتلاحظ دقة الحفر واختلاف المستويات وتفريغ الوريقات .

والتقليـد ، فاعترفوا لـه بالانفراد والجدة والتنوع .

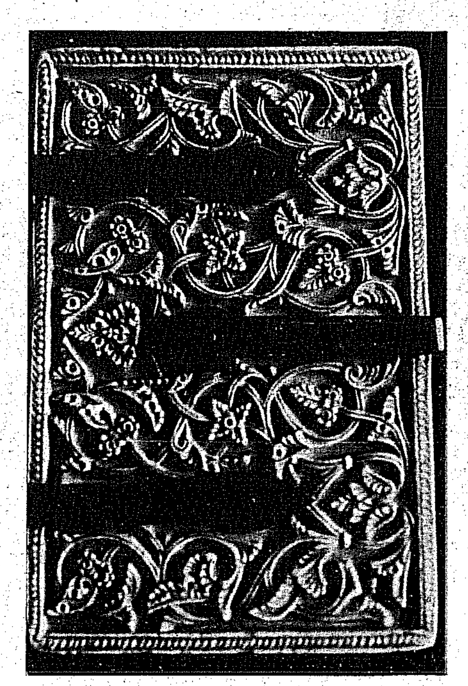
. . . . . .

ولم تمض المائة الاولى من العصر الاسلامى ، حتى كـان المسـلمون آخذين بأسباب البحث فى كل تراث سابق للحضارة البشرية ، يعرضونه على عقيدتهم ، فما استقام معها أخذوا به ، وما تعارض عدلوا به الى السمت السوى والفكر المستقيم مـع الفهم الاسلامى .



وبنفس الحس المرهف ، انتشرت أساليب التعامل الفنى من حدود السند الى شاطىء الاطلسى غربا ، ومن أرمينية شمالا الى المحيط الهندى أو البحر العربى جنوبا .

وساعد اتساع الدولة ، وحرية الانتقال بين ربوعها فى سرعة انتقال العلوم بين أقصاها وأقصاها ، كما ساعد على انتشار تقاليد الفنون وأساليبها ، وكان الحكام والولاة ووجوه البلاد يسعون الى استضافة عالم ، أو اقتناء مؤلف ظهر فى المشرق أو فى المغرب ، كما كانوا يسعى اليهم



التوريق فى الحفر على العاج من العصر الأموى بقرطبة ـ أسبانيا ـ ٤هـ. ١٠م.

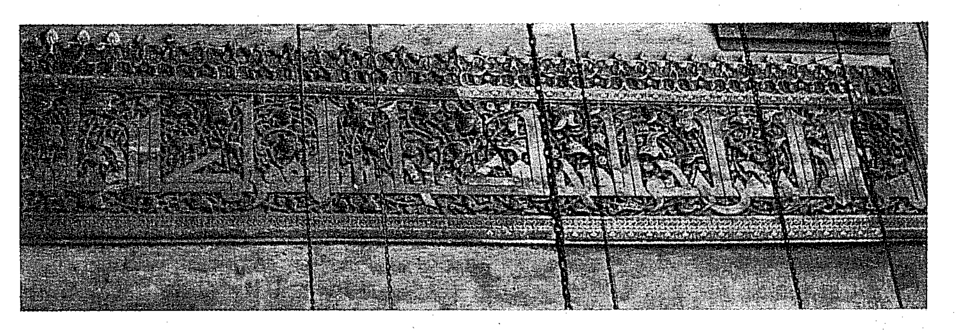
علبة مجوهرات لاحد قصور الخلافة .. وهناك زخارف متطابقة محفورة على المرمر بجوانب محراب المسجد الجامع بقرطبة .

بطرف الفنون وغرائبها ، او يسعون هم فى طلب صانع مبدع ليختصهم بروائعه ، وبدائع صنائعه ، كما كانت عوامل الهجرة سياسيا ساعدا فى انتقال فنانين بعينهم من قطر الى قطر ، مما نشط الاقتباس وانتقال الاساليب الفنية ، وذلك كهجرة الاسبان الربضيين أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الاول ـ نهاية القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث ، وقد استقر بعضهم فى الاسكندرية يومئذ ، واستمر الباقون فى الهجرة الى جزيرة كريت .

وفرار بعض أفذاذ صناعة النحاس المكفت من الموصول فرارا من وجه التتار أيام المحنة المشهورة واستقرارهم بالقاهرة .

وقد تنوعت أساليب التوريق فى الشرق ، وابدع أهل المغرب الاسلامى فيما نقلوه عن أهل المشرق ، ولا يخطىء الناظر الى الوحدة التشكيلية أن ينسبها الى الفن الاسلامى، شرقية او غربية ، وذلك نابع من حقيقة اساسية ، أن وحدة العقيدة كانت عاملا فى وحدة الثقافة ، وأساسا لوحدة الفنون ، وان كان على الباحث المتخصص أن يدرك الفرق الدقيق بين خصائص صناعة الفنان المشرقى أو المغربى ، وكثيرا ما حار القوم فى ذلك لشدة التقارب والتنافس بين أهل تلك الفنون .

وكانت تشكيلات التوريق أول أمرها فى سورية ومصر ، مستقلة بفراغها الذى تشغله دون تداخل من عناصر اخرى ، فيما يصنع الحفارون على الحجارة أو الاخشاب ، كل يحاول أن يثبت ليونة مادة صناعته فى يده ، فابتكروا الحفر العميق أول الامر ، ثم ظهر الحفر المائل ، ثم لعبت مستويات الحفر فى يد الرخام أو النجار ، حتى قاربت ليونة الاوراق على فروعها وأغصانها ، فى نهاية



طراز الكتابة بجامع ـ مدرسة ـ السلطان حسن بالقاهرة ..
« بسم الله الرحمن الرحيم . انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله .. الى آخر الايات
كوفى مملوكى انبسط علـى خلفية مـن التوريق الاندلسى .

العصر الفاطمى بمصر ، وكذلك أيام الامويين بالاندلس العربى ، بينما تناقلت أساليب التشكيل فى شمال افريقية ، خصائص مصرية وسورية حينا ، ثم أندلسية مرة أخرى .

وانتقلت عدوى التوريق الى الوراقين واصحاب صناعة الكتب واستنساخها ، وبدلا من ازميل الرخام واداة النجار فى حفرهما ، قامت الفرشاة بتوزيع التوريق مسطحات ومساحات على صفحات الكتب ، محيطة بالعناوين الرئيسية ، او افاريز حول الكتابة فى الصفحات ، مدادها ماء الذهب واللازورد ، وروائع الالوان .

ثم يتلد هؤلاء وأولئك ، حفارو المعادن ، نقشا ، وتلبيسا بالذهب والفضة على النحاس أحمره واصفره ، فلا يقصرون عن اخوانهم ابداعا وتصنيفا ، فى أباريق الماء أو الوضوء ، وشماعد الضوء وثرياته .

ولا يلبث الرخامون والحجارون والنجارون أن تصيبهم عدوى التلوين من مزخرفى الكتب فنرى الجدران والسقوف قد اكتست بالالوان والتذهيب بهاء على بهاء .

كل هذا وعنصر التوريق لا يكل عن التطور والتحور ، بما يقتضيه المقام والمكان ، حتى تجاورت أساليب الصناع ، وتحاورت فى مناظرات فنية على صعيد العمارات والمنشآت والتحف والطرائف .

ثم اتسع استعمال زخارف التوريق ، حتى اصبحت تغطى مساحات واسعة ، من العمائر أو التحف ، وتكفى نظرة الى باب معدنى « نحاسى » من أبواب المدارس والمساجد فى العصر المملوكى بمصر ، أو باب جامع قرطبة الاعظم أو جامع اشبيلية ، فى اقصى المغرب الاسلامى يومئذ ، لنرى مساحات التوريق الواسعة وقد تشابكت أغصانها وتقاطعت فروعها فى ليونة عجيبة رغم صلابة المعدن .

وواجهات معمارية واسعة فى آسيا الوسطى وما وراء النهر ، قد غطتها ترابيع الخزف اللامع ، يشغل سطوحها تشكيلات التوريق الملون تحت الدهان ، بالازرق أو الاخضر والاحمر والذهبى ، فى تناسق بديع ، بل ان عناصر التوريق فى مساحات كبيرة من الخزف الازرق فى بعض المساجد الايرانية والمصرية ، جعلت الزوار والسائحين الباحثين عن هذه

الروائع يسألون عن : المسجد الازرق ، وذلك لاشتهار مساجد بعينها بهذا الاسم في هذه البلاد او تلك .

وذلك كمسجد الشاه عباس بأصفهان « ١٥/١٦ م ٩/١٠ هـ » ومسجد آق سنقر « ابراهيم آغا مستحفظان » بالقاهرة والخزف الملون الازرق فيه من سنة ١٠٦٢هـ — ١٦٥٢م .

ومن الطرف البديعة بالمتحف الاسلامي بالقاهرة ، باب مصفح بالنحاس ، قوامه مساحات التوريق المتشابك الجميل ، حاول الفنان اظهار براعته في انفراده بأسلوب جديد ، تحولت فيه التوريقات المشبكة بالاغصان الى حيوانات صغيرة وطيور في أوضاع مختلفة متفرعة من الاغصان كالاوراق والزهور ، ذلك الباب باسم الامير سنقر الطويل من أمراء المماليك .

وهكذا صارت عناصر التوريق اساسا تشكيليا في توزيعات الفنون وتنوعاتها ، وأصبح على كل فنان اتجه الى نوع من هذه الصنائع ، أن يجيد التوريق أولا كمقدمة لتوقيعه على التحف والطرف بالآلات والوسائل المختلفة .

وكثيرا ما شاع توريق ابتكره مذهب وراق ، فنقل عناصره رخام أو حجار أو نجار ، ثم قلدهم خزاف أو صناع الشماعد وثريات الضوء من النحاس ، صافيا أو مكفتا بالذهب والفضة .

واذا كانت رحلة التوريق تطول عبر القرون بين مشرق الاسلام ومغربه ، فان أروع ما نراه من هذا التوريق سموا وتصوفا ، توريقات الزخارف في قصور الحمراء ، بغرناطة الاندلس ، حيث برع فنان الزخارف الجصية في ان يشكل الأوراق في أسلوب فريد ، جمل ابدان الوريقات نسيجا من اسم الله الاعظم ، متسلسلا متقابلا تقابل التسبيح وتسلسله في أعقاب الصلوات ، على السن القائمين الذاكرين ، فأينما انتقلت عيون الناظرين على الجدران وراء تسلسل التشكيل التوريقي ، تابعت اسم الله رؤية وتلاوة وتسبيحا ، جمال اناره اسم الله وزينه .

. . . . .

هذا كله عندما استقل التوريق بالتشكيل ، لكن المظلمة التي بلغت حد الاعجاز ، تتجلى في الجمع بين عنصر التوريق ، والكتابة كوفية أو نسخية ، ولست هنا بصدد الكلام عن الكتابة ، كعنصر من عناصر التشكيل الفني في فنون الاسلام ، فذلك موضوع آخر يشوق قارئه ، كما يشوق صانعه أو صائغه ، ولعلي أعود اليه بتفصيل مناسب ان شاء الله في عرض آخر .

وانما حديثي ، مستمر عن التوريق كمستوى من مستويات التشكيل الفني عندما تداخل مع الكتابة ، وقد كان التوريق وحده يشكل المستوى الواحد أو أكثر من المستوى في مزاولة الفنانين الاسلاميين ، على تنوع خاماتهم والوان صنائعهم .

ولقد كان اختلاف المستوى أكثر وضوحا في صناعة الرخامين والنجارين ، حيث يقد الفنان في الحجر أو الخشب سطوحا متتالية العمق من التشبيك والتوريق يعلو بعضها بعضا ، منه في صناعة المذهب الوراق ، الذي يتحتم عليه أن يمثل اختلاف الارتفاعات وتداخل التوريقات بتباين الالوان وتغاير الاصباغ .

أما عندما تشابك التوريــق مــع حروف الكتابة أو عانقهــا أو تفــرع عنها ، دون أن يخل ذلك بأشــكال الحروف ، ومعانى الكلمات . آية كان ذلك المكتوب أو دعاء أو مديحــا ، فذلك مما انفرد به الفن الاســلامى تمام الانفراد . ولقد برز جهد الفنانين فى ذلك ، من حيث مغايرة مستوى التلوين أو الحفر ، لاحداث التوازن والتوافق الموســيقى بين الكتابــة وخلفياتها المورقة ، وكذلك تباين دقة الحفــــر فى الخلفيات ومسطحــات الحروف عريضة أو دقيقة .

ولعل أبرز مثالين أسوقهما فى ختام الحديث عن هذا التزاوج بين الكتابات والتوريق ، مثالان ، أحدهما مملوكى : هو طراز سورة الفتح فى مســـــجد أو مدرسة السلطان حسن بالقاهــرة ٧٦٤هـ ــ ١٣٦٣م .

والثانــى اندلسى مـــــن العصر النصري ، هو طــراز من شعر ابن زمرك الوزير الغرناطى على جدران قاعـــات الحمــراء ــ ٩/٨ هـ ــ ١٤/١٥م ــ

أما الاول فطوله ما يقرب من ٤٠ مترا بعرض ٥٠ سم تقريبــا يطيف بإيوان القبلة مبتدئا من اليمين ومنتهيا باليسار ، قوامه آيات من ســـورة الفتح ، كتبت بخط كوفى مملوكى غير منقوط ، حروفــه عريضــة طويلة القوائم بسيطة التكوين ، فرشــت على خلفية مـــــن التوريق الدائرى المتتابع فى لا نهائية مطلقة حتى ليظن المتتبع لتسلسله تحت الكتابة ، انه بدا مع الاستعاذة بالله والبسملة ، ولم ينته الامع صدق الله العظيم .

واذا كانت الكتابة تكون السطح او المستوى العالى ، وخلفها التوريق ، فانه يكون مستويين تحت الكتابة من التفريعات الدقيقة والتوريق الرشيق ، مع تعدد أشكال الاوراق وتنوعهــا صلبة أو مخرمة ، آية فى رقـــة التشكيل والتقابل والتقاطع والانثناء والانفراج .

وقد اشتهرت هــذه الفترة مـــن العصر المملوكى بهذا اللــــون من التوريق ، وخاصة العمائر التى اقيمت فى عصر المنصور قلاوون ــ ٦٨٣هـ ١٢٨٤م ، ثم ابنه الناصر محمد ، ثم السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت كلها عمائر فارهة ، حوت الوانا من الفنون والصنائــع البديعة ، واقتبست كثيرا من عناصر اشتهرت بها العمــارة الاندلسية ، واهم هذه العناصر ، طرازات الجص المشغول بالتوريق ، وطرازات الكتابة النسخية أو الكوفية ، ذات الخلفيات المورقة .

وهكذا نعود الى حريــة حركــة الفنون وعناصرها بين بلاد الاسلام .

أما المثال الثانى ، فلا تخلو قاعة من قاعات الحمراء منه ، قصائد قالها ابن زمرك الوزير الغرناطى ، فــى مدح سلاطين بنى نصر بن الاحمر ، آخر من حكم فى الاندلس عامــة ، وغرناطة خاصة من ملوك المسلمين .

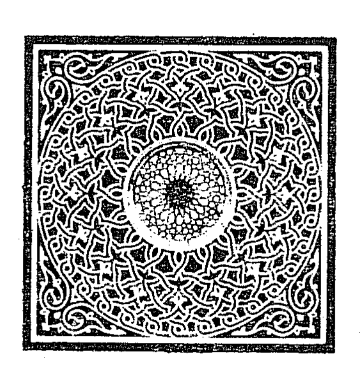
والكتابة كلها من الخط النسخى المغربى على الوجــه الاغلب ، ذى الحروف اللينة والقوائم المستطيلــة السامقة ، قريب من النسخ المملوكى مع ليونة اكثر من صاحبه ، والخلفيات هنــا اوراق مفصــاف تعــانقت وانفردت ، وتزاوجت وانفــرجت ، وانثنت حينا ثم اعتدلت ، فى تشكيل ذى مستويات ثلاث تحت مســتوى الكتابة ، حفرت على الجص فى رقة ودقة رائعة ، وزاد من روعتهــا ما سبق أن ذكرته من تصوف الفنان ، حتى جعل التوريقات سطوحا مخرمة تخريما قوامه لفظ الجلالة ــ اسم الله

الأعظم — في تسلسل وتتابع وانسياب يدل على تمكن فني فريد ؛ أبى الزمن أن يقربه بالفناء ، لاحتوائه اسم الله ، يسبح به ربه كل من رآه ؛ رغم مرور قرون أربعة أو تزيد ، ورغم هشاشة المادة التي شكلته وهي الجص ؛ ولا شك أن عوامل الصيانة من قوم أدركوا القيمة الفنية لهذه الروائع ، يجنون من ورائها الذهب السائل من أيدي سائحين ؛ يبلغ تعدادهم ٣٠ مليونا .

هذا غير جامات الكتابة الكوفية ؛ بالعبارة المشهورة هناك « ولا غالب الا الله » و « الحمد لله على نعمة الاسلام » في تراكيب متشابكة ومضفرة تضفيرا رائعا خلفياتها بسط التوريق المخرم ، تسبح أوراقه باسم الله العظيم .

واذا كانت الخلافة العثمانية قد ورثت جزءا من الميراث الاسلامي عنوة أو اختيارا ؛ وبالتالي جمعت فنون المسلمين وفنانيهم ، فان التوريق ظل خلف كل جهد لفنان ، في كتاب من الجلدة الى الجلدة كما يقول المثل العامي ، أو أي نوع من أنواع المشغولات الفنية من نجارة وخزف ورخام وتطعيم وتكفيت وتلبيس .

وما زال قرة عين كل محب لفن ؛ قوامه التصوف والتسبيح لصاحب الكون رب الابداع من ورقة الشجرة أو الزهرة الى المجرات في كبد السماء (٥) .



---

١) « مسالك الامصار » للعمرى ج١ ص ١٢٥

٢) « وفاء الوفى » للسمهورى ج١ ص ٣٥٥ ، فتوح البلدان للبلاذرى ص ٦ . على سبيل المثال لا الحصر

٣) M. S. Dimand : A handbook of Mohammadan Art. Metropolitan Museum of art. New-York P. 69.
Moorish Tpain by Enrique Sordo P. 139.

٤) « المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها » للدكتور احمد فكرى .

٥) ليس ذلك من سبيل التعبير الانشائى ، ولكنه اشارة الى عنصر آخر من فنون الاسلام هو الزخارف والتشكيلات الهندسية ذات التكوين النجمى ، التى عجز عن حصرها النقاد والمشتغلون بالفنون .



والموعد الله

تأليف : الأستاذ خالد محمد خالد
عرض وتحليل : الأستاذ محمد عبد الله السمان

ما إن فرغت من قراءة الكتاب الذى نشرته مكتبة الزهراء بالقاهرة كأحدث إنتاج للاستاذ خالد ، حتى تساءلت :

أين يقف الاستاذ خالد اليوم ؟ وإلى اين يتجه ؟

يمكننا أن نعتبر هذا الكتاب لونا جديدا للاستاذ خالد مع شيء من التحفظ ، فقد اتجه فى السنوات الأخيرة الى الدراسات التحليلية لبعض الشخصيات الاسلامية التى لها فى نفوس المسلمين إجلالها ، وفى قلوبهم مكانتها ، وفى اذهانهم قداستها ، قدم لنا : انسانيات محمد ــ بين يدى عمــر ــ وجــاء ابو بكر ــ فى رحاب على ــ وداعا عثمان ــ أبنــاء الرسول فى كربلاء ــ معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز ، بالاضــافة الى : معا على الطريق ، محمد والمسيح ، ثم رجال حول الرسول .

والكتاب الاخير « رجال حول الرسول » صدر فى خمسة اجزاء فى أحجام كتبه المعروفة ، وليست الدراسة فى هذا الكتاب ترجمات وافية عن النماذج التى اختارها من اصحاب رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما هى دراسة تحليلية عن بعض جوانب العظمة فى اشخاصهم، وكتابه الاخير : « والموعد الله » الذى بين ايدينا ، هو ايضا دراســـة تحليلية ، اختار لها نماذج من رجــال التصــوف فى مراحـــله الأولى والمتوســطة .

إذن فكتابه الجديد هذا لون جديد لانه ــ وحسب ــ قــد اختار نماذجه من صنف جديد من الناس ، وهو فى نفس الوقت ليس لونا جديدا من حيث المنهج ، فهو دراسة تحليلية سبق له أن مارسها فى كتــابه الذى اشرت اليه : « رجال حول الرسول » مع فارق شبه جوهرى ، هو أن الاستاذ خالد فى كتابه « رجال حول الرسول » كتب دراسة تحليلية

عن جوانب العظمة فى النماذج التى أختارها ، وهـذه الجوانب بمثابة مفاتيح لشخصياتهم ، أما فى كتابه الاخير « والموعد الله » فقـد كتب دراسة تحليلية أيضا ، لكن عن أحوال نماذجه التى اختارها ، تكشف عن شفافية أرواحهم ، وصفاء أذهانهم ، ونقاء نفوسهم .. ثم خلاصة فلسفتهم فى الحياة ، وهى فلسفة تنم عن سلبية فى جل ظروفها .

فمن هؤلاء ؟ يقول الاستاذ خالد فى مقدمة كتابه :

« من المؤمنين رجال نعتهم الرسول عليه السلام بأنهم : « أهل الله وخاصته » أولئك الذين تبتلوا لله ، وحملوا بايمانهم وفى قلوبهم نور القرآن الكريم ، لم يلههم فى طول الدنيا وعرضها شىء عن ذكر الله .. بل نذروا لله حياتهم ، واسلموا إليه وجودهم ، واتخذوه وكيلا » .

وما يريد أن يقول المؤلف فى هذا الكتاب ؟

يقول : إن هذا الكتاب ، ليس تاريخا لهم ، ولا تقديما لسيرهم ، انما هو محاولة لرؤية أفكارهم وفلسفتهم تجاه طائفة من القضايا التى يناط بها مصير الانسان وخلاصه .. ومن خلال الكلمات الفاتحة والمضيئة التى عبروا بها عن انفسهم ، وضمنوها فكرهم العميق والعريق ، نحاول تحقيق الغرض الذى انعقد عليه عزم هذا الكتاب » .

اما هذا الغرض الذى انعقد عليه عزم الكتاب ، فقد أوجزه المؤلف فى عبارتين موجزتين ذيل بهما عنوان كتابه :

كيف يفكر أهل الله ؟ وفيم يتحدثون ؟

يرى المؤلف اننا أمام هذا الرعيل الكريم من اهل الله وخاصته ، إنما نتلقى منهم وعنهم طرازا فريدا من التجربة الانسانية المفعمة بروعة المعاناة ، وعظمة الوسيلة ، وجلال الغاية ، ومهما يكن الخلاف أو يطل الحوار حول منهجهم فهناك حقيقة تفرض نفسها على أولى الألباب الذين يعنيهم دوما أن يعرفوا : تلك هى أن التجربة الروحية السلوكية التى شكلتها حياة أولئك الأبرار ، ليس لها من طراز سواها .. وأن حظها من الصدق حظ فريد . .وانها كانت — وستظل — تحمل من الرؤى ما ليس للروح الانسانى عنه غنى .. وتحمل من الثراء العلوى مالا يبدد فاقة النفس سواه » .

والاستاذ خالد يصور لنا أحوال احبابه من أقوالهم ، غير مدع استيعاب كل أقوالهم ، أو حتى جاء منها فى هذا الكتاب بالكثير ، وإن كان — كما يقول — تتبع الكثير الباهر من اقوالهم فى مصادر شتى ، ثم راح يستلهم هذه الاقوال ما تنطوى عليه من فلسفة وأفكار ، ثم ما تطرحه من قضايا واتجاهات .

وبالطبع لم يضع المؤلف فى اعتباره البحث عن قيمة مصادره الشتى التى التقط منها بعض أقوال القوم ، على الرغم من اعتباره هـذه الاقوال فلسفات وأفكارا ، واتجاهات وقضايا ، فاذا سايرنا المؤلف فى اتجاهه ، كان علينا أن نشير — فى إيجاز — الى هذه القضايا التى رآها المؤلف ترجمة عن أفكار القوم وفلسفتهم ، والتى كاد يحصرها فى :

● الله هو الغاية : من أشواقهم إليه يبدأون .. وإلى مثولهم بين يديه ينتهون ، فاذا كان سبحانه « الآخر » الذى يقطعون الاعمار وثبا فى السفر الى رضوانه وجلاله ، فهو أيضا .. « الأول » الذى يبدأون الرحلة

من دعوته ومشيئته وتوفيقه . ومن إرادته التي تقول للشيء : كن فيكون .. ومن حوله وقوته اللذين لولاهما ما قدر أحد على حركة أو على سكون .. أما متطلبات هذا الطريق فأولها أن يسقط المريد إرادته . فالشيخ الواسطي يقول : « أول مقام ينزله المريد . هو إرادة الحق بإسقاط ارادته » ثم التجرد من النفس . فالتخلي عن النفس أمثل طريق لاستبقاء النفس وإعلائها ، ثم الاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الغير ، ثم التواضع حتى لا يكاد المريد يرى لأعماله الصالحات مقاما .

● الوفاء لله : فأهمية العبادة عند القوم ، أنها تمثل أوضح ملامح الإنسانية في الانسان « الوفاء » والذى لا وفاء له لربه ، إنسان ضاعت انسانيته في زحمة الظلمات .

● العلم والمعرفة : فأهل الله لا يعبدون الله اعتباطا ، ولا يمارسون العمل الصالح عن جهالة .. لا . بل إنهم ليقدسون المعرفة والعلم والحكمة ، ويسعون إليها جميعا ، بنفس القدر الذى يقدسون به العبادة والطاعة ، لكن العلم عند أهل الله ليس مسألة تحصيل ، بل محاولة لرؤية الحقيقة من داخلها ، يؤكد القشيرى ذلك بقوله : « هناك علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين : فعلم اليقين لأرباب العقول ، وعين اليقين لأصحاب العلوم ، وحق اليقين لأصحاب المعارف » .

● الزهد والورع : هذه النعمة التى أفاء الله بها عليهم ، تخصصوا فيها وعرفوا بها ، فلقد كان موقفهم من مناعم الحياة ، بل ، ومن ضروراتها مثار العجب ، والحديث الطويل من الذين عنوا بدراسة تاريخهم ، ولقد بهروا بطريقة استغنائهم عنها ، وزهدهم فيها .. ويسترسل المؤلف فى هذه القضية فقد وجد مجالا فسيحا فى مصادره من كلمات القوم وأحوالهم ، ينقل إلينا قول أبى حازم : « ما مضى من الدنيا حلم .. وما بقى منها أمانى » أما مسروق بن عبد الرحمن فقد أخذ ابن أخ له ، وصعد به كومة عالية ، كان الناس يتخذون منها ملقى لكناستهم وزبالتهم ، ولما ارتقياها قال له : ها هى ذى دنياهم تحت أقدامنا : أكلوها فأفنوها ، ولبسوها فأبلوها ، وركبوها فأنضوها ، سفكوا من أجلها دماءهم ، واستحلوا فيها محارمهم ، وقطعوا فيها أرحامهم » .. وأما مالك بن دينار ، فلست أدرى أى لون ما فعله من ألوان الزهد ؟ فقد وقع حريق كبير بالبصرة ذات يوم ، وعصف الهلع بالناس ، لكن مالك بن دينار ، أخذ بطرف ردائه ومشى فى شوارعها لا يلوى على شىء وهو يقول : « هلك أصحاب الأثقال » ! .

● الجهاد : إن إحساس المؤلف بأن هذه القضية لم تكن لتشغل القوم جعله يقول : « ولقد كان الظن بهؤلاء الذين لاذوا بشعاف الجبال فرارا بأنفسهم من الفتن ، أن يحصروا جهادهم فى جهاد النفس .. لكن « أهل الله » وقد تحقق لهم « التكامل الدينى » على أفضل نسق ، لم يكن يفوتهم لله واجب » فهو يراهم نماذج كاملة بحق ، فهم فوق أرض القتال أكثر المقاتلين غبطة بالموت واستبسالا فيه ، كما يرى أن أفكارهم وكلماتهم عن هذه القضية أفكار وكلمات أبرار .. بلغوا الذروة فى حسن الفهم عن الله ، والفهم لدينه .

● الاعتزال لا العزلة : « أهل الله » لم يعرفوا العزلة ؛ لأنها موقف جانح يحمل صاحبه على الانسلاخ من الجماعة ، وانما عرفوا — فقط — الاعتزال ، فهو نوع من المراجعة ، يراجع المرء بها نفسه ، والناس الذين يصحبهم ويعيش بينهم ، فبمراجعة نفسه يعتزل ما يقترف من خطيئة أو فتور عن الطاعة ، وبمراجعة الناس ، يعتزل منهم الفاسد ، وكل من لا يكون عونا له على العبادة والخير .

● واخيرا : الموعد الله : كما بدات مسيرتهم من الله ، ينتهى مسراهم ومعراجهم اليه سبحانه ، ويذكر المؤلف أنه لو أراد تلخيص حياتهم ومنهجهم فى عبارة واحدة لكانت « التجرد لله » وهذا التجرد لله ، والفناء فى جلاله ، هو عندهم « جوهر الحرية » لانهما : — التجرد والفناء — يعنيان ان صاحبهما لم يعد رقيقا لشىء من أشياء الحياة وعلاقاتها ، وانه قد صار كما يقولون : « فردا .. لفرد » .. هو ، والله .. فأى سيادة هذه ، وأى جلال ؟! إن هذا التجرد يعنى عند « أهل الله » أن الشخصية الباطنة للمتجرد قد اتصلت بخطوط مباشرة مع الملأ الأعلى ، بعد ان حققت أعلى درجات الانتصار فى حياة السريرة والضمير ، ويسوق المؤلف إلينا كلمات « بشر الحافى » : « من أراد أن يذوق طعم الحرية ، ويستريح من العبودية ، فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى » وهذا هو التجرد لدى المؤلف ، والذى هو بدوره الالتزام الأساسى للسائرين الى الله .. وهو ليس ترفا روحيا .. بل فريضة محكمة ، لانه التعبير الصحيح عن توحيد الله .. بل إن المؤلف يذهب بالتجرد لدى القوم الى مدى آخر متجاوزا شبه المنطقى المقبول ، فلا يقف بالتجرد عند حدود تجريد النفس عن رؤية الأغيار كافة ، بل تجريد النفس من رؤية ذاتها حتى وهى فى أبهى فضائلها ، حتى تصل الى حقيقة التوحيد ولبابه ، وآية ذلك التجرد ماثلة فيما يقول ابو عبد الله القرشى : « ألا يبقى لك منك شىء » وآيته كذلك ، تعرية كل قوى الحياة من طاقاتها المستعارة ، والرجوع بفاعلية الأسباب إلى مصدرها الحق سبحانه وتعالى .

ولست أدرى كيف يهضم الإنسان ما استشهد به المؤلف من كلمات « ميمون بن مهران » :

« يقول أحدهم : اجلس فى بيتك .. واغلق عليك بابك ، وانظر هل يأتيك رزقك » ؟ نعم والله ، ليأتينه رزقه ، ولو أغلق عليه بابه ، وارخى ستره ، إذا كان معه مثل يقين « مريم » و « ابراهيم » عليهما السلام » .

ولا كيف يستسيغ بعضا مما ورد فى كتاب الاستاذ خالد من اتجاهات سلوكية للمتصوفة — أو بمعنى ادق — لكثير منهم ، وبخاصة فيما يتصل باضطهاد الحياة ، فاذا أردنا تطبيق ذلك على عهد اصحاب رسول الله — صلوات الله عليه ، خرجنا بإحدى نتيجتين لا ثالث لهما : إما ان يكون هؤلاء المتصوفة اكثر فهما لروح الشريعة ، وإما أن يكون الله قد خصهم بدرجة لم يخص بها اصحاب رسول الله فى مجال الايمان والمعرفة .

لقد حاول الاستاذ خالد أن يضفى على القوم الصوفية قيما دون أن يراعى مدى مطابقتها لواقعية الاسلام تجاه الحياة ، وقد استطاع بلباقته أن يجنب كتابه كثيرا من الشطط الذى ساير سلوك عديد من القوم ، وهذا

الشطط غصت به نفس المصادر التى التقط منها الكلمات والسلوك معا ، ليس معنى هذا ان ننكر أقدار الرعيل الاول من الصوفية قبل أن تشوبها أفكار دخيلة وانطباعات ذاتية غريبة لا تقرها روح الشريعة ، وانما المقصود أن تكون دراستنا للتصوف سلوكا وأقوالا تتميز بشىء من التجرد ، فالاستاذ خالد حول سلوك القوم واقوالهم الى قضايا وفلسفات — لا أظن انها كانت تدور بخلد القوم ، أو تسيطر على أذهانهم .

تقول كتب القوم : إن ابراهيم بن ادهم — وهو من أعلامهم — عزم على أن يحج لله ماشيا ، وأن يصلى بين كل خطوتين ركعتين لله ، وقطع فى رحلته أربعين عاما من حياته ، كما تقول هذه الكتب أيضا : إن القلانسى تزوج ، وبقيت زوجه فى عصمته ثلاثين عاما ، ثم مات عنها وهى لا تزال بكرا .. لأن العبادة قد شغلته عنها .

وتذكر كتب القوم على لسان الحصرى : ان الصوفى عنده هو الذى لا تقله الارض ولا تظله السماء .. « وعلى لسان الشبلى من أصحاب الجنيد : ان التصوف ، هو العصمة عن رؤية الكون » وعلى لسان سهل التسترى : « ان الصوفى من يرى دمه هدرا ، وملكه مباحا » وعلى لسان ابى سهل الصعلوكى : « أن التصوف هو الإعراض عن الاعتراض » .

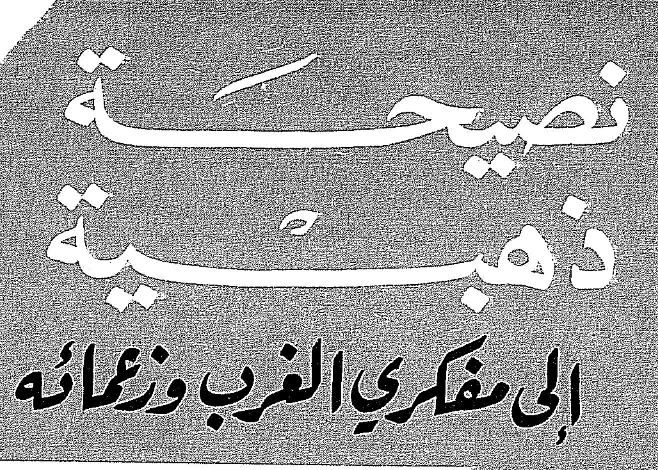
اما سلوك القوم كما ترويها كتبهم فلها العجب ، هذا الجنيد « سيد الطائفة » كما قيل ، يطلب التين ، ولم يكد يضع واحدة فى فمه حتى يلقيها ويأخذ فى البكاء ، فقد هتف به هاتف : اما تستحى .. تركته من أجلى ثم تعود اليه ؟! بل يروى عن الجنيد أنه كان يدخل كل يوم حانوته ، ويسبل الستر ، ويصلى اربعمائة ركعة .. ثم يعود الى بيته .. بل إن الجنيد كان يحقر عمله إزاء عمل السرى السقطى ، فيقول : « ما رأيت أعبد من « السرى » أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا فى علة الموت .. !

.. .. ..

وبعد — فقد كان الهدف من كتاب الاستاذ خالد أن يقدم نماذج من القوم طيبة ، ويبرز محامدها كما تصورها هو ، محاولا أن يؤكد منها اثنتين كانتا قلقتين فى تاريخ القوم ، هما الاشتغال بالعلم وبالجهاد ، ثم يدفع عن نماذجه شبهة العزلة عن الحياة ، والاستاذ خالد سار على مناهج الذين سبقوه الى الكتابة عن القوم ممن يحسنون الظن بهم ، وهؤلاء — كما يقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه «نشأة التصوف» سمحت لهم طبيعة التصوف ان يضعوا من المناهج ، ويرسموا من الطرق ما يسمح به تفكيرهم ، وما تتسع له مداركهم ، وتسمو إليه اشواقهم ، لأن منهج التصوف منهج متصل بعالم الروح الذى لا تضبطه حدود » .

وعلى الرغم من أن المؤلف قد امتعنا بجولة روحية على صفحات مؤلفه ، لكن يبقى للقارىء أن يتساءل : أهى مرحلة نفسية انتقالية وقد يتساءل قارىء آخر :

.. أين يقف الاستاذ خالد اليوم ؟ .. بل الى أين يسير ؟؟



الأستاذ محمود مهدى استانبولى

أيها الغربى ، أخى فى الإنسانية .

تحيات طيبة أبعث بها اليك من الشرق الجميل ، من بلاد العرب ، نبع النور والحكمة .

آملا أن تسمح لى ما دمت أخى فى الإنسانية — أن أقدم لك أعظم هدية ثمينة ، فيها سعادتك وسعادة قومك ، بل وسعادة البشرية جمعاء ، بل خلاصها من كل ما تعانيه من قلق واضطراب وفوضى .

اذكر — يا أخى فى الإنسانية — أن جزيرة العرب كانت تتخبط قبل أربعة عشر قرنا بالضلال ، والانحطاط ، والفساد ، والظلام ، فحدثت حادثة عظيمة استطاعت بسرعة عجيبة أن تجعل من العرب خير أمة أخرجت للناس ، فسمت بأخلاقهم ووحدت كلمتهم ، وجعلت منهم هداة مهديين انطلقت بهم فى ميادين العلم والمدنية ، فخرجوا الى العالم ينقذونه من ظلمات الوثنية ، والجهل .

فأسسوا أعظم حضارة عرفها التاريخ ، كانت سببا فى إنقاذ البشرية كلها من ظلمات الجهل ، والظلم ، بشهادة مؤرخى وعلماء الغرب المنصفين الذين راحوا يطلقون عليها اسم « المعجزة العربية » وهى ظاهرة تاريخية عجيبة تستحق الدراسة للإفادة منها ! . .

إن هذه الهدية هى : الاسلام !

ولا شك أنه بلغك عن هذا الدين الأخبار الكثيرة ، ولكن أغلبها مشوه وكاذب : شوهه أناس لا يخافون الله ، قد ماتت ضمائرهم ، غايتهم تضليل الأبرياء ، لتبقى لهم امتيازاتهم ويتسنى لهم امتصاص أموال الناس بالباطل .

كتبت إليّ بعض الجمعيات الإسلامية فى ديار الغرب ، تطلب منى ان اكتب لها رسالة فى بيان مزايا الاسلام وحاجة الغرب اليه ، تترجمها الى اللغات الاجنبية وترسلها الى مفكرى الغرب وعلمائه وزعمائه فى مختلف المناسبات تدعوهم فيها للإسلام ، وذلك بناء على اقتراح لى ارسلته اليها .

واشترطت على الإيجاز فسارعت إلى تلبية الطلب ، وكتبت لها الرسالة التالية ، آملا أن يتبناها من يقدر على تنفيذها ، وتعديل ما يراه ضروريا ، والله سبحانه نسأل أن يتولانا بعنايته وتوفيقه .

إن هؤلاء الأشرار يحبون أن يبقى العالم فى شقائه ، فيسعون جهدهم لتشويه حقيقة الاسلام ، ليظهروه بمظهر سيىء بمختلف وسائل الدعاية الكاذبة، لتنفير الناس منه ، وليبقوا فى ظلام دامس ، وشقاء مستمر ، مثلهم فى ذلك مثل اللص يحاول — أول ما يحاول — إطفاء المصباح لتسهل عليه السرقة !

إن هذا المصباح المضيء ، هو الاسلام الذى أضاء نوره العالم قبل أربعة عشر قرنا ، فهم يحجبون ضياءه بمختلف الحيل والأساليب ، ويخوفون جماعاتهم حتى من قراءة صفحة عنه ، لأنهم يعلمون أن حقيقته وعظمته ستجذبهم إليه فيدخلون فى دين الله أفواجا .

ليست غايتى الدعاية للإسلام ، إنما غايتى الأولى هدايتك الى طريق الحق ، وإنقاذك من الضلال ، ومن الفراغ السحيق الذى تعانيه البشرية كلها بسبب النظم المادية التى تعكر حياتها ، وتهدد العالم بحرب هيدروجينية مدمرة نتيجة تركها للاسلام : شريعة الله !

وأهم ما ينبغى أن ألفت نظرك إليه أنك إذا دخلت الاسلام ، فلا تكون قد تركت ديانة المسيح عليه الصلاة والسلام .

أبدا ! إن الاسلام امتداد للمسيحية الصحيحة ، وإتمام لها ، كما أن المسيحية إتمام لشريعة موسى عليه السلام ، هكذا أعلن المسيح عليه السلام فى قوله : « إننى ما جئت لأنقض الناموس ، بل جئت لأتمم » وقال النبى محمد صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

قال لوزارون (القس باسنت سابقا) معترفا بأن الإسلام هو الدين

المسيحى محسنا ومحورا ، ونصح قومه الذين يلتمسون دينهم المفقود ان يستعينوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشودة .

إنجيل يوحنا (١٤ ، ٢٤ ، ٢٥) ، إنجيل مرقس (١٢ ، ٢٨) ، إنجيل مرقس (١٣ ، ٣٢) إنجيل متى (٢٠ ، ٢) ، انجيل متى (١١ ، ١١) ،انجيل يوحنا (١٧ ، ٣) ، انجيل متى (٢١ ، ١١) ، انجيل يوحنا (٨ ، ٤) ، انجيل يوحنا (٦ ، ١٤) ، انجيل يوحنا (٥ ، ٨) .

اجل راجع هذه الفقرات وفى مقدمتها ما جاء فى (انجيل مرقس ٢ ، ٣٣ حيث يقول المسيح : « الحق قلت : لأن الله واحد ، وليس سواه » !

تجد توحيد الإله الذى جاء به الإسلام واضحا فى الأناجيل نفسها ــ كما هو واضح فى التوراة ــ مما لا يدع مجالا للشك فى أن الله سبحانه واحــد لا شريك له ، الأحــد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وان المسيح عبده ورسوله .

وراجع الفقرات التالية أيضا من انجيل يوحنا ، ومثلها كثير فى توراة يوحنا : ٢٦،١٥ ويوحنا : ١٣،١٢،١٦ ، يوحنا : ٢٢،١٥ ، يوحنا ١٨،١٦ .

اجل راجع هذه الفقرات وفى مقدمتها : « إن كنتم تحبوننى ، فاحفظــوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد ــ أى خاتم الأنبياء ــ وروح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه . وانتم تعرفونه ، لأنه مقيم عندكم وهو ثابت بينكم « لأنه مذكور فى التوراة؛ والانجيل والفارقليط »(٢) . روح القدس الذى يرسله الأب باسمى هو يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم . والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى تؤمنوا ! » . أى تؤمنوا بالنبى محمد وتدخلوا فى دينه (يوحنا : ١٤ ــ ١٥) وما بعدها ..

بشارات التوراة بمجىء الرسول محمد :

فى التوراة عدد كثير من البشارات بمجىء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فعلى طالب الحقيقة مراجعتها فى الإصحاح (١٨ ــ والفقرة ٢٠) من سفر التثنية ، والإصحاح (٣٢ : والفقرة ٢١) والإصحاح (١٧ والفقرة ٢٠) من سفر الاستيثاء ، والإصحاح (٤٩ الفقرة العاشرة) من سفر التكوين . والإصحاح (٤٢) من كتاب اشعيا ، والإصحاح الرابع والخمسين من كتاب اشعيا ، والباب الثنى من كتاب دانيال والفقرة ٣١ ، وجاء فى اشعيا الاصحاح ٦٠ والفقرة ١ــ٧ اجل فى التوراة بشارات كثيرة ، وفى مقدمتها ما جاء فى الاصحاح الثالث والثلاثين قولــه « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنـــا من ساعير ، وتــلألأ من جبــل فاران » وفى الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ بالاضافة الى ما سبق « ومعه الوف الأطهــار » .

فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى ، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل للمسيح . وتلألؤه من جبل فاران إنزاله القرآن على الرسول محمد .

ويمكن أن نستدل على أن فاران هى الحجاز بما جاء فى التوراة على أن هاجر زوجة ابراهيم وأم اسماعيل سافر بها زوجها واسكنها برية فاران ، ومما هو ثابت فى التاريخ أن هذه الهجرة كانت الى الحجاز ، وقاموس الكتاب المقدس نفسه ، يفسر فاران : بالحجاز .

وقوله « ومعه الوف الأطهار » يقصد صحابة الرسول محمد الذين رباهم

فكانوا أمثال الطهر والأخلاق المثالية والجيل المثالى العظيم .
لقد بشرت التوراة والانجيل بمجىء نبى بعد المسيح (عليه السلام) الذى ذكر قاعدة لتميز الرسول محمد عن الأنبياء الكذبة فقال : ((**من ثمارهم تعرفونهم**)) وهل اعظم من الآثار التى جاء بها النبى محمد من عند ربه ؟!
وفى مقدمتها : القرآن العظيم الذى لا يزال معجزته الخالدة على مر العصور، وقد تحدى الله سبحانه البشر أن يأتوا بمثله ، وأن يجدوا فيه عيبا أو مخالفة للبديهيات العلمية الثابتة بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزوله ، ولم يقتصر الامر على ذلك ، فإن فى هذا القرآن عددا كثيرا من الآيات التى سبقت العلم ، مما لا يدع مجالا للشك انه من عند الله ، بينما جاء فى كتب بعض الأديان الأخرى من المهازل والسخافات والمتناقضات للعلم الشىء الكثير !
هذا وفقرة « من ثمارهم تعرفونهم » التى وردت فى الإنجيل ، وقد مر ذكرها ، فإنها علاوة على إشارتها إلى ما سبق ، فانها تدل ايضا على وعد السيد المسيح بمجىء الرسول محمد ، وأن اليهود ، والنصارى ، كانوا ينتظرون مجىء هذا النبى .
إن اليهود المعاصرين للمسيح كانوا منتظرين نبيا آخر مبشرا به ، وكان هذا المبشر عندهم غير المسيح ، بدليل انهم سألوا يوحنا قائلين : أأنت المسيح ؟ ولما انكر سألوه أأنت إيليا ؟ ولما انكر ، سألوه : أأنت النبى المنتظر الذى أخبر به موسى . مما يدل على أن النبى محمدا كان منتظرا مثل المسيح وإيليا . ولكن لعن الله المحرفين والمضللين الذين يخفون الحقيقة !!
إنك تتأكد مما سبق أن السيد المسيح قد اخبر وبشر بمجىء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بصورة صريحة لا تدع مجالا للشك ، وحض على اتباعه ، وسرعة الإيمان به ، والدخول فى دينه .
فما عليك إلا أن تؤمن به وتدخل فى دين الإسلام .
واذكر بهذه المناسبة أن الإسلام قد أشاد بعظمة المسيح ، ورفع من شأنه، وأمر المسلمين بالإيمان به ، واثنى على أمه مريم الصديقة ، فى آيات .
إن البشرية اليوم بحاجة إلى الاسلام ، بعدما أفلست جميع تشريعاتها ومذاهبها .
إن الاسلام قادر على حل جميع مشكلات الغرب ، بل مشكلات العالم بأسلوب طبيعى ، وإنقاذه من القلق والفوضى والهلاك الذى يهدده ، بسبب مذاهبه المنحرفة ، التى سببت النزاع بين جماعاته ، ذلك النزاع الذى يوشك أن يتحول إلى حرب هيدروجينية تعرض العالم والحضارة إلى الفناء .
إن الاسلام يرسم للعالم طريق السعادة الحقيقية ، ويقدم له الحلول السريعة لمشكلاته كما اعترف بذلك كبار الساسة ، والعلماء ، والمؤرخين المنصفين فى الغرب والشرق .

القوانين الطبيعية والتشريع السماوى :

اذكر — يا أخى فى الانسانية — أن الله العظيم قد وضع فى هذا الكون لتنظيم العلاقة بين البشر والطبيعة قوانين مادية ، فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يستفيد من الطبيعة ، وإذا خالف هذه القوانين عرض حياته للشقاء والانحطاط .

واذكر إلى جانب ذلك ان الله ـــ سبحانه ـــ وضع ايضا قوانين تشريعية لتنظيم العلاقة بين البشر بعضهم ببعض ، وهى ما تسمى الدين ـــ فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يعيش سعيدا راقيا فى حياته . وإذا خالف هـــذه التشريعات عرض حياته للشقاء والهلاك .

وما تعانيه البشرية اليوم من فوضى ، وانحلال ، وحـــروب ، وفساد ، ما هو الا نتيجة مخالفتها للتشريعات الإسلامية الإلهية ، واعتمادها على تشريعات وضعية كانت سببا فى شقائها ، فكما أن الإنسان لا يقدر أن يعدل قوانين الإله الطبيعية ، كذلك لا يستطيع أن يعدل قوانين الإله التشريعية التى أنزلها عن طريق رسله إلى البشرية .

ويمكننا ان نقول ايضا : إن البشرية إذا كانت عاجزة عن وضع القـــوانين بينها وبين الطبيعة وقد وضعها الإله ، وفرض عليها اتباع هذه القوانين ، فهى عاجزة كذلك أن تضع القوانين التشريعية بين افرادها أنفسهم لأسباب وأسرار يطول الكلام عليها ، وقد وضعها الإله وفرض على هذه البشرية اتباعها ..

وقد جرب الفلاسفة ، والعلماء ، والساسة ، وضع مثل هذه القوانين قبل عهد أرسطو ، وافلاطون ، الى عهدنا هذا ، ففشلوا جميعا ، بعدما عرضوا شعوبهم بسببها الى الفوضى والهلاك .

فهذا أفلاطون (٤٣٠ ـــ ٣٤٨ ق.م) فى كتابه (الجمهورية) ، وهـــذا كنفوشوس (٥٥٠ ـــ ٤٧٩ ق. م) فى كتـــابه (الحوار) ، وهذا الفـــارابى (٨٤٠ ـــ ٩١٩) فى (آراء المدنية الفاضلة) ، وهذا توماس مور (١٤٧٨ ـــ ١٥٣٥) فى كتابه (يوتوبيا) ، وهـــذه النازية ، والفاشـــــية ، والرأسماليـــة ، والديمقراطية ، والشيوعية كلها قد انهارت ، وتنهار ، تاركة وراءها اسوأ الآثار والجرائم ، بعد ما أنهكت البشرية فى حروب طاحنة خلال نصف قرن من الزمن .

ولله در شـــوقى فقد خاطب الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يشير إلى الاسلام :

داء الجماعة من أرسطاليس لم   يوصف له ـــ حتى اتيت ـــ دواء !

وكل ذلك من الأدلة الواضحة على حاجة البشرية الى الإسلام ، وانـــه لا بد لها من الدخول فيه ! جرب أن تقرأ عن الاسلام ، ولو صفحات قليلة من مصادر موثوقة ، حاول أن تطالع القرآن العظيم باللغة العربية إن كنت تحسنها ، أو من الترجمة الصادقة ، فإنه لا شك سيجذبك إليه لدراسته بتفصيل ، إذا خلعت عنك رداء التعصب الذميم ، والتقليد الأعمى ، والتربية الحاقدة ، التى تربيت عليها .

قبل أن اودعك ، فإنى أستصرخ ضميرك أن تسارع الى دراسة الإسلام من مصادره الصحيحة : من القرآن ، وحديث الرسول محمد ، فإنه فى ذلـــك نجاتك ، ونجاة قومك ، ونجاة البشرية جميعا ، من القلـــــق ، والاضطراب ، والهلاك فى الدنيا ، وعذاب الله فى الآخرة .

واذكر أن مئـــات الغربيين المفكرين المنصفين من جميع الدول الأوروبيـــة والأمريكية دخلوا ويدخلون فى الإسلام واثنوا عليه ، وشهدوا بأن باستطاعته حل جميع مشكلات العرب بسرعة وانه ـــ لا شك سيكون دين الغـــربيين فى

الوقت القريب ، فما يمنعك ان تكون واحدا منهم فتنال سعادة الدنيا والآخرة .

واذكر فى الختـام أننا قـد بلغناك دعوة الإسلام ، فاصبحت مسؤولا أمام الله عن الإيمان به ، كما دعـاك إلى ذلك السيد المسيح عليه السلام ، ولا تنسى فى هذه المناسبة ان الإسلام غير المسلمين اليوم ، فهم لا يعطون صورة صحيحة عنه ، وهو غير مسؤول عن تأخرهم وضعفهم وانحطاطهم ، بعـد أن تركوا التمسك به بحق ، بسبب إهمالهم وانجرافهم فى دعاية المستعمرين والمبشرين ضـده .

ولا تنسى ايضـا أن المسلمين لما تمسكوا بالإسلام تمسكا صحيحا وقويا ، وحدهم بعـد فرقة ، وقواهم بعد ضعف ، ومدنهم بعد تأخر ، وجعل منهم خير أمـة أخرجت للناس ، ولما تركوه انهاروا وخذلوا ، يشهد على ذلك التاريخ !

بعكس الحال فى النصرانية بسبب تحريفها فإن الأوروبيين لما تمسـكوا بها قد تأخروا وعاشوا فى العصور الوسطى المظلمة فى الغرب ، والمتلألئة الراقية فى الشرق بسبب حكم الإسلام ومبادىء الإسلام .

إن العالم اليوم يعيش فى جاهلية مدمرة ، وفوضى رهيبة ، كما كـان يعيش قبل بعثة الرسول محمد ، وكلما تقدم الزمن ، كلما فقد سعادته ، وزاد فى شقائه ، وليس سوى الإسلام المنقذ والمخلص الوحيد .

زعـامة العـالم :

وبمناسبة الحديث عن الاسلام اذكر أن زعامة العالم فى هذا الدين العظيم لن تكون للعرب خاصة ، إنما تكون لأكثر الناس صلاحا وإنتاجا وتطبيقا لمبـادىء الإسلام التى هى مبادىء الحق ، والقـوة ، والخير ، والسلام ، والجمال .

ان أول ما ينادي به الإسـلام من اجل تحقيق السلام على الارض ، وإثارة الضمير الإنسانى ، أنه يعلن فى مناسبات كثيرة ان البشرية ترجع فى أصلها إلى نسب واحد وأبوين مشتركين ، وإذا حكمنا العقل نجد ان كل ضرر يلحـق بإحدى الجماعات البشرية ينتقل إلى الجماعات الأخرى بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة ، مما يدعوهم إلى المحبة ، والوئام ، والسلام .

وهذا المفهوم إذا كان غريبا فى القديم ، فإنه اليوم بعد اختراع وسـائل النقل السريعة العجيبة والاذاعة والتلفزيون والهاتف والبرق .. أصبح مقبـولا وضروريا ، فقد غدت الكرة الأرضية كوطن واحد ، أو بلد واحد ، وغدا سكانها كأسرة واحدة ، أو كشعب واحد ، فهل رأيت أسرة واعية أو شعبا مفكرا ينشـأ بين افراده النزاع والخصام ؟

وبعد هذا النـداء يعلن الإسلام ، أنه لا بد لهذه المجموعة الإنسـانية الواحدة من تشريع عظيم موحد ، يعلمها حقوقها وواجباتها كيلا تختلف ، ولا تتنازع فإنه ليس كاختلاف الناس فى القوانين ، والمعارك ، سبب فى النزاع ، والخصام .

فوضع لهم نظاما راقيا ينطلق بهم فى ميادين الرقى ، والفضيلة ، والسعادة ، والسلام ، فلا نزاع ، ولا ظلم ، ولا حرب ، ولا جحود ، ولا تأخر .

وليس هذا الكلام دعاية فارغة ، فقد طبق الإسلام منذ قرون سابقة ، فحقق جميع هذه الأهداف بشهادة المنصفين من الغربيين ، وأوجد مدنية دمشق ، وبغداد ، والأندلس ، فكانت سبب مدنية الغرب وإعجابه .

آه ! ما أحوج الغربيين اليوم الى الإسلام ليعلمهم الحياة السعيدة الراقية التى لم يذوقوها حتى الآن ، صحيح أنهم طاروا فى السماء ، وغزوا القمر ، ولكنهم ويا للأسف — لم يعرفوا حتى كيف يعيشون على الأرض بسعادة وسلام ، فكانت هذه الاختراعات والاكتشافات سبب شقائهم ، وباتت تهددهم بالدمار والفناء .

اذكر على الدوام أن محمدا رسول الله كما وصف نفسه — رحمة مهداة من الله الى الإنسانية ، وقد بعثه ليخرج الناس :

١ — من عبادة المخلوق إلى عبادة الله وحده .
٢ — ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .
٣ — ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام .
٤ — ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .

واذكر فى ختام هذه الرسالة ان البشرية اليوم منقسمة الى معسكرين متخاصمين ، ويوشك أن تقع حرب مدمرة بينهما بسبب اختلافهما فى الفردية والجماعية ، فى الراسمالية ، والشيوعية ، وفى الروحية ، والمادية ، ولا يمكن توحيد هذين المعسكرين والتوفيق بينهما إلا بالإسلام ، فهو وسط بن الراسمالية ، والشيوعية ، وبين الفردية ، والجماعية ، وبين الروحية ، والمادية .

تعال نصلى إلى الله تعالى ، وندعوه أن يجمع البشرية على دين واحد صحيح ، يوحد بينها ، ويحقق لها السعادة والرقى والسلام .

---

(١) راجع تاريخ الامام محمد عبده ٢/٤١٠ ، وأرجو بهذه المناسبة مراجعة المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى ابريل نيسان ١٩٦٥ من مجلة لايف الامريكية حيث يثبت كبار العلماء الغربيين حدوث التحريف فى التوراة والانجيل .

(٢) ترجمت هذه الكلمة الى اليونانية بلفظ (بيركلوطوس) أو باراكلوت فكانت بمعنى محمد واحمد ، كما هو واضح فى الانجيل المطبوع أعوام ١٨٢١ و ١٨٣١ و ١٨٤٤ ثم حرفت ويا للاسف لاضاعة الحقيقة وترك البشرية فى الضلال والفوضى .

أصول منهج الفكر الإسلامي

١

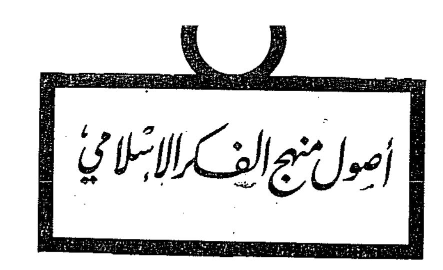
للدكتور : محمد عبد الستار نصار

● تختلف وجهات النظر فى تقويم منهج الفكر الإسلامى ، فبينما يذهب البعض الى تأكيد تبعيته للفكر الأجنبى ، وعلى الأخص الفكر اليونانى ، يذهب آخرون الى أصالته، وعدم تأثره بأى فكر دخيل ، وبين هؤلاء وأولئك فريق ثالث يرى أن الفكر الإسلامى — ككل فكر إنسانى — مدين فى منهجه لكثير من عناصر الفكر الأجنبى ، ولكن بعد أن ألبسها روحه، بحيث أصبحت متفقة مع البيئة الإسلامية .

● ولكل فريق من هؤلاء أدلته التى يعتمد عليها فى تأكيد ما يذهب إليه ، ونظرته الى نوعية من يمثلون الفكر ، أهم أصحاب الاتجاه المشائى الفلسفى أم أصحاب الاتجاه العقلى فى دراسة العقيدة — وعلى الأخص المعتزلة — أم أصحاب الاتجاه المحافظ من بقية المتكلمين والأصوليين ؟.

● فالذين يرون أن الممثلين للفكر هم الفلاسفة ، يذهبون الى تأكيد فكرة التأثر ، بناء على كثرة العناصر المنبثة فى ثنايا الفكر الفلسفى الاسلامى ، من الفكر اليونانى وبعض عناصر الفكر الشرقى ، ثم لا يحاولون أن يتلمسوا للفكر الاسلامى أصولا نابعة من ذاته ، بل يرون أنه مدين فى شكله العام لمنهج الفكر اليونانى ، وعلى الأخص « منطق أرسطو » .

● ولقد دفع هؤلاء الى هذا الموقف أن هذا المنطق أصبح يحتل — بعد ترجمته — فى عقول كثير من المفكرين مكانا عليا ، كمنهج للتفكير السليم ، متى روعيت قواعده عصم الذهن عن الخطأ فى الفكر ، كما هو التعريف الغائى له ، لدى المعلم الأول نفسه . وما زالت تلك الفكرة تلقى القبول والاستحسان ، حتى فى الأوساط الفكرية الاسلامية ، التى تتسم بطابع



فى التفكير ، يختلف تمام الاختلاف عن طابع التفكير اليونانى ، الذى كان منطق أرسطو منهجه .

● ويبدو أن السبب الرئيسى فى تأكيد هذه الفكرة لدى هؤلاء ، أن طلائع المفكرين الاسلاميين ، من الفلاسفة على اختلاف مشاربهم الفلسفية ، لم يحاولوا أن يقفوا من هذا المنطق موقف الدارس المحص ، الذى يحاول أن يرأب صدعاً أو يضيف جديداً ، بل كانت جهودهم فى شرحه وتقريره وتبسيطه ، ولا يخفى أن ذلك كله ، فرع عن الايمان بقضاياه الأساسية .

● وإذا تجاوزنا المرحلة السابقة على ظهور « الفارابى » كفيلسوف له قيمته ، نجد أن ذلك الفيلسوف قد أشرب حب المنطق الأرسطى ، بحيث ملك عليه أقطار نفسه ، وأخذ بمجامع عقله ، ولعل أكبر شاهد على ذلك ، تلك العناية الفائقة التى لقيها كتاب « البرهان » (١) على يده ، فقد بلغت مؤلفاته وشروحه لهذا الكتاب نحو عشرة كتب ، كلها تدور حول تعميق موضوع « التحليلات الثانية » للمعلم الأول ، باعتبار أن هذا القسم من المنطق هو الغاية من العلم كله ، كما صرح أرسطو نفسه لأنه الطريق المؤدى الى اليقين .

● ولم يقف الفارابى عند هذا الحد ، بل حاول إيجاد نسب بين المنطق — كعلم أجنبى الوضع بغض النظر عن كونه من نتاج العقل العام — وبين البيئة الاسلامية ، فجمع — كما يقول ابن أبى أصيبعة — بعض أقاويل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجيز الاشتغال بالمنطق . وسواء صحت هذه المحاولة أو لم تصح ، فان الذى يعنينا أن هذه الفكرة لم تنشأ إلا كرد فعل لتيار مخالف ظهر فى محيط الفكر الاسلامى ، يرى أن الاشتغال بالمنطق مما يخالف ما جاء به ظاهر الشرع .

● وكأن الفارابى قد أراد بهذه المحاولة أن يسترضى الجماهير والعامة ، وهم فى نظر كل عاقل مكامن الخطر على كل جديد ، لأنهم لم يعرفوا فيقبلوا أو يرفضوا على أساس علمى مقبول .

● ولقد حمل ابن سينا — بعد الفارابى — راية المنطقية الأرسطية فى العالم الاسلامى ، وحذا حذو المعلم الأول فى كل شىء ، بل يكاد يردد ألفاظه وأمثلته ، وليس له من فضل إلا الشرح والاطناب ، وكأنه أراد بهذا المنهج أن ينزل بالمنطق الى مستوى أنصاف المثقفين ، وأن يجعله علما شعبيا إن صح هذا التعبير ، ولقد ظهر هذا بوضوح فى أغلب كتبه المنطقية ، بحيث يجد المطالع لكتب أرسطو المنطقية وكتب ابن سينا فى هذا العلم ، ذلك الفارق الشاسع بين الأسلوبين ، فبينما هو عند المعلم الأول جاف خال من كل تزويق وتنميق لا تساق فيه الأمثلة والشواهد إلا من خلال البيئة اليونانية ، نجده لدى ابن سينا أسلوباً رشيقاً قوياً ، تعلوه الطلاوة ، وتتخلله الأمثلة المستقاة من واقع البيئة الشرقية ، ثم الأمثلة الطبية بحكم اشتغاله بهذا العلم ، كفرع من فروع الفلسفة بمعناها العام .

● على أن تجربة ابن سينا فى إيجاد منطق مخالف فى جزئياته وكلياته لمنطق أرسطو ، تعتمد على تصورات مخالفة لتصورات المعلم الأول ، وهى التى أطلق عليها « منطق المشرقيين » هى أيضا تجربة لم تأت بنتائج إيجابية موضوعية ، وإنما هى فى نظرنا نتائج صورية ، على الرغم من تلك التلويحات التى صدر بها هذا الكتاب، والتي يقول فيها : « وبعد : فقد نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاما فيما اختلف أهل الحديث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية وهوى أو عادة أو إلف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد الا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم » . ذلك لأن ابن سينا لم يخرج فى هذا الكتاب على ما ذكره فى كتبه المنطقية ، أو على الأقل فى قسم التصورات ، وهو الذى بين أيدينا من هذا الكتاب .

● ولقد أخذت صورة أثر منطق أرسطو على تفكير المسلمين شكلا آخر على يد حجة الاسلام الغزالى ، فبينما كان ذلك المنطق هو الأصل الذى اعتمد عليه المسلمون فى تفكيرهم لدى كل من الفارابى وابن سينا ، وأنه ليس للمسلمين بإزائه إلا الايمان الكامل بصدق قضاياه ، كأثر من نتاج فكر أرسطو المنظم ، يحاول الغزالى أن يعطى لهذا المنطق صورة اليقين المطلق ، ولكن يربطه بالعقل العام ، فيرى أن الحقيقة العقلية لا تختلف من بيئة الى أخرى ، من ثم كان ما بين المناطقة وبين نظار المسلمين من قبيل التوارد لا من قبيل التأثير والتأثر . ولم تكن المخالفة حينئذ « إلا فى الاصطلاحات والايرادات ، دون المعانى والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار (٢) » .

● ولقد كانت هذه الفكرة أولى الخطوات فى موقف الغزالى من هذا العلم ، ذكرها فى كتابه « مقاصد الفلاسفة » الذى يعتبر تحريراً لمسائل العلم ، الذى ناقش فيه الفلاسفة ، فى كتابه « تهافت الفلاسفة » . وكان عليه بعد ذلك أن يبين رأيه فى هذا الكتاب بشكل أكثر وضوحاً واستيعاباً فقرر : « أن المنطقيات لا بد من إحكامها ، وهذا صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم — الفلاسفة — وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن « الكلام » كتاب « النظر » فغيروا الى المنطق تهويلا . وقد نسميه كتاب « الجدل » وقد نسميه « مدارك العقول » . فاذا سمع المتكايس المستضعف اسم المنطق ، ظن أنه فن غريب ، لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة (٣) » .

● وإذا كان هذا الموقف ينحو نحواً نظرياً ، فقد حاول الغزالى فى كتبه المنطقية التى جاءت بعد هذين الكتابين — المقاصد والتهافت — أن ينحو نحواً تطبيقيا . من ثم نرى كتاب « معيار العلم » يبدو فى شكل محاولة ممتازة نحو الموضوعية والتطبيق ، تظهر من خلالها المقابلة بين اصطلاحات المناطقة واصطلاحات نظار المسلمين فى كل من التصورات والتصديقات . ومن أجل عدم التلبيس ، يرى الغزالى أن المنهج الأصوب الذى يوصل الى

الحق فى قضايا العلم ، هو أن تسبق معرفة الاصطلاحات المنطقية ومقابلها لدى النظار ، قبل الحكم على قيمة ما عليه الفلاسفة ، ومعرفة الحق من الباطل مماهم عليه . من ثم يرى أن « من لم يفهم الألفاظ فى آحاد المسائل فى الرد عليهم — فى كتاب التهافت — فينبغى أن يبتدىء أولا بحفظ كتاب « معيار العلم » الذى هو الملقب بالمنطق عندهم » .

● ولقد أخذت محاولة التطبيق هذه شكلا أضيق ، ولكنه أكثر استيعابا من ناحية موازنة الاصطلاحات بين علم المنطق ومدارك العقول لدى نظار المسلمين ، فى كتاب صغير الحجم ، كبير الفائدة ، ونعنى به كتاب « محك النظر » ، فقد بيَّن فى هذا الكتاب — على سبيل التفصيل — أن الخلاف بين العلمين لا يتجاوز اللفظ ، فمثلا : ما يسمى فى علم المنطق «الموضوع» و « المحمول » ، هو بعينه ما يسمى لدى الفقهاء والأصوليين بالمحكوم عليه والمحكوم به ، وما يسمى لدى علماء اللغة بالمسند اليه والمسند وما يسمى لدى المتكلمين بالموصوف والوصف . وكذلك ما يسمى فى المنطق باسم « القياس » هو ما يسمى عند نظار المسلمين بطرق الاستدلال .

● وكان الغزالى قد أحس بعد ذلك كله ، أن هذه المحاولات قد ترضى ذوى الثقافات الخاصة والعقليات المستنيرة ، فى الوقت الذى يدعى فيه أنصاف المثقفين والعامة أن علم المنطق — كعلم أجنبى النشأة — ليس له أساس شرعى . ولقد تجلى هذا الموقف بشكل أكثر وضوحا لدى أصحاب الاتجاه « المحافظ » فى نطاق الفكر الاسلامى ، من ثم نرى الغزالى يحاول فى كتابه « القسطاس المستقيم » إيجاد أساس شرعى لهذا العلم ، وذلك باستخراج صور الأقيسة المنطقية من القرآن الكريم ،

● وإذا كان القرآن الكريم ، لم يكن على صورة كتاب فنى فى أى علم من العلوم ، لأن له نظما خاصا ، يجعله فى مكانة وحده ، فان على الغزالى أن يستعمل مهارته العقلية فى تدعيم فكرته ، وقد ساعدته « لغة القرآن » على ذلك ، عندما حاول استخراج صور الأقيسة المختلفة من بعض آيات القرآن الكريم ، فاذا لم تكن الصورة الظاهرة للقياس مكتملة ، فان الاضمار — فى شكل إيجاز أو حذف — قد كان هو الذريعة التى استعملها الغزالى فى هذا المقام ، حتى يأخذ القياس صورته العقلية ، التى تعتمد على مقدمتين وحدود ثلاثة .

● ولقد أطلق الغزالى على الأقيسة اسم « الموازين » ، « فالقياس الحملى » هو ميزان التعادل ، و « القياس الشرطى المتصل » هو ميزان التلازم ، و « القياس الشرطى المنفصل » هو ميزان التعاند . وميزان التعادل يجىء فى ثلاثة أشكال :

(١) أكبر : وهو الشكل الأول من القياس الحملى .

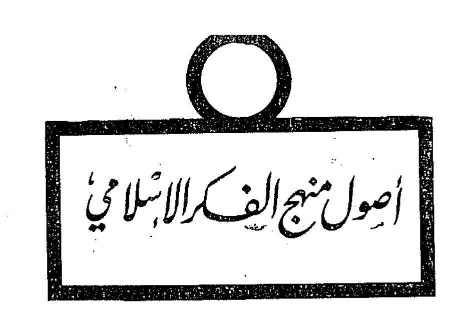
(٢) أوسط : وهو الشكل الثانى من القياس الحملى .

(٣) أصغر : وهو الشكل الثالث من القياس الحملى .

● والميزان الأكبر هو ميزان الخليل — صلوات الله عليه — الذى استعمله مع « نمرود » عندما ادعى الألوهية . فقال ابراهيم عليه السلام — كما حكاه القرآن — : « ربى الذى يحيى ويميت (٤) » ومفهوم هذه الآية أن نمرود اللعين ، لا يقدر على ذلك حقيقة ، بحيث يستطيع التأثير بالإماتة والإحياء على نفس واحدة ، ولكنه فهم من قول ابراهيم عليه السلام أن عملية الإماتة فى حد ذاتها قد يفهم منها معنى مخالف ، وهى إحياء النطفة بالوقاع وإماتتها بالقتل ، ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فى رده على ابراهيم بقوله : « أنا أحيى وأميت » . ولما أدرك ابراهيم عليه السلام أن ذلك يعسر فهم بطلانه ، عدل الى ما هو أوضح عنده فقال — كما حكى القرآن — : « إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، « فبهت الذى كفر » ولما كان القرآن الكريم مبناه على الايجاز والحذف ؛ فان كمال صورة هذا الميزان أن يقال : « كل من يقدر على الشمس فهو الإله — فهذا أصل ، يعنى مقدمة — وإلهى هو القادر على الاطلاع — وهذا أصل آخر ، يعنى مقدمة ثانية ، فلزم من مجموعهما أن الله هو الإله حقيقة . وكبرى هاتين المقدمتين معلومة بالوضع ، فهى ضرورية التصديق ، وصغراهما معلومة بالمشاهدة والعيان ، فهى ضرورية التصديق أيضا ، فيلزم من معرفتهما أن « نمرود » ليس هو القادر على تحريك الشمس ، ويعلم تبعا لهذا أنه ليس إلهاً ، وانما الإله هو الله تعالى .

● وأما الميزان الأوسط — الشكل الثانى — فقد جاء فى القرآن الكريم على لسان ابراهيم عليه السلام فى الشكل — حيث قال : « لا أحب الآفلين (٥) » ، وكمال صورة هذا الميزان أن القمر آفل ، والإله ليس بآفل ، فالقمر ليس بإله . والعلم بصدق هاتين المقدمتين ضرورى ، إذ أن أولاهما معلومة بالمشاهدة ، وثانيتهما معلومة بالضرورة ، وحقيقة هذا الميزان أن كل مثلين وصف أحدهما بوصف ، فسلب ذلك الوصف عن بقام النفى — كما هى طبيعة ذلك الآخر ، فهما متباينان ، وعلى هذا فحد هذا الشكل أن الذى ينفى عنه ما يثبت لغيره ، يكون مباينا لذلك الغير .

● وآخر اقسام ميزان التعادل هو الأصغر — الشكل الثالث — وصورته من القرآن الكريم جاءت فى قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله علىبشر من شىء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس (٦) » . فقول الكفار — لعنهم الله — ما أنزل الله على بشر من شىء دعوى عامة ، وهى فى نفس الوقت غير صحيحة ، إذ أنه يلزم من ازدواج المقدمتين فى الآية السابقة ، وهما أن موسى عليه السلام بشر ، وأنه أنزل عليه كتاب ، قضية خاصة ، وهى أن بعض البشر أنزل عليه كتاب ، وبهذا تبطل دعوى العموم التى ذهبوا اليها حيث قالوا : ما أنزل الله على بشر من شىء ، وكون موسى عليه السلام بشرا أمر معلوم بالضرورة ، وكونه منزلا عليه كتاب معلوم باعترافهم ، إذ كانوا يخفون



بعضه ويظهرون البعض الآخر ، كما صوره القرآن بقوله : « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » وحد هذا الميزان أن كل وصفين اجتمعا على شيء واحد ، فبعض آحاد الوصفين لا بد أن يوصف بالآخر بالضرورة ، من ثم كانت نتيجة هذا الميزان جزئية دائما .

● وكما استخرج الغزالى صور الأقيسة الحملية من القرآن الكريم ، استخرج أيضا صور الأقيسة الشرطية بنوعيها : المتصلة والمنفصلة ، ولقد كان يهدف من وراء هذا الى تأكيد ما ذكره فى أول كتبه الفلسفية ، ونعنى به « مقاصد الفلاسفة » من أن الفلاسفة لا يخالفون أهل الحق من حيث المنهج إلا بالاصطلاح ، وأن القرآن الكريم — وهو الكتاب الوحيد الذى لم يحرف ، والذى ينزل عليه جميع الطوائف الاسلامية — قد اشتمل على صور الأقيسة المنطقية ، وبهذا كان لمنطق المسلمين أساس من كتابهم .

● وفوق هذا الهدف الذى كان يقصد به رد دعوى أصحاب الاتجاه المحافظ من الفقهاء والأصوليين والمتكلمين ، نلاحظ أن الغزالى فى هذا الكتاب — القسطاس المستقيم — يرفع من شأن المنطق — كمنهج أمكن استخراج صور استدلالاته من القرآن الكريم — باعتباره المنهج الوحيد الذى ينبغى أن يحتكم اليه جميع الطوائف ، فى مقابلة المناهج الخاصة ، التى يكون فى مقدمتها منهج « التعليمية » الذين لا يؤمنون الا بما يجيء عن طريق الامام المعصوم .

● وقد صرح الغزالى بأن الذى حمله على ابتداع أسماء هذه الموازين هو ما جبل عليه الضعفاء — ومنهم التعليمية طبعا — من الاغترار بالظواهر ، بحيث لو سقى أحدهم عسلا فى قارورة حجام لم يطق تناوله لتصور الطبع عن المحجمة ، وضعف العقل عن أن يعرف أن العسل طاهر فى أى زجاجة كان . وهو بهذا التعليل يدفع التقليد ، ويطرح جنوح الطبع ، حتى تنزل الأحكام على حكم العقل .
وينتهى الغزالى من هذا الموقف الى هذه النتيجة المحددة ، وهى أن المنطق وان كان علما يونانى النشأة ، إلا أنه علم يجب معرفته ، والاحتكام اليه كمنهج للتفكير ، لأنه يقوم على أساس عقلى ، وليست أحكام العقل خاصة بأمة دون أخرى ، وقد أراد باستخراج صور الأقيسة من القرآن الكريم أن يثبت أن هذا الكتاب يستعمل أنماط التفكير العقلى فى الاستدلال على صدق قضاياه ، ولعله بهذا قد أراد أن يطمئن للمتعصبين بالهم ، فلا يحكمون على المنطق هذا الحكم القاسى ، الذى يجافى قواعد التفكير الصحيح ، وهو حرمة ذلك العلم لكون واضعه رجلا من اليونان . فما أشبههم فى نظره بمن يحكمون على الحق بالرجال ، وهذا حكم بالعرض على الجوهر . أما الحكم الصحيح فهو الحكم على الرجال بالحق ، وهذا حكم بالجوهر على العرض .

● وقد انتهى الغزالى من رحلته مع المنطق الى بيان صلته بالدين ، وهذا الموقف أكثر صراحة من كل المواقف السابقة،وقد بيَّن ذلك فى كتابه«المنقذ من الضلال » ، الذى كشف فيه عن موقفه من علوم عصره ، مبنيا صلتها بالدين . أما المنطق على الخصوص فلا تعلق له بشىء من الدين نفياً أو إثباتاً ، شأنه فى ذلك شأن الرياضيات ، ويضرب لذلك مثلا بقوله : فأى شىء يتعلق بالدين نفياً أو إثباتاً فى قول المناطقة : انّ القضية الكلية الموجبة تنعكس جزئية، حتى يجحد وينكر ؟ (٧) . ثم يبين أن من ينكر هذه المسائل ، لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق الا سوء الاعتقاد فى عقله ، بل فى دينه ، اذا كان يزعم أنه موقوف على هذا الانكار .

● هذا هو الجانب التطبيقى فى المنطق كما يرى الغزالى ، وشهادته هذه تعتبر تقويماً له من الناحية النظرية ، ولكن لما كان المنطق علماً معيارياً تطبيقياً ، فان الخطر إن وجد يكون من هذه الناحية . من ثم نرى الغزالى يحدد وجه الخطر فيما يأتى :

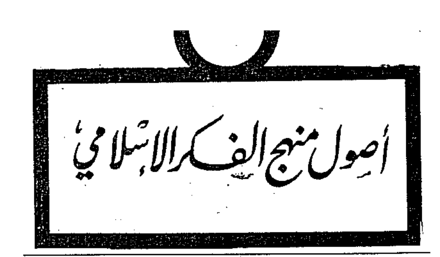
أولا : لقد وضع المناطقة للبرهان من الناحية النظرية شروطا يعلم أنها تورث اليقين ، لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بها ، بل تساهلوا غاية التساهل .

ثانيا : ربما ينظر فى المنطق من يستحسنه ويراه واضحا ، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فيستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الإلهية (٨) .

● ومما لا شك فيه أن الغزالى بهذا الموقف قد قلل من قيمة المنطق العملية ، لأنه لما كانت قيمته فى كونه علماً تطبيقياً ، أو كما يسميه المنطقيون أنفسهم « فن المنطق » فانه بناء على بيان الغزالى لوجوه الخطر فيه من ناحية التطبيق ، يكون المنطق « كفن تطبيقى » قد تضاءل ، وانزوى فى دائرة الصدق النظرى ، لا الصدق الواقعى . وفى تقديرى أن الغزالى فى تقريره لهذه المسألة لم يخل من ذكاء ، لأن مفهوم ما ذهب اليه أن ما شاب المنطق من عدم الثقة ، لم يكن مرجعه الى العلم من حيث هو ، بل الى المناطقة أنفسهم ، ومعنى هذا أن المنطق يحوى فى ذاته وسائل اصلاحه ، وذلك إذا روعيت الشروط التى وضعها المناطقة عند تطبيقه على المسائل الدينية .

● ومهما يكن من شىء فان الغزالى ما كان له أن يفعل فى هذا المقام أكثر من هذا . فلو صرح بأن المنطق فى نفسه غير صحيح لكان متناقضا مع نفسه أشد التناقض ، ولو صرح بأن القيمة العملية للمنطق تساوى قيمته النظرية ، بمعنى أنه المنهج الوحيد لادراك الحق ، لكان أيضا متناقضا مع نفسه ، لأنه صرح بأن الوصول الى الضروريات ليس مقصورا على الأدلة المحررة ، بل يمكن إدراك الحق بنور يقذفه الله فى القلب ، فمن ظن أن الكشف مقصور على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . وهنا يتبادل الوصول الى الحقيقة — من وجهة نظر الغزالى — منهجان : —

أحدهما : المنهج النظرى الاستدلالى ، إذا روعيت شروطه . وهذا عام لكل



الناس ، كما أنه عام فى كل العلوم . **ثانيهمـــا :** المنهج العيانى الكشفى ، وليس هذا إلا لمن اجتباه الله ووفقه لسلوك هذا الطريق .

● ولقد صرح الغزالى فى آخر كتبه التى تحدث فيها عن المنطق ، ونعنى به كتـــاب « المســـتشفى من عـــلم الأصول » بأن المنطق مقدمة لكـــل العلوم ، وأن من لا يحيط به فلا ثقـــة بعلومه أصلا » . وهذا إن دل على شىء فانما يدل على أن الغزالى كمفكر دينى — لم يحاول أن يتخـذ منهـــج المحافظين ، وهو التشكيك فى هـــذا العلم تارة ، أو الحكم عليه بالحرمة تارة أخرى ، ذلك لأن أهم ما يعتمد فى المعارك الفكرية ، أن يكون هنـــاك منهج متفق عليه ، حتى لا يكون هناك مجال للاتهام بالهوى والتحكم .

● ولعلنا بهذا نكون قد أوضحنـــا موقف الغزالى من أصل هذا العلم ، والفرق بينـــــه وبين موقف كـــل من الفارابى وابن سينا . ولعل القارىء الكـــريم يلاحظ أننا أطلنـــا كثيرا فى الكـــلام عن الغـــزالى ، وأننا قـــد استعرضنا موقفه من المنطق فى كـــل كتبه التى تحدث فيها عنه ، بنفس ترتيبها التاريخى ، وعذرنا فى ذلك أن فلاسفة الاســـلام المشائين — وعلى الأخص الفـــارابى وابن سينا — لم يحاولوا ربط المنطق بأصله الاسلامى كما فعل الغزالى ، واكتفوا باقراره كمدخل للعلوم . ويبـــدو أن تبعيتهم للمشائية اليونانية ، قد اضطرتهم الى مثل هذا الموقف . أما الغزالى فقـــد كان بحكم مركـــزه الدينى الكبير من ناحية ، وبحكم منازلته الفلاسفة فى معركة فكرية ، ينبغى أن يختبر فيها المنهج أولا ، ولأنه مع هذا وذاك كان الممثل الحقيقى للفكر الاســـلامى فى المشرق فى عصره ، كل هذا هو الذى جعلنى أقف معه كثيرا ، بالنســـبة لسابقيه .

● وبهذا يتبين لنا أن الذين يقولون بتبعيته منهج الفكر الاسلامى للمنطق الأرسطى ، يعتمـــدون على ما ذهب الفلاسفة الخلص ، أمثال الفـــارابى وابن سينا ، وأما الذين يقـــولون ان لمنهـــج الفكر الاســـلامى أصـــالته ، فيعتمدون على محاولة الغزالى التى ذكرناها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتمـــدون على موقف بعض اللغويين ، الذين حاولوا الوقوف فى وجه المنطق الأرسطى ، وكذا موقف بعض المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم وأصـــحاب الفكـــر المحـــافظ مـــن السلفيين . .

---

(١) أنظر د. عبدالرحمن بدوى . مقدمة كتاب البرهان من منطق الشفاء لابن سينا .
(٢) مقاصد الفلاسفة ص ٤ .
(٣) تهافت الفلاسفة ص ٩٠ .
(٤) سورة البقرة ٢٥٨ .
(٥) سورة الانعام ٧٦ .
(٦) سورة الانعام ٩١ .
(٧) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .
(٨) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .

مؤتمر علماء المسلمين السابع

▪ ماذا حدث في مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة

▪ لأول مرة مشاكل المسلمين في كل مكان وبصراحة

للأستاذ : صلاح عزام

عقد مجمع البحوث الاسلامية مؤتمره السابع بالقاهرة .. ورأس الاجتماعات .. وعلى مدى ٣٠ يوما .. وعلى فترتين فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر .

وبدأت الفترة الاولى من ٣٠ رجب — ٨ سبتمبر ولمدة أسبوع .. ثم عقدت الفترة الثانية من ٨ شعبان — ١٦ سبتمبر — الى آخر شهر شعبان .

ونوقشت خلال الجلسات قضايا هامة ومن ذلك :

● مشاكل المسلمين فى العالم .. وبصراحة لاول مرة .

● والفكر الاقتصادى الاسلامى وبالذات الاستثمارات والمصارف والفوائد ..

● و .. الحريات والحقوق فى الاسلام والدعوة الاسلامية .

* * *

وقد حضر افتتاح المؤتمر وفود من ٤٠ دولة بينهم ٥ وزراء و ٥ من رجال الافتاء و ٢ مديرى جامعة .



المنصة الرئيسية للمؤتمر .

وتحدث الامام الاكبر فى جلسة الافتتاح فقال نقدا موضوعيا للمؤتمرات السابقة وتوجيها للعلماء ، وتحديدا لمعالم خطوات المؤتمر فقال : « يا ورثة الانبياء .. ويا أعلام الهدى الموضوعات التى أحب أن أتدارسها مع حضراتكم فى هذه الدورة ما يأتى:

● يجب التصدى للذين يتصيدون المسلم البعيد عن الثقافة الاسلامية أو الواقع تحت ضغط الفقر والحرمان والفاقة .

● يجب التصدى للذين ينفثون سموم التفرقة بين المسلمين بضرب وحدتهم .

● يجب التصدى لمؤامرات المستعمرين وأذناب المستعمرين حماية ليومنا وغدنا وأعراضنا وأموالنا وأنفسنا .

● وعلينا أن نقيم حد السرقة بعد أن فشلت كل العقوبات التى تضمها القوانين الوضعية .

● ويجب علينا أن نبين للناس رأى الاسلام فيما يجد وجد من المعاملات المصرفية كالتأمين بجميع أنواعه وكشهادات الاستثمار والادخار وغيرها ..) .

مشاكل المسلمين

وبدأ المؤتمر عمله .. بالاستماع الى مشاكل المسلمين فى العالم .

● بلغاريا ..

وكان أول المتحدثين الشيخ طاهر الزاوى مفتى ليبيا .. حيث نقل الى العلماء ما يحدث للمسلمين فى بلغاريا ، وعملية ابادة المسلمين هناك ، واللقاء على كلمة الاسلام .. وانه علم بهذا من بعض المسلمين فى بلغاريا عند زيارته ليوغسلافيا وقال الشيخ طاهر الزاوى إن الشيوعية فى المجر تلجأ الى أسوأ السبل .. ومن هذا ..

● يطلب من المسلمين البلغار تغيير أسمائهم وهو من أصل عربى وتركى الى أسماء بلغارية ومسيحية.

● ويطلب منهم أيضا الانفصال عن الدين وتجريدهم منه .

● ويمنع قيد المسلمين فى السجلات المدنية الا اذا تحولت أسماؤهم الى أسماء بلغارية مسيحية .

● وعدم صرف السلع من التعاونيات للمسلمات الا اذا غيرن أسماءهن .

● وعدم صرف أجور العمال المسلمين الا اذا تغيرت أسماؤهم .

وقال الشيخ الزاوى .. ان هذا الامر أصبح علنا ومنشورا فى الصحف وقدم ترجمة لما ينشر فى بعض المجلات البلغارية ..

و .. أن هذه المحنة التى يعانى منها مسلمو المجر .. لو تحقق الهدف الشيوعى منها فسيكون الامر مشابها مع مسلمى الدول الاخرى ..

وقبرص ..

وفى جلسة أخرى .. عرض الدكتور مصطفى رفعت مفتى قبرص على المؤتمر صورة دامية لما يعانيه المسلمون فى قبرص .. وللمذابح التى يشنها عليهم اليونان ومسيحيو قبرص .

و .. ان هذه الجرائم بدأت من ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٣ ولم تتوقف ..

و .. أن ١٠٠ قرية تضم المسلمين هوجمت بواسطة عصابات مسلحة من القبارصة اليونان وأرغم ألوف من المسلمين القبارصة على ترك منازلهم وممتلكاتهم والهجرة خارج البلاد ..

و .. أن ١٠٣ مسجدا من بين ٢٧٤ مسجدا فى قبرص قد هوجمت وبلغت خسائرها ٣٥ مليون جنيه استرلينى .

و .. أن ٣٨٪ من العاملين المسلمين قد استبعدوا عن مناصبهم و .. أن الخسائر الكلية لمسلمى قبرص بلغت ١٠٠٠ مليون جنيه استرلينى وطالب الدكتور مصطفى من العلماء اليقظة والعمل .

و .. الفلبين

وفى اليوم الرابع للمؤتمر ومع الصباح الباكر انفجرت مشكلة مذابح المسلمين فى الفلبين على أثر وصول برقية من مدير جامعة الفلبين ينعى للعالم الاسلامى عدوان خصوم وحرق الجامعة .

وجاء أحمد النتو ليعيد للاذهان مذابح مسلمى الفلبين ويطلب من المسلمين أن يتحركوا .. وأن يتحدوا .. وأن يتعاونوا .. وذكر تفصيلا ما يحدث للمسلمين هناك .. وطالب العالم الاسلامى بأن يتخذ موقفا موحدا ضد خصوم الاسلام .. والا فان صاعقة من السماء ستحل بهم فى الوقت الذى سوف ينصر الله عباده ويعلى كلمة دينه ونصرة عباده المخلصين .

ومسلمو أوربا

وتحدث عن أحوال مسلمى أوربا



الجلسة الاولى للمؤتمر وفى الصف الاول الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ود. عبد العزيز كامـل . ود. حسن صبرى الخولى .

كل من الشيخ أبو بكـر حمزة مدير مسجد باريس ، واسماعيل بالتيش أمين مكتبة الدولة بالنمسا ، والشيخ ضياء الدين خان مفتى روسيا .

● قال الشيخ أبو بكر حمزة .. ان الاسلام يجذب المثقفين فـى فرنسا حتى أن بعض رجال الكنيسة يدخلون فى دين الله ..

و .. أن مسجد باريس يسجـل سنويا اسلام ما بين ٥٠٠ — ٦٠٠ فرنسى مسيحى .

● وقال اسماعيل بالتيش .. أن الظاهرة التى يدهش لها الجميع فى النمسا .. هـى أن العمال هنـاك يقبلون على الاسلام .

و .. أن المسلمين لايزالون يعانون من الاضطهاد فى كثيـر من بـلاد أوربا حتى انه فى اسبانيا يحرم على المسلمين اتخاذ مساجد لهم .

و .. ان مسئولية مسلمى العالم العربى نحو اخوانهم فى أوربا تتحدد فى أمرين هامين أولهما .. وصول صحافة اسلامية مسموعة الى مسلمى العالم .. وثانيهما .. توفير المعلم والكتاب الاسلامى .

ومسلمو افريقيا وآسيا

وعن مسلمى أفريقيا وآسيا .. فقد تحدث عنهم وبالتفصيل الاستاذ

بـودرى هاشم – سيلان – فبين الفارق فى المعاملات بين المسلمين والمسيحيين .. وكيف أن المسيحيين الاقلية فى الدول الاسلامية يحصلون على كل شىء وعلى قدم المساواة .. والعكس فى الدول المسيحية حيث تظهر الفوارق فى المعاملات وفى جميع المجالات .. وضرب لذلك أمثلة منها :

● الوظائف .. حيث تحرم على المسلمين فى بعضها مهما كانت درجة المسلم العلمية .. ومهما كان تفوقه على المسيحى .

● التعليم .. توجد عقبات أمام المسلمين فى الالتحاق بالمدارس .. وان يسر بعضها فيطلب منه الخروج على دينه .. أو يحرم عليه تعليم دينه .

● والسياسة .. غير مسموح لهم بالتمثيل السياسى .. بل يمثلهم مسيحيون .

● والعمل فى القطاعين العام والخاص .. ضيق أمام المسلمين .. وهناك مجالات مغلقة تماما دونهم كالجيش والبوليس .

وكلمتان

وبعد ذلك كانت هناك كلمتان هامتان فى مجال مشاكل المسلمين الاولى قالها معالى الأستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف الكويتى .. فذكر موقف الاحزاب ذات العقائد من أحزابهم وموقف المسلمين من دينهم .. وشرح بالتفصيل امكانية المسلمين فى التصدى لخصوم دينهم .. ماديا .. ومعنويا وسياسيا .. لاننا ١/٣ سكان العالم .. وتحت يدنا ثروات هائلة وبنسب كبرى ..

ثم عرض معاليه .. عدة اقتراحات منها ..

● وضع دراسة شاملة للهيئات والمؤتمرات والمراكز التى تعنى بالشئون الاسلامية ووضع خطة مرسومة ومدعمة .

● و .. العمل على انشاء مؤتمر دائم يعمل على مدار السنة ويمثل فيه مندوبون منتخبون عن هذه المراكز .

و .. الكلمة الثانية .. كانت للاستاذ صالح مسعود بويصير وزير الاعلام السابق الليبى ، استعرض فيها قضية فلسطين .. ودور الجهاد والنضال .. وحدد مواقف الرجال من المعركة .. وطالب المؤتمر بدراسة جادة لـ (واجبات العالم الاسلامى تجاه الصهيونية العالمية بعد استنفاد الجهود السلمية .

و .. اننا يجب أن نعلن فى صراحة .. بأن كل الحروب التى تشن ضد المسلمين .. انما هى حروب صليبية .. ثم قدم ١١ مقترحا منها :

● نشر تعليم اللغة العربية فى كل البلاد الاسلامية .

● انشاء مكتب اعلامى للمجمع يقوم بنشر مطبوعاته وتوزيعها على الهيئات والجماعات والجامعات .

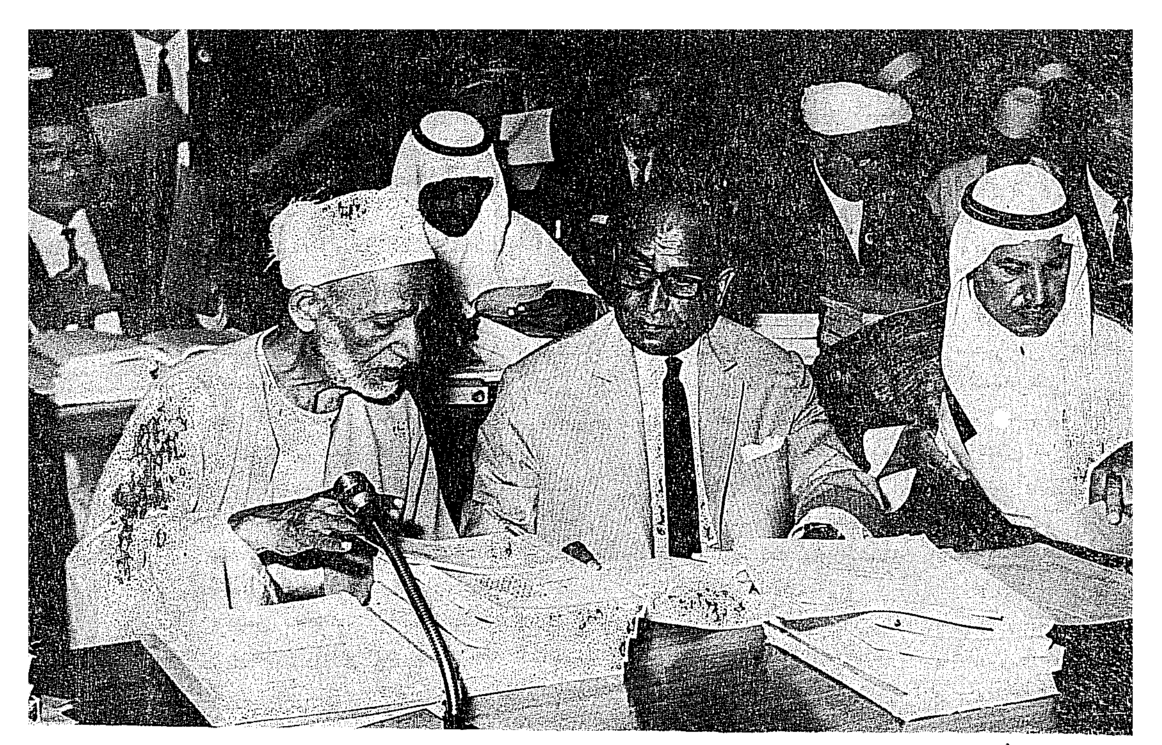
● اعطاء أهمية لاوغندا التى أصبحت معقلا من معاقل الحرب ضد الاسلام والمسلمين .

● تغذية المناهج المدرسية بالقصص والتاريخ الاسلامى .

● تدريس الفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية فى المراحل الجامعية .

الاقتصاد الاسلامى

وبعد ذلك جاء دور الاقتصاد الاسلامى .. وتحدث فيه عدد من العلماء والاساتذة .. وكان أهم البحوث .. بحثا الشيخ على الخفيف والشيخ يس سويلم طه .. فقد اتجه الشيخ على الخفيف الى أن ما يوضع من المال لدى بنك من البنوك فهو



الشيخ حسنين مخلوف والأستاذ راشد الفرحان ود. عثمان خليل عثمان .

مالك لصاحبه وللدولة أن تقوم بعملية الاستثمار ولها كذلك الحق فى اعطاء الجوائز واستند فى آرائه على مذهب الامام مالك ثم قال وليس لهذا شبه بعقد قراضى وهذا بالنسبة لشهادات استثمار ج .. أما شهادات استثمار أ ، ب فيلاحظ أن لهما شبها بعقد القراض ولكن ذلك لا يحظره وانما يحظره وجود نص من أمور الدين يمنعه ولم أجد ذلك ..

وأنهى الشيخ الخفيف رأيه الى أن عقد الاستثمار ليس فيه ربا ولا شبهة ربا قطعا فالربا لا يكون الا فى معاوضة أخذ فيها المال بقرض وهذا العقد لا غرر فيه اطلاقا .

● وأما الشيخ يس سويلم فقد رأى أن شهادات الاستثمار وودائع صناديق التوفير تقوم العلاقة فيها على وجهين الاول .. انها معاملة لم تكن موجودة فى عصر التشريع الاول .. ولا عبرة بكون الربح معلوما .. والحكم الشرعى يتعلق بأفعال العباد .. والثانى .. انها معاملة من قبيل القراض وانتهى الشيخ يس الى جواز أخذ أرباح شهادات الاستثمار وودائع صناديق الادخار شرعا سواء كانت قراضا أو من قبيل المسكوت عنه .

معارضة عنيفة

وبعد ذلك .. وعلى مدى ٣ جلسات قامت مناقشات حول هذه الآراء اشترك فيها عدد كبير من الاعضاء معارضين ومدللين بآراء الفقهاء .. وبالكتاب والسنة .. وانتهى الرأى .. الى عرض بحثى **الشيخين الخفيف وسويلم على اللجنة** لابداء رأيها فيهما قبل اعلانهما .

وعن الحريات

وعن الحريات فى الاسلام قدم الدكتور بدوى عبداللطيف مدير جامعة الازهر بحثا قيما توصل فيه .. بالدليل والرأى .. الى أن الاسلام

وقد أعطى للفرد حريته السياسية والفكرية والدينية فانه بذلك يكون خير نظام للكون .. لانه وضع نظاما للعالم فى جميع المجالات .. وفى كل الظروف .

والدعوة الاسلامية

وعن الدعوة الاسلامية .. وما تعانيه وما تلاقيه .. ودور الاستعمار فى محاربتها بمعاونة التبشير كان أمام المؤتمر بحثان ..

● الاول للشيخ محمود صبحى أمين عام جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا عرض فيه للكيان الاسلامى ومعناه — والدار فى الاسلام ووجوب حمايتها فى اطار الوحدة — والاسباب التى مهدت وتمهد فى تمكين الاستعمار من تمزق الكيان الاسلامى — ووسائل تسليح المسلم لمواجهة هذه الاخطار وانتهى الى ضرورة الاخذ بالآتى :

● اسلامية الدراسات والابحاث فى الجامعات والمناقشات التى تدور فى المؤتمرات .

● العمل على تماسك العالم الاسلامى ووحدته .

● المواجهة الصادقة للمبشرين والمستشرقين .

● اصدار سلسلة من الكتب والمقالات توضح مفاهيم الملل والنحل .

● حل المسائل الاجتماعية داخل المجتمع المسلم .

● المسيرة بهدى المعرفة والعلم .

● والبحث الثانى للاستاذ شعبان سالم درامى عن مواجهة الاخطار التى تعانى منها الدعوة الاسلامية .. فشرح دور الاستعمار والتبشير فى افريقيا وقدم ١٥ اقتراحا لمواجهة هذا الخطر منها :

● تعميم مراكز الثقافة الاسلامية

● العناية بالمؤلفات الاسلامية

● عقد المؤتمرات الاسلامية فى عواصم العالم الاسلامى .

● العناية بالدعاة .

● تدعيم المدارس الاسلامية فى افريقيا وآسيا .

قبل القرارات

هذه هى ملامح مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة والظاهرة الجديدة فى اجتماعاته .. والتى حضرها عدد كبير من العلماء وأساتذة الجامعات .

و .. شىء آخر .. برز فى هذا المؤتمر .. هو شخصيات جديدة من العالم .

وبعد ذلك .. صدرت القرارات وأهمها ..

● يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه فى دوراته السابقة من أن الجهاد أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين لايجوز أن يتخلف عنه من ينتسب الى هذا الدين القويم .

● كما يوصى المؤتمر جميع الحكومات المحيطة بفلسطين بمضاعفة اعدادها لمقاومة العدوان .

● ويوصى الحكومات الاسلامية بمد العون المادى والادبى للعمل الفدائى .

● ويوصى الحكومات والشعوب والهيئات الاسلامية بالتوسع فى انشاء المراكز الثقافية فى المجتمعات التى تحتاج اليها لارشاد المسلمين ..

و .. التوسع فى المنح الدراسية لابناء المجتمعات الاسلامية .

و .. تطوير أساليب الدعوة .

و .. انشاء منصب ملحق اسلامى

و .. تعميم التربية الدينية بالمدارس .

و .. انشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

● ويوصى المؤتمر الجامعات بالاهتمام بتدريس الاقتصاد الاسلامى وانشاء كراسى استاذية له .

● ويوصى المؤتمر القائمين على مشروع البنك الاسلامى بالاسراع بانشائه .

مكتبة المجلة

موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية
(الجزء السادس)
تأليف الأستاذ الدكتور أحمد شلبى

يتبع هذا الجزء من الموسوعة تاريخ القارة الافريقية قبل أن يدخلها الاسلام .. ثم طرق ووسائل انتشار الاسلام بها ، والدول الإسلامية جنوب الصحـــراء الافريقية (مالي ، وصنغى ، والهوسا ، وبرنو وكانم) وغيرها ، قبل الاستعمار الأوربى . ثم الصراع بين الاسلام والاستعمار الأوربى وقضايـــا هـــذا الصراع وأساليبه .

وتتناول هذه الدراسات كذلك الدول الاسلامية جنوب الصحراء الافريقية بعد زوال الاستعمار ، وعديداً من الدراسات المتعلقـــة بافريقيـــة الاسلامية ، كحضارة الاسلام فى هذه القارة ، ومستقبل الاسلام بها ، والمستقبل الذى ينتظر الدول الاسلامية الافريقية فى ظل الصراع العالمى .

ويطرح الكتاب قضية ((التاريخ الاسلامى)) من وجهة نظر جديدة تتمثل فى دراسة الدول الاسلامية غير العربية التى أهملت العناية بها من قبل كثير مـــن دارسى التاريخ الاسلامى ، وهو مفيد لكل باحث فى التاريخ الاسلامى ، ويعتبر مرجعا للمهتمين بالدراسات الافريقية وحاضر الاسلام بافريقيا .

والكتاب يقع فى سبعمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير ، وقد نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

دراسات فى مذاهب فلاسفة الشرق

تتمثل أهمية هذا الكتاب فى دراسة عديد من مذاهـــب فلاسفـــة المشرق العربى على ضوء منهج جديد يقوم على النقد والتحليل ويدعو اليه مؤلف الكتاب الدكتور محمد عاطف العراق لأول مرة فى تاريخ الدراسات الفلسفية العربية .

وبعد تصدير يكشف المؤلف فيه عن دعائم المنهج الجديد الذى يدعو الـــى اتباعه يحلل الكتاب مجموعة من آراء ابن سينا حول المعادن والنبات والحيوان والنفس والانسانية .

وأخيرا يبين المؤلف فى دراسته لآراء الغزالى حول العلم الالهى والخلود أن الغزالى كان أقرب الى المتكلمين الأشاعرة منه الى الفلاسفة .

فهذا الكتاب لا يقتصر على العرض الموضوعى لهذه المسائل بل يقدم محاولة ذاتية وتفسيرا جديدا القصد منهما احياء التراث العربى واعادة كتابة تاريـــخ الفلسفة عند العرب من جديد .

والكتاب يحتوى على (٢٧٠) صفحة ومن نشر دار المعـــارف بمصر — القاهرة .

نظرية الاسلام الاقتصاديـــة

كتاب من تاليف الأستاذ عبد الســـميع المصري يبين فيـــه راى الاسلام فى الاقتصاد وفيما استجد من معاملات اقتصادية حديثة كما تحدث عن الضرائب فى الاسلام وخصص بابا للربا .. والكتاب فى موضوعه دراسة شاملة لتوجيهات الاسلام فى الناحية الاقتصادية وهى موضوع اختصه الاسلام بعناية كبيرة لأن المال كما يقال عصب الحياة .
يقع الكتاب فى (٢٤٦) صفحة ومن نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة.

مذهب ابن عباس فى الربا

الكتاب الثانى من سلسلة كتب بناء الاقتصاد فى الاسلام من تاليف فضيلة الأستاذ الشيخ زيدان ابو المكارم والكتاب يبحث فى مسائل كثيرة منها مذاهب فقهاء السنة والشيعة فى الربا . والربا فى المستوى العالمى ، والتخطيط للقضاء على الربا ، والتعبئة لبدء عهد العدالة ، وتحريم الربا ، والكتاب يقع فى ١١٥ صفحة ، ويطلب من دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية ـــ بالقاهرة .

الديـــن الحـــق
فى الرد على كتاب (بيان الحـــق)

ظهرت فى العالم العربى والاسلامى هذه الايام ظاهرة ملفتة للنظر وهـــى الهجوم على الاسلام أو الدعوة الى توهين العقيدة الاسلامية والغريب فى هذا الامر أن يقوم به مواطنون من داخل هذه الدول نفسها سواء أكانوا مسلمين او غير مسلمين ينادون بدعاوى فجه وأمور مبتدعـــــه وينقلونهـــــا عـــن بعض المستشرقين والحاقدين على الاسلام ورسوله الاعظم صلى الله عليه وسلـــم بقصد اضعاف الاسلام والتشكيك فيه ومن الكتب التى ظهرت مؤخرا (بيـــــان الحق) ادعى فيه مؤلفه أن القرآن الكريم اقتبس الكثير من الكتب السابقة وقـــد أورد الامثلة الكثيرة على هذا مما د فع الكاتب الاستاذ توفيق على وهبه من تأليف كتابه (الدين الحق) ردا واضحا بالادلة والبراهين على هذه المفتريات والاكاذيب بعد أن تحدث عن حرية الـــرأى فى الاسلام وكيف يصبـــح الرأى جريمـــة ثـــم عن القرآن والانجيل معرفا ومقارنا .
والكتاب يحتوى تقريبا على مائة صفحة وما زال تحت الطبع .

مـــع الأيـــــام

ديوان شعر للشاعر الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد الحافظ يحتوى علـــى العديد من القصائد السياسية والقومية والعاطفية وخواطر خاصة بالشـــاعر استوحاها من خلال رحلاته عبر البلاد العربية بجانب قصائد المناسبات التاريخية والدينية والديوان يقع فى ١٢٠ صفحة من طبع مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة ـــ ٣ شارع الجد ـــ بالفجالة القاهرة .



حجاج بيت الله الحرام

بلغ مجموع الحجاج الذين وقفوا بعرفة فى العام الماضى (١٫٠٤٢٫٠٢٧) حاجا منهم (٣٥٣٫٤٨٠) سعوديا و (٦٨٨٫٥٤٧) غير سعودى بين مقيم فى المملكة ووافدين من الخارج .

كل هذا .. العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال : رأس الأشياء . فيه قوامها . وبه تمامها . وهو سراج ما بطن . وملاك ما علن . وسائس الجد . وزينة كل أحد . لا تستقيم الحياة الا به . ولا تدور الأمور الا عليه .

رزق مضمون

تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول : اللهم وسع لنا فى الرزق .

فقال لها : يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك ، فان كان فرح دعونى ، وان كان حزن دعوك .

عندما يذهب الصدر ويبقى العجز

عاد أبو الحسين بن برهان رجلا مريضا فقال له : ما علتك ، قال : وجع الركبتين .

فقال : والله لقد قال جرير بيتا ذهب منى صدره وبقى عجزه وهو
وليس لداء الركبتين طبيب .

فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه .

من أحق بالسؤال ؟

وقف سائل أعمى على باب فقالوايفتح الله عليك . فقــال : كسرة ، فقالوا : ما نقدر عليها . فقال : قليلمن فول أو شعير . قالوا : لا نقــدر عليه ، قال : فقليل من زيت أو لبن .قالوا ; لا نجده . قال : فشربة ماء . قالوا : وليس عندنا ماء . قال : فماجلوسكم هنا . قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال .

اللذة الدائمة

اذا تعبت فى البر فان التعب يزول والبر يبقى .

واذا تلذذت فى الاثم فان اللـــــذة تزول والاثم يبقى .

تربيـــــة ..

ناولت اعرابية ولدها سيفا فرآه قصيرا فقـــال : « أنه سيف قصير » فقالت : « تقدم خطوة فيطول » .

لا تشـــاؤم

قيــل ان المنصــور بن أبى عامرالأندلسى كان اذا قصد غزاة عقــد لواءه بجــامع قرطبــة ولم يسر الىالغزاة الا من الجامع ، فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامعلعقد اللواء فاجتمع عنده القضــاة والعلماء وأرباب الدولة ، فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع فانكسرت على اللواء وتبــددالزيت فتطير الحــاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور ، فقال رجل :ابشر يا أمير المؤمنين بغــزاة هينــة وغنيمة سارة ، فقــد بلغت أعلامك الثريا ، وسقاهــا الله من شجــرة مباركة زيتونة ، فاستحسن المنصورذلك ، واستبشر به ، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات .

البخل فنــون

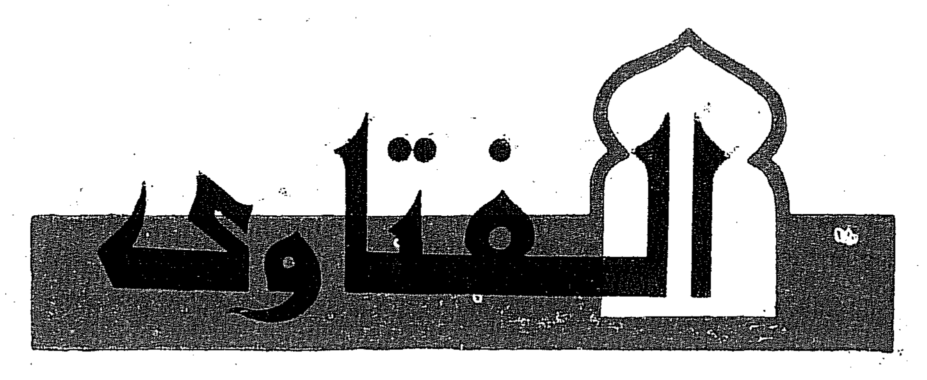
حكى عن بعض البخــلاء أنه حلف يوما على صــديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له : لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم . فقــال له ضيفه : أنا أجعلــه بدرهم ونصف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : آكل لقمــة بجبن ولقمة بلا جبن .

ان لم يكن عقل وأدب .. فصاعقة

قال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد .

قال عقــل يعيش به . قال فان عدمه . قال : أدب يستره . قال : فان عدمه .

قال : فصاعقة تحرقه وتريح منــه العباد والبلاد .



فى الطـــلاق

السؤال

قال الزوج لزوجته ــ على الطلاق منك ما تدخلى بيتى شافعى ومالكى وأبو حنيفة وتكونى زى أمى وأختى ، فهل يقع الطلاق أم لا ..؟

• • • • • • • • • •

الاجابـــة :

اللفظ المذكور هو يمين طلاق وفيه تعليق . ويمين الطلاق المعلق هو الذى يقصد به اثبات شىء أو نفيه أوالحث على فعل شىء أو تركـــه ، وفيه أقـــوال خمسة ذكرها ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان ص ٢٦٥ ـــ ٢٦٧) وملخصها هو ـــ

١ ـــ أنه لا ينعقد ولا يجب فيه شىء وعليه أكثر أهل الظاهر لان الطلاق عندهم لا يقبل التعليق كالنكاح وعليهمن أصحاب الشافعى أبو عبد الرحمن .

٢ ـــ انه لغو وليس بشىء وصح ذلك عن طاووس وعكرمة .

٣ ـــ لا يقع الطلاق المحلوف به ، ويلزمه كفارة يمين اذا حنث فيه ، وبـــه قال ابن عمر وابن عباس وغيرهما .

٤ ـــ الفرق بين أن يحلف على فعل امرأته أو على فعل نفسه أو على فعل غير الزوجة ، فيقول لامرأته ، ان خرجت من الدار فأنت طالق فلا يقع عليه الطلاق بفعلها ذلك . وان حلف على نفسه أو غير امرأته وحنث لزمه الطلاق ، وبه قال أشهب من المالكية .

٥ ـــ الفرق بين الحلف بصيغة الشرط والجزاء ، وبيـــن الحلف بصيغـــة الالتزام ، فالاول كقوله ان فعلت كذا فأنت طالق ، والثانى كقوله : الطلاق يلزمنى أو على الطلاق ان فعلت فلا يلزمه الطلاق فى هذا القسم ان حنث دون الاول ، وهذا أحد الوجوه الثلاثة لاصحاب الشافعى ، والمنقول عن أبى حنيفـــة .

ســجدة التـــلاوة

السؤال :

عند استماع القرآن الكريم من الاذاعة يمر القارىء على آية سجدة ، فهل على المستمع أن يسجد سجدة التلاوة ..؟

• • • • • • • • • •

الاجابـــة :

نعم . يسن لمستمع القرآن اذا سمع آية سجدة ، وكان متوضئا أن يسجد سواء كان استماعه من الاذاعة أم غيرها ، وهذا رأى الشافعية . وأما المالكية فعلى أنه لا سجود على المستمع الا اذا سجد القارىء ، وحيث أن القارىء لم يسجد فلا يسجد المستمع .

فى الــــــزواج

السؤال :

رجل طلق زوجته وقد أنجب منها بنتا ثم تزوجت هذه المرأة من آخر وأنجبت منه ولدا ، والرجل المطلق تزوج بأخرى ، وأنجب منها بنتا ، فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج بهذه البنت ..؟

• • • • • • • • • •

الاجابـــة :

حيث أن هذه البنت ليست أختا لهـــذا الولد من النسب أو من الرضاع ، فانه يحل زواجه بها .

فى الآذان

السؤال :

هل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عقب الآذان صحيحة ، وما الدليل ؟

• • • • • • • • • •

الاجابـــة :

الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الآذان سنة لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » الحديث ، والواجب أن لا يرفع المؤذن بها صوته لانها ليست جزءا من الآذان ، بل هى سنة من سننه بدليل قوله (فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على) اذ لو كانت من الآذان لاكتفى صلى الله عليه وسلم بقوله (فقولوا مثل ما يقول) .

فى الصــــــلاة

السؤال :

هل ختم الصلاة جهرا فى المسجد عقب الصلاة جائز ؟

• • • • • • • • • •

الاجابـــة :

ختم الصلاة من كمال الصلاة ، والواجب فيه أن يكون سرا حـذرا مـن التشويش على المصلى اذ التشويش عليه حرام ولو بالقراءة لقوله صلى الله عليه وسلم (ألا ان كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة) .

شهادات الاستثمار

السؤال :

ما رأى الشرع فى الشهادات التى لم تعلن عنها المصارف ، وهو أن المواطن يضع مبلغا من الجنيهات فان أصابته القرعة كسب وأن لم تصبه يسحب مالـــه بالكامل ؟

. . . .

الاجابـــة :

كل معاملة تخرج عما حدده الشارع حرام لا يسوغ الاقدام عليها ، والمتعامل مع البنك يدفع مبلغا من ماله نظير فائدة محددة ، ثم يحصل على شهادة منه فان أصابته القرعة أخذ ما حدده البنك من الجوائز المعلومة ، والا فلا ، وهذه المعاملة باطلة لانها كالقرض الذى جر نفعا للمقرض ، وهو ربا اذ لو لم يكن كذلك لما أقدم المتعامل مع البنك عليه ، فالذى حمله على الاقدام انما هو الربح المحدد المنتظر ، هذا من جهـــة ، ومن جهـــة أخرى ، فالجوائز التى يصرفها البنك لصاحب الحظ انما هى من باب المقامـــرة .

فى الصـــلاة

السؤال :

إمام يصلى بالناس من أول البقرة الى آخر جزء عم فى الصلاة الجهرية ، بحيث لا يطيل عليهم الصلاة ، ولم يجد من يتألم من هذه الصلاة ، فهل فى هـــذه الصلاة مخالفة ؟

. . . .

الاجابـــة :

ليس فيها مخالفة للسنة حيث أن المأمومين راضون بطول الصلاة بل فـــى هذه الصلاة خير كثير ، اذ يقرأ فيها القرآن كله على مراحل ، وفى هذا ما فيه من كثرة الفوائد الدينية للامـــام والمأموم .

قضاء الصـــوم

السؤال :

لم أصم من البلوغ الى سن العشرين وعلى قضاء مافاتنى ، ولكنى الآن فى منتصف العمر ، وأجد مشقة لقضاء هذه المدة فماذا أفعل ؟

. . . .

الاجابـــة :

اقض ما تستطيع وافد بالصدقة علـــى ما لا تستطيع ، وتب الى اللـــه ، واستغفره فانه غفار وذو رحمة واسعة .

بريد الوعي الإسلامي

اعـــداد : عبد الحميد رياض

ترتيب المصحـــف

لقد نزل القرآن الكريم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ثلاث وعشرين سنة ، شاملا كل النهج الاسلامى القويم ، آخذا بمبدأ التدرج فى تطبيق أحكامه ، وموافقا لكل الأحداث والمواقف التى عاشها النبى الكريم حسب تسلسل وقوعها .

فلماذا إذن لم تنسخ المصاحف حسب تسلسل نزول القرآن الكريم » ؟

أرجو أن أقرأ ردكم على صفحات مجلتنا الغراء (الوعى الاسلامى) .

محمد حسان — رمل الاسكندرية — مصر

هناك أمران هامان يجب الحديث عنهمـــا كل على حدة ، خصوصـــا وأن السؤال الوارد يحتملهما معا ، هما ترتيب آيات القرآن كله ، وترتيب سوره .

أما ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذى نراه فى المصاحف ، ونقراه اليوم ، وقراه سلفنا بهذا الترتيب الذى لم يتخلف طوال القرون الماضيـــة من تاريخنا الاسلامى ، فذلك ترتيب توقيفى من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد انعقد إجماع الأمة عليه ولا مجال للرأى والاجتهاد فيه ، وذلك ثابت حيـــث أن جبريل عندما كان ينزل بالآية على النبى كان يرشده الى موضعها من الســـورة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأها على أصحابه ، ثم يأمر كتاب الوحـــى بكتابتها فى مكانها من السورة المعينة ، ولقد ثبت بما لا يدع مجالا للشـــك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن مرارا بهذا الترتيب فى صلاته وعظاته وكان يعارض به جبريل كل عام مرة ، وفى العام الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم عارضه مرتين ، وقد حفظ الصحابة القرآن مرتب الآيات ، وشـاع ذلـــك وملأ كل البقاع ، ولم يرد أن أى صحابى ولا حتى الخلفاء الراشدين كان لهم رأى فى ترتيب أو تغيير أو تقديم آية على أخرى ، وعندما فكر الصحابة فى جمـــع المصحف فى خلافة سيدنا أبى بكر الصديق لم يتجاوز ذلـــك نقله من العســـب واللخاف فى صحف ثم كان النقل فى خلافة سيدنا عثمان من الصحف الى مصحف .

أخرج البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان : « الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا » نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها (والمعنى لماذا تكتبها « أو قال لماذا تتركها مكتوبة مع أنها منسوخة ») قال يا ابن أخى لا أغير شيئا من مكانه .

أما ترتيب السور فهناك أقوال ثلاثة فى هذا .

القول الأول : أنها بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم شأنها فى ذلك شأن ترتيب الآيات ، وقد أجمع الصحابة على مصحف سيدنا عثمان ، وهو الترتيب الحالى للمصحف المتداول المقروء به فى كل البلاد الاسلامية ولم يخالفه أحد .

وأيد أبو بكر الأنبارى هذا الرأى بقوله « انزل الله القرآن الـــى سمـــاء الدنيا ، ثم فرقه فى بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويقف جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآيات والحروف ، فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن » .

والقول الثانى : أن ترتيب السور على ما هو عليـــــه كان باجتهاد مـــن الصحابة ، ولم يكن بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك مبنى على ما

روى من أن مصاحف الصحابة قبل أن يجمع سيدنا عثمان المسلمين على مصحف واحد ، كانت مختلفة الترتيب ، ولو كان ذلك الترتيب منقولا عن النبى صلى الله عليه وسلم لما ساغ لهم أن يختلفوا ، فقد كان مصحف أبى بن كعب مبدوءا « بالفاتحة » ، ثم « البقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » ثم « الأنعام » ، ومصحف ابن مسعود مبدوء « بالبقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » ، ومصحف على كان مرتبا حسب النزول فأوله « اقرأ » ثم « المدثر » ثم (ق) ثم « المزمل » ثم « تبت » ثم « التكوير » وهكذا ..

والقول الثالث : ترتيب السور كان بعضه بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم وبعضه الآخر باجتهاد الصحابة .

وقد وضح الآن أن المصحف بشكله الحالى سواء كان ترتيب سوره بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم أو باجتهاد من الصحابة يجب أن يلاحظ أن هذا الترتيب واجب الاحترام والاتباع لإن اجماع الصحابة حجة ، ولأن مخالفة هذا الاجماع تجر الى الفتنة ، ولا مجال للرأى والاجتهاد ، فعمل الصحابة وإجماعهم وإقرارهم مصحف سيدنا عثمان اعتراف منهم بأن ذلك عمل مشروع .

خطأ شائع

وقد وردت للمجلة هذه الرسالة :

قرأت فى العدد الثامن والثمانين ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ الموافق ١٤ أيار ٧٢ من مجلة (الوعى الاسلامى) الغراء مقالا بعنوان (لغة القرآن) وقد جاء فى مقال الكاتب عبارة دقيقة استوقفتنى تستحق التعقيب والرد حيث انبهم المعنى لا بل انقلب الى معنى آخر .

يقول الأستاذ على الصفحة الخامسة عشرة من المجلة (وأعانها قبل كل ذلك وبعد كل ذلك وأكثر من ذلك نفوس العرب والمسلمين التى دب اليها الوهن ، وإبتليت بحب الدنيا ، واستبدلت الذى هو خير بالذى أدنى .. « ولو قال — استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير لاستقام المعنى الذى ذهب اليه ، ذلك أن أفعال الاستبدال ، وما يصرف منها يحتاج معمولها الى شيئين مستبدل ومستبدل به أو الى مأخوذ ومتروك ، وفى أحدهما باء الجر ، وحكم هذه الباء متى وجدت أنها لا تدخل إلا على متروك . وهذه القاعدة لدقتها ربما كبا فيها حذاق اللغة وعمالقتها وحاملو لوائها ، فهذا أمير البيان (شوقى) يتعثر فى بيت من الشعر ويقلب معناه رأسا على عقب حين يقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لى وافيا الا الكتابا

ولو أنه قال : **أنا من بدل بالصحب الكتابا لم أجد لى وافيا الا الكتابا**

لاستقام المعنى وصح التعبير .

ودليلنا على هذه القاعدة الآيات القرآنية التالية ، والتى هى كل ما ورد فى القرآن الكريم من آيات الاستبدال مقرونا بالباء .

١ — « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل » .. سورة سبأ .
٢ — « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » . سورة الأحزاب.
٣ — وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » .. سورة النساء .
٤ — « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » .. سورة البقرة .
٥ — « قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » .. سورة البقرة .

إننى أستميح كاتب المقال عذرا لهذا التعقيب ، فما أردت من ذلك الا النفع والمصلحة العامة لا سيما وأن المقال يعالج مسألة تتعلق باللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم .

محمد خلاد — عمان — الأردن



إعــداد : فهى الإمام

« الكفــاءة »

جاءنى صديقى « السنغالى » منفعلا وقال :

أليس فى كتاب الله « إنما المؤمنون اخوة » ! ؟

قلت : بلى . .

قال : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ؟!

قلت : بلى . .

قال : فلم هذه التفرقة العنصرية فى كتب الفقه . . ثم نهض وأخــرج كتابا فى فقه المعاملات وأسمعنى أقوال العلماء فى مسألة « الكفاءة » وكان هنــاك شبه اجماع على نقطة هى :

« الناس قسمان : عرب وعجم ، والعجمى ليس كفءا للعربية على أى حال والعرب قسمان : قرشيون وغيرهم ، والعربى من غير قريش ليس كفءا للقرشية على أى حــال » .

قلت : هون على نفسك وسأضع أمامك بعض الحقائق :

أولا : الاسلام دين عالمى يتخطى حجب الزمان والمكان وشعاره :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبيــة وليس منا من مات على عصبية » .

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد وضعت فى المادة الأولى من إعلان حقــوق الانسان : أن الناس ولدوا أحرارا متساوين فى الحقوق ، فتلك قولة إسلامية عمرية أعلنها الفاروق قبلها بعشرة قرون حين قال : متى استعبدتم الناس وقــد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . .

ثانيا : إن مناط الكرامة الشخصية فى الاسلام هو الدين ليس غير . . والقول بخلاف ذلك مصادمة للنص والواقع التاريخى . . فلقد كان أول مؤذن فى الاسلام عبدا أسود هو بلال الحبشى ، وقد أعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام سلمان الفارسى من آل بيت النبوة . . وفى مقابلة ذلك فان القرآن يتلى على سمع الزمان الي أن يرث الله الارض ومن عليها بقوله :

« تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نـــارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » .
وأبو لهب هذا قرشى من خير بطونها نسبا وهو عم الرسول .. !!

ثالثا : إن زيد بن حارثة وهو رقيق معتق قد زوجه الرسول بشريفة هى زينب بنت جحش .. ولهذا الزواج حكم منها :

أ ــ إبطال عادة التبنى عملا بعد بطلانها قولا فى آية « أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله .. » فلقد تزوجها الرسول بعد طلاقها من زيد « كيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » .

ب ــ تحطيم عنصرية النسب واستعلاء العرق والاعلان العملى بأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .. .

حـ ــ القضاء على عادة جاهلية وهى أن الشريفة إذا تزوجت برقيق ثم طلقت لا يرغب فيها شريف آخر .. فلقد تزوجت زينب بعد طلاق زيد لها بأشرف خلق الله جميعا ..

رابعا : إن من مشاهير الصحابة بلالا الحبشى وصهيبا الرومى وسلمـــان الفـــارسى ..

وإن من خيار التابعين الحسن البصرى وسعيد بن المسيب ..

وإن أعلام الأئمة الذين خدموا العلم واللغة وحفظوا للأمة الاسلامية تراثها الخالد ــ أكثرهم من العجم مثل : أبى حنيفة النعمان ، والزمخشرى جار الله ، وسيبويه وابن فارس ، والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، والمعلم الثانى الفارابى ، والشيخ الرئيس ابن سينا وحجة الاسلام الغزالى .. الخ .

إن كل واحد من هؤلاء كفء وأى كفء لكل امرأة عربية أو قرشـــية .. ولا ينكر فضلهم وشرفهم وعلو مكانتهم وسمو منزلتهم الا حاقد بغيض ..

ومن عجب أن ينسب مثل هذا القول إلى إمام مثل أبى حنيفة وهو أعجمى فهل كان يرى نفسه غير كفء لامرأة عربية ؟ !!

خامسا : بماذا نعلل ــ إذن ــ هذه الشروط التى وضعت لكفاءة الزواج ؟
وأقول على الفور :

إن موضوع الكفاءة فى الزواج هو موضوع عرفى ليس للاسلام فيه نصيب .. على معنى أن عرف الناس جرى بذلك وأن الأئمة رضوان الله عليهم قالوا به حفاظا على دوام العشرة بين الزوجين ومنعا للشقاق بينهما وحتى يكون ذلك أدعى للوفاق وتقارب الزوجين ..

ولا يمكن أن نفهم أن هذا شرع ندين الله عليه نأثم بتركه ونثاب بفعله بل الأمر كله متروك للرغبات النفسية للزوجين ولا يستطيع انسان ما أن يكـــره آخر على الزواج من امرأة ينفر منها أو تنفر منه مهما كانت الظروف ومهمـــا كانت الدوافع .. وهو ان فعل هذا ــ مدين شرعا وعرفا وقانونا .. فالحياة الزوجية لا تقوم على القسر وإنما هى مودة ورحمة ، وسكينة وطمأنينة .. فان وصلنا الى الحال التى وصفتها المرأة للرسول صلى الله عليه وسلم بقولها « إنى أكره الكفر

فى الاسلام » اى انها تبغض زوجها ولا تستطيع اداء حقوقه الزوجيـــة التـى شرعها الله ــ إن وصلنا الى تلك الحال ابتداء أو انتهاء فالأمر معروف ومحدد فى قوله تعالى :

« وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

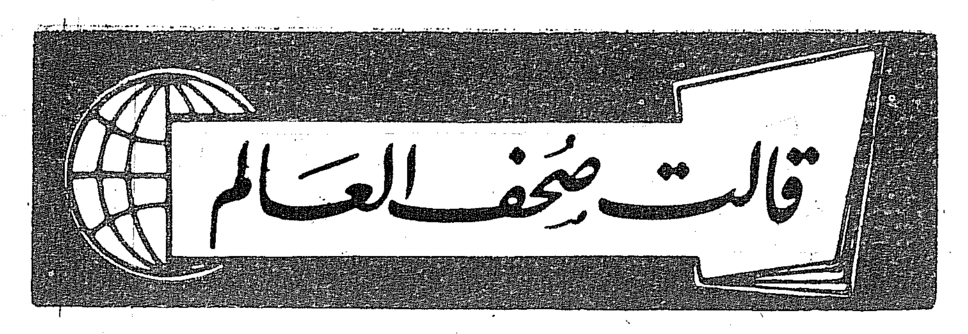
محمد سيد احمد المسير

الشـــدائد تكون الأمم وتصنع الرجـــال

كتب الأستاذ كنعان ابراهيم الجميلى تحت هذا العنوان يقول : ــ

لقد كانت الأمة العربية منزوية فى جزيرتها غارقة فى ضلالها تسودها الفتن وتلعب بها الأهواء ذليلة لا شأن لها ولا سلطان ، يتكالب عليها الأعداء من الفرس والروم وغيرهم فأعزها الله بالدين الاسلامى على يد زعيم هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى وحد كلمتها على أساس من الايمان بالله والأخوة والمحبة فى سبيل الله . فاجتمـــع شملها وتوحدت كلمتها فتكونت منها قـــوة نشرت العدل والمساواة والطمأنينة نشرت تعاليم الاسلام والدعوة الى الحق والهداية فـــى جميع أرجاء الجزيرة العربية حيث كان من رجالاتها عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب فى الشجاعة والحزم درجة لا تطاق وكان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان فى الكرم والتضحية وبذل المال ، وكان سلمان الفارسى وبلال الحبشى فى الصبر والثبات وقوة الايمان والارادة .

ولم تلبث هذه الامة طويلا حتى امتد سلطانها واتسع نفوذها فدخلت تحت سيادتها أمم وشعوب آمنت بالله واستجابت لدعوة الاسلام دعوة الحق والنور . واستمرت على هذه الحالة حتى انخفضت حرارة الايمان وضعف سلطانها فبدأ الضعف يتسرب إلى كيانها حيث أخذت الاهواء والنزعات تعمل عملها،وبدأ الحقد والكراهية يدب بين صفوفها فتفرق أبناؤها وتقـــاتلوا بينهم حتى ابتـــلاهم الله بالحملات الصليبية على بلادهم حيث احتل الصليبيون أجزاء كبيرة من بلاد الشام ومنها بيت المقدس فلم تسكت هذه الامة على هذا البـــلاء ولم تستكن . ولكـــن جاهدت وناضلت رغم المصاعب والعقبات حتى استطاعت أن تحرر بلادها ،ومن ثم أعادت لنفسها العزة والكرامة على يد أبنائها المخلصين أمثال (صلاح الدين الأيوبى) . وليس العدوان الاسرائيلى الأخير الا موجة من الموجات العاتية التى استهدفت كيان هذه الأمة ووجودها ودينها . وكانت أمتنا تواجه الفتن والعدوان بايمان صادق ، ووحدة متماسكة ، وكانت تستفيد من الهزائم والنكسات كمـــا تستفيد من الغلب والانتصارات . فكانت تصحح أخطاءها وتعالج عيوبهـــا وتعد وتستعدلنيل النصر ولهزيمة المعتدين وسرعان ماتخرج من الشدائد والمحن كأقوى ما تكون ايمانا وصلابة بحقها . فقد كان أسلافنا يستفيدون من الشدائد والنكبات فكانوا (اذا انتصروا شكروا ، واذا انهزموا اتعظوا واعتبروا) .



ان الدين عند الله الاسلام

الاسلام هو دين الله الذى نزل من السماء ليصلح الارض ، ويربط العالم بعضه ببعض ، ويوثق العلاقة بين الخالق والمخلوق على أساس العقيدة الصافية ، والعبادة الهادية ، ويوثق العلاقة بين المخلوق والمخلوق على أساس العدالة الكاملة ، والرحمة الشاملة ، والمعاملة الكريمة والسياسة الرحيمة . هذا هو الاسلام فى اجمال ، وتوضيحا لذلك أقول والله المستعان :

عن مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة :

دعانا الاسلام الى أن نؤمن بالله ايمانا صادقا ، ونوحده توحيدا خالصا ، وذكرنا بأن الله وحده هو الذى خلقنا وسوانا ، ومنحنا حواسنا وقوانا ، وأنعم علينا بنعمه التى لا تحصى ، وغمرنا بفضله ، وعمنا بكرمه ، وشملنا بلطفه ، ووسعنا بعلمه فهو يعلم ما نخفيه كما يعلم ما نبذله . قال تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون » .

ودعانا الى الايمان برسل الله الذين اختارهم المولى ليكونوا دعاة له ، وهداة لخلقه ، وقدوة لهم ، وحجة عليهم ، قال تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » وقال : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ودعانا الى الايمان بالبعث والحساب والجزاء لتوفى كل نفس ما كسبت ، ويتلقى المحسن اجر احسانه ، ويأخذ المعتدى عقاب عدوانه فلا يتساوى بار كريم ، ومجرم أثيم . قال تعالى « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » . وقال تعالى « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » .

هذه العقائد الثلاث التى دعا اليها الاسلام عقائد متماسكة متلازمة لها أثرها العميق في تهذيب الانسان واعلاء شأنه .

فعقيدة التوحيد تحمل فى طواياها الاعتراف بالكمال المفرد المطلق لبارى الكون وترفع شأن الانسان الى المستوى الذى يليق به فلا تهبط بعقله الى قبول عقائد خرافية ووثنية ولا تدفعه الى الذلة أمام مخلوق من المخلوقات صغر أم كبر ، عظم أم هان وهذا هو السر فى قوله تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وعقيدة التوحيد أيضا تولد لدى المسلمين شعورا واحدا بانهم جميعا عبيد لرب واحد لا يتفاضلون عنده الا بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وفى ظلال هذه العقيدة لا يتعالى أحد على أحد ويتنافس الناس جميعا فى اعمال البر ، وطرق أبواب الخير والايمان برسل الله ، يحمل فى طواياه الايمان بحكمة الله ، فحكمته سبحانه تأبى أن يوجد الانسان ويتركه سدى ويدعه هملا ، ويحاسبه ويعاقبه دون أن يقيم عليه الحجة .

الايمان برسل الله يقتضى الايمان بما جاءوا به وما جاءوا الا بالخير العميم ، والصراط المستقيم والنظام السليم الذى يضمن سعادة الفرد والمجتمع .

الايمان برسل الله يعمق الايمان بالله ، ويدعو الى تنزيه المولى عن العبث والظلم والسفه ، ويضع أمام الناس مثلا بشرية ، عالية يحتذونها ويقتدون بها ، ويسيرون على منهاجها فى مراقبة الله ، والاحسان الى الناس دون انتظار أجر منهم .

والايمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء من شانه أن يزكي نفس الانسان ويدفعه الى عمل الخيرات وترك المنكرات والبعد عن النقائص والشبهات .

هذه العقائد الثلاث من شانها أن تعين في ايجاد الانسان الفاضل ، والمجتمع الفاضل ، والدولة الفاضلة .

وفروع الاسلام وشرائعه تهدف الى ما تهدف اليه أصوله ، وتعمل على تحقيق الغاية التى ترمي اليها عقائده فالصلاة والصيام والزكاة والحج وبقية ما أمر به الشارع تجمع بين حق الله وحق الانسان ، وفيها منافع للناس يشهدونها ويلمسون آثارها في حياتهم ، الى جانب كونها عبادة لربهم وطاعة لخالقهم .

ومن ينظر في شريعة الاسلام يجدها كافية وافية شافية ، جاءت بما فيه كمال الروح والبدن وصلاح الفرد والامة وهناءة العالم بأسره فاقامت البرهان على أن الاسلام دين انساني عالمي واقعي نزل من السماء ليحكم الارض وليملأها عدلا وسلاما ، ومحبة ووئاما ، ورخاء ورفاهية ولان الاسلام دين واقعي التزم في كل ما شرعه أن يلائم طاقة الانسان ، ويناسب مقدرته فلا يكلفه شططا ، ولا يرهقه عسرا ، ولا يطلب منه ما يحرجه أو يشق عليه قال تعالى : ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) وقال ((لا يكلف الله نفسا الا وسعها)) وقال ((يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)) .

وتمشيا مع واقع الانسان ، وتقديرا لظروفه ، ومسايرة لطبيعته وخصائصه اهتم الاسلام بشئون دنياه كما اهتم بشئون أخراه ، فلم يفرض عليه أن يعتزل الناس ، وينقطع لعبادة الله ويهمل أمر نفسه ، ويغفل مطالبه الجسمية ، وغرائزه النفسية . كلا ، فقد سمح له بأن ينال حظه من العاجلة ، ويستجيب لغرائزه ، ويسر له الطريق في غير افراط ولا تفريط ، وهيأ له السبيل في حدود الاعتدال والكمال .

وفي السنة النبوية ارشاد لنا بأن نتوجه الى الله بهذا الدعاء ((اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر)) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ٨ — ٨١ .

الوجـــــودية

عن مجلة التربية الاسلامية :

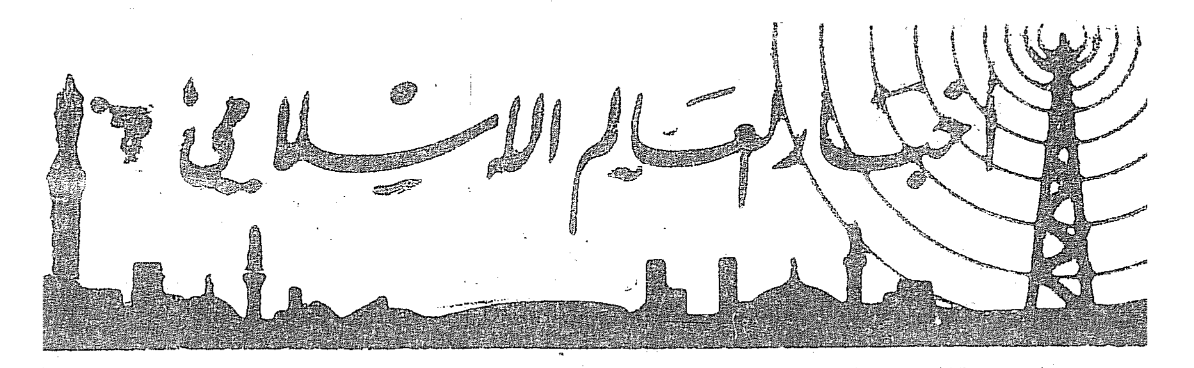
للدكتور محسن عبد الحميد
مدرس فى كلية الاداب — جامعة بغداد

ليست الوجودية نظرية فلسفية واضحة المعالم ، محددة الاتجاه ، شاملة لمسائل الكون والحياة . ولا هى حلول ايجابية — أو حتى سلبية — للمشاكل الكثيرة التى تجابه الانسان . وانما هى فى واقع الامر اتجاهات متعددة ، وافكار متباينة قلقة لم تختمر حتى فى اذهان فلاسفتها، والداعين اليها .

وللوجودية فى الوقت الحاضر مدرستان . احداهما مؤمنة ، والاخرى ملحدة . ومن أبرز رجال الوجودية المؤمنة الفيلسوف الالمانى الكاثوليكى المعاصر ((كارل جاسبرز)) . أما الفيلسوف الفرنسى ((جان بول سارتر)) فمن أبرز رجال الوجودية الملحدة . كما يعترف نفسه بذلك فى كتابه ((الوجودية مذهب انسانى)).

والجدير بالذكر أن الوجودية الملحدة هى التى تتولى القيادة ، وهى المقصودة بمفهوم الوجودية الحاضرة المتداولة على ألسنة المراهقين والمراهقات فى الغرب وفى الشرق أيضا . ذلك لان الوجودية المؤمنة تنحصر فى دائرة ضيقة ، لم يلتف حولها الا جمع من المفكرين المبعثرين هنا وهناك .

ان الوجوديين يؤمنون ايمانا مطلقا بالوجود الانسانى ، ويتخذونه منطلقا لكل تفكير ، ويعتقدون ان النظريات الفلسفية التى سادت فى القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الانسان ولم تعالج واقعه القلق الكئيب المضطرب . وبالتالى فان الانسان من حيث هو موجود لم يتسن له ان يحلم حتى بآماله فى ظل تلك الفلسفات . وان فرديته وتفكيره الشخصى ووجوده الحر وغرائزه وعواطفه ، لم تجد الصدر الرحب من المثاليات او المعالجات التى لا تتصل بأعماق الانسان النفسى .



الدكتور عبد المعطى بيومى

الكويت : ينتظر أن يعود قريبا حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن موفور الصحة والعافية بعد أن استكمل الفحوصات الطبية فى مستشفى البحرية الاميريكية بواشنطن .

● افتتح نائب الأمير المعظم وولى العهد دور الانعقاد الثالث لمجلس الأمة.

● استقبل رئيس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة حيث قدم لسعادته مفتى ج. م. ع. والأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بمناسبة زيارتهما للكويت .

● استضافت وزارة الاوقاف لموسمها الثقافى فى رمضان الدكتور محمد بيصار الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر وصاحبى الفضيلة مفتى مصر ومفتى سوريا وعددا من القراء من مصر وسوريا ولبنان والعراق .

● أهاب وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجميع الحكومات الاسلامية الاسراع فى انشاء البنك الاسلامى الدولى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية اجتماعها الرابع لعام ٧٢ م برئاسة سعادة وزير الاوقاف . واتخذت اللجنة توصيات بشأن عدد من طلبات المساعدة .

● **تعاقدت وزارة الاوقاف مع عدد من علماء الازهر الشريف للعمل بالوزارة.**

مصر : قرر الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف صرف مبلغ ٤٠٠٠ جنيه مصرى لبعض المنشآت الدينية فى الاسكندرية .

● وزعت مصر على أعضاء الامم المتحدة سجلا مدعما بالصور والوثائق عن حوادث الارهاب التى ارتكبها الاسرائيليون منذ أيام الانتداب البريطانى على فلسطين .

● تواصل السلطات الوزارية فى مصر بحث تيسير الحج هذا العام بعد أن زاد عدد الذين أدوا العمرة فى رمضان بشكل ملحوظ .

السعودية : وافقت اللجنة المالية الدائمة للمؤتمر الاسلامى على مشروع ميزانية الامانة الاسلامية العامة لعام ١٩٧٣ .

● بلغ عدد الدول التى صادقت على ميثاق الامانة الاسلامية العامة ثمانى دول هى السعودية ، الاردن ، الصومال ، اليمن ، البحرين ، موريتانيا ، ماليزيا ، السودان .

● نقلت مجلة « أخبار العالم الاسلامى » السعودية تقريرا عن تأزم الاوضاع فى باكستان الشرقية أكثر مما كانت عليه قبل انفصالها عن باكستان .

الاردن : تواصل السلطات الاسرائيلية اجراءاتها لتغيير الوضع السكانى فى غزة والضفة الغربية للاردن فتنقل العائلات العربية من بيوتها وتحل الغرف التجارية العربية فى خطة تهويد شاملة .

● تقول بعض الانباء أن الاردن وافق على انشاء لجنة تتولى ترميم المسجد الاقصى .

ليبيا : قام وفد ليبى بجولة فى بعض الدول الافريقية تستهدف تدعيم الصلات وتنسيق المواقف فى القارة الافريقية .

● استقبلت ليبيا فى الشهر الماضى وفدا اسلاميا من أوغندا لاجراء مباحثات تستهدف التعاون بين البلدين خاصة فى المجالات الاسلامية فى افريقيا .

تونس : ناشد الرئيس التونسى الدول والحكومات العربية تجاوز خلافاتها والعمل على توحيد الجهود فى مواجهة العدوان الاسرائيلى الدائم على العرب .

الجزائر : تبرعت الجزائر بعشرة مستوصفات ومركزين طبيين اجتماعيين لجنوب لبنان الذى تعرض فى الشهرين الماضيين لغارات وحشية اسرائيلية .

السودان : سوف تتبرع السودان بمبلغ ٥٠ الف جنيه سودانى لبناء المركز الاسلامى الذى ترعاه السعودية وليبيا والكويت والسودان بهدف الثقافة الاسلامية فى افريقية .

أوغندا : قرر الرئيس عيدى أمين طرد الآسيويين الذين يحملون جنسيات افريقية لانهم يناورون فى الاستيلاء على ممتلكات الآسيويين المطرودين حاملى الجنسيات البريطانية .

الهند : سمحت الحكومة الهندية بزيادة عدد الحجاج المسلمين هذا العام حوالى خمسمائة حاج عن العام الماضى وسيوزع هذا العدد على الولايات الهندية حسب سكانها المسلمين .

● صرح الدكتور عبد الجليل فريد رئيس المجلس الاسلامى فى الولاية الشمالية أنه سيواصل العمل من أجل معارضة التعديل الذى أجرته الحكومة الهندية على جامعة عليكرة الاسلامية .

● أعلنت وزارة الخارجية الباكستانية انها لا تمانع فى الاجتماع والتباحث مع أى زعيم من زعماء باكستان الشرقية .

ماليزيا : ستقدم ماليزيا قريبا الى السيد ياسر عرفات مبلغ ١١٧٠٠ جنيه استرلينى مساعدة لشعب فلسطين .

— اخبار متفرقة —

ولاية ميزورى الامريكية : اتخذ المؤتمر السنوى العاشر لاتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا عدة قرارات وتوصيات بشأن الاقليات الاسلامية فى العالم والتنديد بعدوان اسرائيل على الارض العربية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال ١٣٩٢ هـ	نوفمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٦	٤ ٣٤	٦ ٤	١١ ٣١	٢ ٣٦	٤ ٥٨	٦ ١٨	١١ ٣٦	١ ٦	٦ ٣٣	٩ ٣٨	١ ٢٠
الثلاثاء	٢	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٥٧	١٧	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الاربعاء	٣	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٦	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الخميس	٤	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٥	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الجمعة	٥	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
السبت	٦	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الاحد	٧	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاثنين	٨	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الثلاثاء	٩	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الاربعاء	١٠	١٥	٣٩	١٠	٣١	٣١	٥٢	١٣	٤٧	١٨	٣٩	٤٠	٢١
الخميس	١١	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
الجمعة	١٢	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
السبت	١٣	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣٠	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الاحد	١٤	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الاثنين	١٥	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢١
الثلاثاء	١٦	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الاربعاء	١٧	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٤٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الخميس	١٨	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
الجمعة	١٩	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
السبت	٢٠	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الاحد	٢١	٢٦	٤٨	٢٠	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١٢ ٠٠	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاثنين	٢٢	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	٢٣	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الاربعاء	٢٤	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الخميس	٢٥	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
الجمعة	٢٦	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
السبت	٢٧	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الاحد	٢٨	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاثنين	٢٩	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	٣٠	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شـارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢٠ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد